سِلْسِلَةُ إِعْلامِ الأَنامِ بِعُلُوِّ قَدْرِ النَّبِيِّ عَليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ

تَشْـوِيـقُ القُلُـوبِ

إِلَى النَّبِيِّ المحبُوبِ ﷺ

الكتاب السادس

تأليف

الدكتور : أحمـد خضـر حسـنين الحسـن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إطـــلالـــــة

لا يختلف اثنان من المسلمين على حقيقة وهي : أن محبة النبي ﷺ مقيمة في النفس على الدوام لا ترتبط بيوم بعينه، وأن المؤمن يفرح بمطالعة سيرته العطرة كلما سنحت له الفرصة ؛ كما أنه يفتخر باتباع سنته العظيمة والاقتداء به قولًا وعمَلا في سائر شؤون حياته ؛ كل ذلك مصداقًا لقول الله تعالى: (النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ) [الأحزاب: 6].

ولقوله ﷺ: (لا يُؤمِنُ أحدُكم حتى أكونَ أحبَّ إليهِ من والدِه وولدِه والناسِ أجمعينَ)[البخاري: 15].

المقدمة

الحمد لله الذي جعل محبة سيدنا محمد ﷺ من الإيمان، وجعل سُنته طريقًا لدخول الجنان، وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أمر بمحبة النبي العدنان ﷺ ، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله خير خلقه وصفوة أنبيائه صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الكرام.

أما بعد : قال أحد المحبين لسيد المرسلين ﷺ:

لغةُ الكلامِ كما رأيتَ على فَمي خَجْلَى ولولا الحُبُّ لمْ أتَكَلمِ

يا مظهرَ التوحيدِ حسْبي أَنني أَحَدُ الشُّدَاةِ الهَائِمينَ الحُوَّمِ

ما حيلةُ الشُّعراءِ ذابَ غناؤهم رهباً لدى هذا الجمال الأعظم

إن الذي سوّاكَ في قُرآنه وفَّاكَ وصْفاً بالثَّناءِ الأَعْظَمِ

صلى عليه الله نوراً هادياً متعبداً في غاره لم يسأمِ

إقرأ وربُّكَ ملهمٌ سبحانه قد علمَ الإنسانَ ما لمْ يعلَمِ

وإن من سعادة العبد أن يرزقه الله محبة النبي ﷺ لأن تلك المحبة أصل من أصول الدين، ولا إيمان لمن لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين ، كما ورد في الحديث الذي رواه البخاري.بل قال الله تعالى: (قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) (التوبة : 24) .

ومن أجل هذه المعاني جاء هذا الكتاب السادس ضمن سلسلة (إِعْلامِ الأَنامِ بِعُلُوِّ قَدْرِ النَّبِيِّ عَليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ) وقد أسميته[1]: تَشْـوِيـقُ القُلُـوبِ إِلَى النَّبِيِّ المحبُوبِ ﷺ

وستجد فيه أيها القارئ الكريم ما يحرك الاشتياق له ﷺ ومحبته وتمني رؤيته والاجتماع به ؛ كما ستجد فيه القصص المؤثرة لمن سبقونا في محبته ﷺ سواء من السابقين أو المعاصرين كما سترى فيه معان متجددة للنصوص المتعلقة بالحبيب ﷺ.

وستقرأ فيه أيضاً الكلمات المعبرة والأشعار التي تهيج عاطفة الحب والاشتياق له ﷺ ؛ فيه أيضا عبارات المعجبين به وبه شخصه الكريم المعظمين مما سيحرك في نفسك تعظيمه وتوقيره إنزاله من نفسك المنزلة اللائقة به ﷺ.

ونرجو أن يكون ذلك كله سببا في تيسير الاقتداء به ﷺ في كل صغير وكبير كمن أمرنا في شؤون حياتنا ؛ وسببا أيضا لنشر سنته وسيرته في العالمين.

هذا ... واللهَ الكريمَ أسأل أن يجعل هذا العمل لوجه خالصا وأن يتقبل مني ومن القارئ الكريم والقارئة الكريمة كل عمل صالح؛ وأن يشفّع فينا سيدنا وحبيبنا وقرة أعيننا محمدا ﷺ وجميع المسلمين والمسلمات إنه مجيب الدعوات.

أخوكم : أحمد خضر حسنين الحسن

الدوحة 8/ ربيع الأول/ 1445 – الموافق : 2024/10/27

[1] – أصل هذا الكتاب كان مجموعة من الرسائل بعنوان : الرَّسَائلُ المُشوِّقَةُ إِلى سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ ﷺ وكانت اثنتي عشرة رسالة ؛ زدت عليها هنا أربعة رسائل كما عدلت في كثير منها وزدت في عدد صفحاتها نحوا من 100 صفحة ؛ وقد نشرتها قبل عامين بعضها عبر الواتساب متفرقة وقد لاقت استحسانا من الكثيرين – ولله الحمد والمنة – حتى قال لي أحدهم لو سميتها المستدرك على السيرة أي وجدنا فيها ما لم نجد في السيرة النبوية.

الرسالة الأولى

مَعْرِفَتُكَ بِمَنْزَلتِهِ عِندَ ربِّهِ

تَجْعلُكَ تُوقِّرُه وتشتاقُ إِليَه ﷺ

ستجد فيها:

- قبس من ثناء الله تعالى عليه ﷺ في القرآن الكريم.
- أبيات من القصيدة الوترية لأبي بكر البغدادي رحمه الله تعالى.
- إحدى خصائصه العظيمة ﷺ.
- الله تعالى يدعونا إلى التأدب معه ﷺ.

قبس من ثناء الله تعالى عليه ﷺ

في القرآن الكريم

هو العبد الذي تشرَّف بكمال العبوديَّة لمولاه، وأفضل البَشَرُ الذي قرَّبه ربه وأدناه، ورفع مَقامه على الناس أجمعين، وختَم به الأنبياء والمرسلين.

وإذا أردنا أن نقف على مكانة النبي صلى الله عليه وسلم فلنقف أولاً مع مكانته عند ربه جل في علاه فالله اصطفاه وزكَّاه على خَلْقه أجمعين [2].

زكى عقله؛ فقال تعالى عنه: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ [النجم: 2].

وزكى نُطْقه؛ فقال تعالى عنه: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴾ [النجم: 3].

وزكى علمه؛ فقال تعالى عنه: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴾ [النجم: 5].

وزكى بصره؛ فقال تعالى عنه: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ [النجم: 17].

وزكى قلبه؛ فقال تعالى عنه: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ [النجم: 11].

وزكى ظهره؛ فقال تعالى عنه: ﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ * الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾ [الشرح: 2، 3].

وزكى ذِكْره (شهرته بين العالمين)؛ فقال تعالى عنه: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ [الشرح: 4].

وزكاه كلَّه؛ فقال تعالى له: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4].

2/ مكانته صلى الله عليه وسلم – د. محمد بن عبدالسلام – شبكة الألوكة – بتصرف وزيادات من كتب أخرى .

وأقسم بعمره الشريف ، فقال تعالى له : ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر (72)]

وأقسم بمكان ميلاده ومبدأ رسالته ، فقال تعالى : ﴿وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ التين (3).

ووصفه بصفتين من صفاته ، فقال تعالى : ﴿بالمؤمنين رؤوف ف رحيم﴾.

ونعته بالرسالة ، فقال تعالى : ﴿محمد رسول الله﴾ .

وناداه بالنبوة ، فقال تعالى : ﴿يا أيها النبي﴾ في أكثر من عشرة مواضع .

وشرّفَه بالعبودية، فقال تعالى : ﴿سبحان الذي أسرى بعبده﴾.

وشهد له بالقيام بها ، فقال تعالى : ﴿وأنه لما قام عبد الله يدعوه﴾.

ومنها أن الله تعالى أقامه مقام ذاته فقال جل من قائل : (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا) (الفتح : 10).

ومنها أن الله تعالى بدأه بالعفو قبل التأنيب ، و المخاطبة قبل أن يعرفه بالهفوة الذنب فقال جل و علا : (عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ) (التوبة : 43).

ومنها أن الله تعالى وضع به الأغلال التي كانت في أعناق العباد ، والآصار التي كانت عليهم – في الأمم السابقة ولا سيما اليهود والنصارى – قال تعالى: (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) الأعراف (157).

ومنها أن قرن الله اسم محمد صلى الله عليه و سلم بذكره في سبعة أمور:

1- في الإيمان : فقال تعالى (آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ) (الحديد :7).

2- في الحث الطاعة : فقال تعالى : (وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) النساء (13) وقال تعالى : (مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا) النساء (81) ونحوهما من الآيات كثير.

3- في المحبة : فقال تعالى : (قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) (آل عمران:31).

4-في التحذير من المعصية : فقال تعالى : (وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ) النساء (14) .

5- في العزة : فقال تعالى : (وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ) (المنافقون : 8).

6-في الإجابة :في قوله تعالى :(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) (الأنفال: 24).

7- في الرضا : فقال تعالى : (يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ) (التوبة : 62).

أبيات من القصيدة الوترية لأبي بكر البغدادي رحمه الله

بِنُورِ رسول الله أشْرَقَتْ الدُّنا ... فَفِي نُورِهِ كُلُّ يَجِئ ويَذْهَبُ

بَراهُ جَلاَلُ الحقِّ للخَلْقِ رَحْمَةً ... فَكُلُّ الوَرَى في بِرِّه يَتَقَلَّبُ

بَدَا مَجْدُهُ مِنْ قَبْلِ نَشْأةِ آدَمٍ ... وَأسْمَاؤهُ فِي العَرْشِ مِنْ قَبْلُ تُكْتَبُ

بِمَبْعثه كُلُّ النَبِيّينَ بَشَّرَتْ ... وَلاَ مُرْسَلٌ إلاَ لَهُ كَانَ يَخْطُبُ

بِتَوْرَاةِ مُوْسَى نَعْتُهُ وَصِفَاتُهُ ... وَإنْجِيلُ عِيسَى بِالمَدَائحِ يُطْنَبُ

بَشِيرٌ نَذِيرٌ مُشْفِقٌ مُتَعَطِّفٌ ... رَؤوفٌ رَحِيمٌ مُحْسِنٌ مُتَأدِّبُ

بِأقْدَامِهِ فِي حَضْرَةِ القُدْسِ قَدْ سَعَى ... رَسولٌ لَهُ فَوْقَ المَنَاصِبِ مَنْصِبُ

بِأعْلَى السَّمَا أمْسَى يُكَلِّمُ رَبَّهُ ... وَجِبْرِيلُ نَاءٍ وَالحَبِيبُ مُقَرَّبُ

بِعِزَّتِه سُدْنَا على كَلِّ أمَّةٍ ... وَمِلَّتُنَا فِيهَا النَّبِيُّونَ تَرْغَبُ

بِهِ مَكَّةٌ تُحْمَى بِهِ البَيْتُ قِبْلَةٌ ... بِهِ عَرَفَاتٌ نَحْوَهَا النُّجُبُ تُجْذَبُ

بِرَيَّاهُ طَابَت طَيْبَةٌ وَنسِيمُهَا ... فَمَا المِسْكُ مَا الكَافُورُ رَيَّاهُ أطْيَبُ

بَهِيٌّ جَمِيلُ الوَجْهِ بَدْرٌ مُتَمَّمٌ ... صَبَاحُ رَشَادٍ للضَّلالَةِ مُذْهِبُ

بِمَنْ أنْتَ يَا حَادِي النِّيَاقِ مُزَمْزِمٌ ... أرَى القَوْمَ سَكْرَى وَالغَيَاهِبَ تَلْهَبُ

بُدُورٌ بَدَتْ أمْ لاَحَ وَجْهُ محمدٍ ... وَصَهْبَاءُ دَارَتْ أمْ حَدِيثُكَ مُطْرِبُ

بِأرْوَاحِنَا رَاحَ الحجِيجُ وَكُلُّنَا ... نَشَاوَى كَأنَّ الرَّاحَ فِي الرَّكْبِ تُشْرَبُ

بِأوْصَافِهِ الحُسْنَى تَطِيبُ قُلُوبُنَا ... وَتَهْتَزُّ شَوْقاً وَالرَّكَائِبُ تَطْرَبُ

بِطَيْبَةَ حَطَّ الصَالِحُونَ رِحَالَهُ وأصْبَحْتُ عَنْ تِلْكَ الأماكِنِ أحْجَبُ

بِذَنْبِي بِأوْزَارِي حُجِبْتُ بِزَلَّتِي مَتَى يُطْلَقُ العَانِي وَطَيْبَةُ تَقْرُبُ

بِذُلِّي بِإفْلاَسِي بِفَقْري بِفَاقَتِي إلَيْكَ رَسُولَ الله أصْبَحْتُ أهْرُبُ

بِمَدْحِكَ أرْجُو الله يَغْفِرُ زَلَّتِي وَلَوْ كُنْتُ عَبْداً طُولَ عُمْرِي أذْنِبُ

إحدى خصائصه العظيمة ﷺ

من خصائصه أن الله عز وجل تولى الدفاع عنه ، و كل نبي كان يدافع عن نفسه :

فلما قالوا مجنون – وحاشاه – ، قال الله تعالى : (وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُون) (التكوير : 22)

وقالوا شاعر – وحاشاه – ، فقال الله تعالى (وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ) (يس :69).

وقالوا افترى القرآن – وحاشاه – ، فقال الله تعالى : (وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ) (يونس : 37).

وقالوا إنما يعلمه بشر– وحاشاه – ، فقال الله (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ) (النحل :103).

وقالوا كاهن – وحاشاه – فقال الله : (وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ) (الحاقة :43).

وقالوا ضل محمد – وحاشاه – ، فقال الله عز وجل (مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ) [صاحبكم مهتد راشد].

وقالوا "لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم" فقال تعالى (أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا) (الزخرف 32).

ذاك النبي الأمي الذي بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الغمة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين ...أخرج الناس من الظلمات إلى النور، ومن الشرك إلى التوحيد، ومن الذل والظلم والجهل والشتات والمهانة، إلى العز والعدل والعلم والاجتماع والكرامة؟

مَنْ نحن لولا دين محمد ﷺ وملّته؟ وما قيمتنا لولا رسالته وشريعته؟ وما مصيرنا لولا دعوته وعقيدته؟ وكيف كان أهل الأرض قبل مبعثه؟ أليس قد اطلّع الله عليهم ومقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا ؟ [صحيح مسلم: 2865] .

الله تعالى يدعونا إلى التأدب معه ﷺ

إن أعظم وأجل ما يدفعنا للتأدب معه ﷺ أن الله تعالى ضرَب لنا في ذلك المَثَل الأعظم والأكرم في وتكريمه لنبيه صلى الله عليه وسلم.

فإن الله تعالى لم يُناده في كتابه الكريم باسمه مُجردًا قط، ولكن ناداه بشرف النبوة والرسالة؛ فقال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: 1].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ [المزمل: 1].

وقال تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ [المدثر: 1].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب: 45].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ ﴾ [المائدة: 41].

وعندما أخبر الله عنه – صلى الله عليه وسلم – مُعرِّفا به ذاكرًا اسمه المجرد – صلى الله عليه وسلم – قَرَن اسمه بالرسول فقال: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﴾ [الفتح: 29].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ [آل عمران: 144].

بينما نادى الله تعالى على جميع أنبيائه بأسمائهم المجردة؛ فقال تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾ [البقرة: 35].

وقال تعالى: ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ﴾ [هود: 48].

وقال تعالى: ﴿وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾ [الصافات: 104، 105].

وقال تعالى: ﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي﴾ [الأعراف: 144].وقال تعالى: ﴿يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [آل عمران: 55].

وقال تعالى: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ [ص: 26].وقال تعالى: ﴿ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى ﴾ [مريم: 7].وقال تعالى: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم: 12].

ثم إن الله تعالى تعبَّدنا بالأدب معه ﷺ: قال الله تعالى : (لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضاً) سورة النور (63)

قال السعدي :(لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ) إياكم ودعاءكم للرسول ﷺ (بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضاً)، فإذا دعاكم فأجيبوه وجوبا، حتى إنه تجب إجابة ﷺ في حال الصلاة.

وليس أحد إذا قال قولا يجب على الأمة قبول قوله والعمل به إلا الرسول ﷺ ؛ لعصمته، وكوننا مخاطبين باتباعه، قال تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ) الأنفال (24).

وكذلك لا تجعلوا دعاءكم للرسول كدعاء بعضكم بعضا، فلا تقولوا: "يا محمد" عند ندائكم، أو "يا محمد بن عبد الله" كما يقول ذلك بعضكم لبعض، بل من شرفه وفضله وتميزه صلى الله عليه وسلم عن غيره أن يقال: يا رسول الله، يا نبي الله.

وقال تعالى : (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْواتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ، وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمالُكُمْ وَ أَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ) الحجرات (2).

قال الآلوسي : أى: يا من آمنتم بالله واليوم الآخر.. واظبوا على توقيركم واحترامكم لرسولكم صلّى الله عليه وسلّم ولا ترفعوا أصواتكم فوق صوته عند مخاطبتكم له.

ولا تجعلوا أصواتكم مساوية لصوته صلّى الله عليه وسلّم حين الكلام معه، ولا تنادوه باسمه مجردا بأن تقولوا له يا محمد، ولكن قولوا له: يا رسول الله، أو يا نبي الله.

وقال العلماء: يكره رفع الصوت عند قبره، كما كان يكره في حياته، لأنه محترم حيا وفي قبره .

ولقد امتثل الصحابة لهذه الإرشادات امتثالا تاما، فهذا أبو بكر يروى عنه أنه لما نزلت هذه الآية قال: يا رسول الله، والله لا أكلمك إلا كأخى السرار– أى: كالذي يتكلم همسا.

وهذا ثابت بن قيس، كان رفيع الصوت، فلما نزلت هذه الآية قال: أنا الذي كنت أرفع صوتي على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أنا من أهل النار، حبط عملي، وجلس في أهل بيته حزبنا ؛ فلما بلغ النبي صلّى الله عليه وسلّم ما قاله ثابت، قال لأصحابه: (لا.بل هو من أهل الجنة).

الرسالة الثانية

الإِجابةُ عَنْ : لِماذّا حَازَ النَّبيُّ ﷺ كُلَّ هذا الحبِّ؟

يَجْعلُكَ تُحِبُّه وتشتاقُ إِليَه ﷺ

وستجد فيها:

- جواب العلماء عن سؤالك لماذا كان النبي ﷺ محبوبا.
- كلنا فداك يا رسول الله .
- قال باحث محب : أحبك يا رسول الله.

جواب العلماء عن سؤال:

لماذا كان النبي ﷺ محبوباً

لم يحب الناس أحداً من البشر كما أحبوا الحبيب المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وسلم . ولكن لماذا ؟

- قد جبلت النفوس على حب من أحسن إليها ، وعلى قدر الإحسان تكون المحبة؛ ولذلك كانت المحبة هنا لامتناهية وليس لها حد .
- لأن الإحسان الذي تلقته من الهادي البشير صلى الله عليه وسلم إحسان إليها في كامل دنياها ودينها ، أحبته أكثر مما أحبت نفسها وأولادها ، افتدته بأرواحها وبذلت أنفسها رخيصة دفاعاً من أجل مجرد كلمة سمعتها عنه . ويحق لها ذلك ، فإن الإحسان الذي أحسنه إليها ليس أحسان بشر عادي.
- صحيح أنه بشر ولكن ليس كالبشر إنه قمة القمم حيث حاز الكمال في كل الفضائل ، كما أن الشيء الذي جاء به إليها ليس إحسانا بشرياً بل سعادة الدنيا والآخرة . لذلك أحبه المسلمون.
- لقد كان أفضل نبي ورسول ، وكان أفضل أب وأفضل مولود وأفضل حاكم وأفضل معلم وخير زوج وخير صهر وخير جار ، كان صلى الله عليه وسلم خير الأخيار.

- إن المؤلفين عندما يكتبون عن أحد العظماء فإنهم يزيدونه عظمة ، إلا عندما تكون الكتابة عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم فهنا يختلف الأمر وينعكس حيث إننا بالكتابة عن عظمته صلى الله عليه وسلم نتشرب ونقتبس جزءا قليلاً من أي عظمة من جوانب عظمته التي نكتب عنها.
- يصبح الكلام جميلا عندما نتكلم عن جماله الشريف ، ويصبح الكلام عذباً عندما نتكلم عن أخلاقه الطاهرة ، أما عندما نتكلم عن عبادته وعلاقته بربه فهنا يكون أعظم الكلام.
- ومن أسباب حبنا لرسولنا صلى الله عليه وسلم أن الله أوجب محبته، وجعل حبه شرطا في صحة إيماننا، وبه تنال حلاوة الإيمان ففي الصحيحين: (ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما). وفي حديث الصحيحين: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين). وفي رواية لأحمد: (ومن نفسه).
- ومن أسباب محبته صلى الله عليه وسلم : رحمته بالأمة ورأفته بها وحرصه على ما يسعدها ومعاناته في تحقيق هدايتها وسلامتها من النار؛ وأيضاً ملاحظة كثرة إنعامه ولطفه ورحمته بنا تدعو العاقل للمحبة.
- ومن أسباب محبته صلى الله عليه وسلم : يحشر المرء مع من أحب: عن أنس بن مالك قال :(جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: متى الساعة؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما أعددت لها؟ " قال: (إني أحب الله ورسوله). قال: (أنْتَ مع مَن أحْبَبْتَ) قَالَ أنَسٌ: (فأنَا أُحِبُّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وأَبَا بَكْرٍ، وعُمَرَ، وأَرْجُو أنْ أكُونَ معهُمْ بحُبِّي إيَّاهُمْ، وإنْ لَمْ أعْمَلْ بمِثْلِ أعْمَالِهِمْ) رواه البخاري.
- ومن أسباب محبته صلى الله عليه وسلم : يحشر المرء مع من أحب بهذا الحب تلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحوض فتشرب الشربة المباركة التي لا ظمأ بعدها أبدا.

- قال القرطبي: كان ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد الحب له قليل الصبر عنه، فأتاه ذات يوم وقد تغير لونه و نحل جسمه، يعرف في وجهه الحزن، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: "ما غير لونك؟ ". قال: يا رسول الله ؛ ما بي ضر غير أني إذا لم أرك اشتقت إليك واستوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك، ثم ذكرت الآخرة وأخاف أن لا أراك هناك، لأني عرفت أنك ترفع مع النبيين، وأني إن دخلت الجنة كنت في منزلة هي ادني من منزلتك، وإن لم ادخل لا أراك أبدا فانزل الله عز وجل قوله: (وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا) [النساء:69].فرضي الله عن ثوبان ؛ وحاله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال الشاعر:

الحزن يحرقه والليل يقلقه والصبر يسكته والحب ينطقه

ويستر الحال عمن ليس يعذره وكيف يستره و الدمع يسبقه

ونحن المسلمين علينا أن نحمد الله سبحانه ونشكره أن جعلنا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، فالله عز وجل أرسل خير رسول لخير أمة . فعلينا بالحب الصادق له والإيمان به وطاعته واتباعه ، علينا بالشوق إليه والذكر الدائم له ، لكي يرزقنا الله جواره ورؤيته ومرافقته في الجنة ، بل إن من أعظم أمانينا أن نحلم برؤيته في المنام في الدنيا . إن حب محمد صلى الله عليه وآله وسلم من حب رب محمد عز وجل.

لقد استحق سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم بجدارة المنزلة العالية الرفيعة فأحب الله فاستحق حب الله سبحانه له ، وكان عبداً شكوراً ، وهذه هي السبيل لكل مسلم أن يسلكها .

قال أحد المحبين :

يا ذا الذي أنس الفؤاد بذكره أنت الذي ما إن سواه أريد

تفنى الليالي والزمان بأسره وهواك غض في الفؤاد جديد

وقال آخر :

أعميت عيني عن الدنيا وزينتها فأنت والروح شيء غير مفترق

إذا ذكرتك وافى مقلتي أرق من أول الليل حتى مطلع الفلق

وما تطابقت الأجفان عن سنة إلا رأيتك بين الجفن والحدق

كلنا فداك يا رسول الله ؟

1/ روى ابن هشام وابن كثير وغيرهما: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عدَّل صفوف أصحابه يوم بدر، وفي يده قدح (سهم) يعدل به القوم، فمر **بسواد بن غزية** حليف بني عدي بن النجار وهو مُستَنْتِلٌ (متقدم) من الصف، فطعن في بطنه بالقدح، وقال: (**استوِ يا سواد**) فقال: يا رسول الله! أوجعتني، وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقدني – مكِّنِّي من القصاص لنفسي – ، فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه فقال: (استقد) – أي: اقتص –، قال: فاعتنقه، فقبَّل بطنه، فقال: (**ما حملك على هذا يا سواد؟**) قال: يا رسول الله! حضر ما ترى، فأردتُ أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك، فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير.

2/ وعن عبد الله بن جبير الخزاعي رضي الله عنه قال: (طعن رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً في بطنه إما بقضيب وإما بسواك، فقال: أوجعتني فأقدني، فأعطاه العود الذي كان معه، فقال: (استقد) (أي: اقتص مني)، فقبَّل بطنه، ثم قال: بل أعفو، لعلك أن تشفع لي بها يوم القيامة) رواه الطبراني.

3/ وفي موطن آخر وبينما النبي صلى الله عليه وسلم يمازح أُسَيْدَ بن حضير، طعنه في خاصرته بعود، فقال أُسَيْد: (أصبِرني – أقدني من نفسك –، فقال: (اصطبِرْ) (استقد)، قال: إنَّ عليك قميصاً وليس عليَّ قميص، فرفع النبي صلى الله عليه وسلم عن قميصه، فاحتضنه وجعل يقبِّل كشحَه – ما بين الخاصرة إلى الضلع –، قال: إنما أردتُ هذا يا رسول الله) رواه أبوداود وصححه الألباني.

4/ وفي الصحيحين عن سلمة بن الأكوع – ضمن حديث طويل – قوله رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم: (فداك أبي وأمي، زعموا أن عامراً حبط عمله).

وفي الصحيحين أيضاً عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: يا عبد الله بن قيس، قال: قلت: لبيك يا رسول الله، قال: ألا أدلك على كلمة من كنز من كنوز الجنة؟ قلت: بلى يا رسول الله فداك أبي وأمي، قال: (لا حول ولا قوة إلا بالله).

5/ يقول ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه: (كنت أبيتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيتُه بوَضوئِه وحاجته: فقال لي: سلْ، فقلتُ: أسألُك مرافقتَك في الجنة، قال صلى الله عليه وسلم: أو غير ذلك؟ قلت: هو ذاك، قال: فأعنِّي على نفسِك بكثرة السجود) رواه مسلم.

وفي رواية لأحمد والنسائي وحسنها الألباني قال ربيعة: (كنت أخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقوم له في حوائجه نهاري أجمع، حتى يصلي رسول الله صلى الله عليه وسلم العشاء الآخرة، فأجلس ببابه إذا دخل بيته أقول لعلها أن تحدث لرسول الله صلى الله عليه وسلم حاجة، فما أزال أسمعه

يقول: سبحان الله، سبحان الله، سبحان الله وبحمده، حتى أملَّ فأرجع، أو تغلبني عيني فأرقد، قال: فقال لي يوماً ـ لما يرى من خفتي وخدمتي إياه ـ: سَلْنِي يا ربيعة أُعْطِك، قال: فقلت: أنظر في أمري يا رسول الله ثم أُعْلِمَك ذلك، قال: ففكرت في نفسي، فعرفت أن الدنيا منقطعة زائلة، وأن لي فيها رزقا سيكفيني ويأتيني، قال: فقلت: أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم لآخرتي، فإنه مِن الله عز وجل بالمنزل الذي هو به، قال: فجئت فقال: ما فعلتَ يا ربيعة؟! قال: فقلت: نعم يا رسول الله، أسألك أن تشفع لي إلى ربك فيعتقني من النار، قال: فقال: من أمرك بهذا يا ربيعة؟ قال: فقلت: لا والله الذي بعثك بالحق، ما أمرني به أحد، ولكنك لما قلت: سلني أعطك، وكنتَ من الله بالمنزل الذي أنت به، نظرت في أمري وعرفت أن الدنيا منقطعة وزائلة، وأن لي فيها رزقا سيأتيني، فقلت: أسال رسول الله صلى الله عليه وسلم لآخرتي، قال: فصمت رسول الله صلى الله عليه وسلم طويلاً ثم قال لي: إني فاعل، فأعني على نفسك بكثرة السجود).

6/ قصة وفاة عمرو بن العاص رضي الله عنه : روى مسلم من حديث ابْنِ شِمَاسَةَ الْمَهْرِيِّ قَالَ: حَضَرْنَا عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ وَهُوَ فِي سِيَاقَةِ الْمَوْتِ فَبَكَى طَوِيلًا وَحَوَّلَ وَجْهَهُ إِلَى الْجِدَارِ فَجَعَلَ ابْنُهُ يَقُولُ يَا أَبَتَاهُ أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكَذَا أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكَذَا قَالَ فَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ فَقَالَ إِنَّ أَفْضَلَ مَا نُعِدُّ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، إِنِّي كُنْتُ عَلَى أَطْبَاقٍ ثَلَاثٍ لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَمَا أَحَدٌ أَشَدَّ بُغْضًا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنِّي وَلَا أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَكُونَ قَدْ اسْتَمْكَنْتُ مِنْهُ فَقَتَلْتُهُ فَلَوْ مُتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَكُنْتُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَلَمَّا جَعَلَ اللَّهُ الْإِسْلَامَ فِي قَلْبِي أَتَيْتُ النَّبِيَّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فَقُلْتُ ابْسُطْ يَمِينَكَ فَلْأُبَايِعْكَ فَبَسَطَ يَمِينَهُ قَالَ فَقَبَضْتُ يَدِي قَالَ مَا لَكَ يَا عَمْرُو قَالَ قُلْتُ أَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِطَ قَالَ تَشْتَرِطُ بِمَاذَا قُلْتُ أَنْ يُغْفَرَ لِي قَالَ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا أَجَلَّ فِي عَيْنِي مِنْهُ وَمَا

كُنْتُ أُطِيقُ أَنْ أَمْلَأَ عَيْنَيَّ مِنْهُ إِجْلَالًا لَهُ وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلَأُ عَيْنَيَّ مِنْهُ وَلَوْ مُتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَرَجَوْتُ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ثُمَّ وَلِينَا أَشْيَاءَ مَا أَدْرِي مَا حَالِي فِيهَا فَإِذَا أَنَا مُتُّ فَلَا تَصْحَبْنِي نَائِحَةٌ وَلَا نَارٌ فَإِذَا دَفَنْتُمُونِي فَشُنُّوا عَلَيَّ التُّرَابَ شَنًّا – أُهيلوا عليَّ التراب – ثُمَّ أَقِيمُوا حَوْلَ قَبْرِي قَدْرَ مَا تُنْحَرُ جَزُورٌ وَيُقْسَمُ لَحْمُهَا حَتَّى أَسْتَأْنِسَ بِكُمْ وَأَنْظُرَ مَاذَا أُرَاجِعُ بِهِ رُسُلَ رَبِّي.

قال باحث محب : أحبك يا رسول الله

1– أحبك يا رسول الله لأن الله تعالى يحبك ، فأنا أحبك كذلك .

2– أحبك يا رسول الله لأن حبك قربة إلى الله تعالى وعبادة لله من أفضل العبادات .

3– أحبك يا رسول الله حباً فيك واشتياقاً إليك وقرباً منك وإحساساً بك وعاطفةً مؤججةً تجاهك .

4– أحبك يا رسول الله لأني أدعو الله تعالى أن أراك في منامي.

5– أحبك يا رسول الله لكي يجمع الله تعالى بيني وبينك في الفردوس الأعلى من الجنة.

6– أحبك يا رسول الله لأن سيرتك تطبيق عملي لأحكام الدين .

7- أحبك يا رسول الله لأن سيرتك تفصيل لآيات وأحكام كتاب الله الكريم .

8- أحبك يا رسول الله لأن حياتك دين وأخلاق ، فمن تبعك أعزه الله ، ومن خالفك خذله الله .

9- أحبك يا رسول الله لأن أقوالك وأفعالك مليئة بالهدى والخير وبالنور .

10- أحبك يا رسول الله لأن أقوالك وأفعالك خير لنا في دنيانا أيضاً .

11- أحبك يا رسول الله لأنك أجهدت نفسك وتحملت كل المشاق والتعب لكي نرتاح نحن ، فإليك يرجع كل فضل علينا بعد فضل الله ، فقد بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة وكشف الله بك الغمة .

12- أحبك يا رسول الله لأن سيرتك كلها عبر وعظات وحكم لنا نتدبرها فنستفيد منها .

13- أحبك يا رسول الله لأن الله تعالى قال لنا بأنك أسوة لنا ، وأمرنا بالصلاة والسلام عليك .

14- أحبك يا رسول الله لأن الله تعالى جعلك لنا نوراً ، وبنا رؤوفاً رحيماً .

15- أحبك يا رسول الله لأنك شافع لنا وشاهد ومبشر ونذير وداع إلى الله بإذنه وسراج منير .

16- أحبك يا رسول الله لأن حياتك وسيرتك أجمل وأحلى وأغلى قصة في الوجود .

17- أحبك يا رسول الله لأن حياتك وسيرتك تاريخ وسجل حافل بأعظم أحداث الدنيا .

18- أحبك يا رسول الله لأن حبك وفاء وإكرام وتقدير لأعظم عظماء الأمة والتاريخ .

19- أحبك يا رسول الله لأن حبك وفاء وإكرام وتقدير للعظماء من بعدك أيضاً .

20- أحبك يا رسول الله لأن حبك فيه معرفة بمكانتك وبقدرك وبفضلك وبجاهك عند الله تعالى .

21- أحبك يا رسول الله لأن حبك فيه بيان ومعرفة فضلك على باقي الأنبياء صلوات الله وسلامه عليك وعليهم ، حيث اشتق الله سبحانه اسمك من اسمه ، وقرن اسمك الشريف مع اسمه عز وجل .

22- أحبك يا رسول الله لأنك سيد ولد آدم يوم القيامة أمام الله تعالى ، فضلاً عن هذه الدنيا الفانية.

23- أحبك يا رسول الله لأن حياتك خير لنا ، ولأن مماتك خير لنا،ولأن ذكرك والصلاة عليك خير لنا .

24- أحبك يا رسول الله لأن حياتك وسيرتك تعيننا على فهم الكتاب والسنة ، فكثير من الآيات والأحاديث تفسرها وتجليها الأحداث التي مرت بك يا رسول الله صلى الله عليك وعلى آلك وسلم.

25- أحبك يا رسول الله لأنك لم تترك خيراً إلا ودللتنا عليه ، ولم تترك شراً إلا وحذرتنا منه .

26- أحبك يا رسول الله لأنك أرفع وأرقى وأسمى نموذج حي ، وأجمل وأكمل صورة ، للطفل ، للشاب المسلم ، للمعلم المربي ، للزوج المثالي ، للحاكم العادل ، للقائد المحنك ، وللأب الحاني ، ... بل إنك أنت المثل لكل إنسان في كل صورك وحالاتك ، صلى الله عليك وعلى آلك وسلم وبارك .

27- أحبك يا رسول الله لكي أستطيع أن فهم شخصيتك النبوية يارسول الله ، صلى الله عليك وسلم من خلال حياتك وظروفك ، وأنك لست مجرد عبقري ، أو بطل الأبطال ، بل أنت نبي الله ورسول الله .

28- أحبك يا رسول الله لأن الحديث عن أخلاقك يعلمني الأخلاق ، ولأن الحديث عن عبادتك يعلمني كيف أعبد الله تعالى ، ولأن الحديث عن شجاعتك يحتاج إلى شجاعة ، ويعلمني الشجاعة

ويزيل من عندي الخوف إلا من الله تعالى ، ولأن الحديث عن كرمك يعلمني الكرم ، ولأن الحديث عن كل صفة فيك يرزقني الله تعالى منها ويعلمني خيراً كثيراً .

29- أحبك يا رسول الله لأنك قمة القمم في كل شيء ، ولكل أحد ، وفي كل زمن .

30- أحبك يا رسول الله لكي أشرب من يدك الشريفة شربةً هنيئةً مريئةً لا أظمأ بعدها أبداً ، ولكي أنظر إلى وجهك الأنور وإلى جبينك الأزهر ، ولكي أجلس بجوارك وأنت الطاهر الأطهر، في جنات ونهر، عند مليك مقتدر . اللهم آمين اللهم آمين اللهم آمين .

الرسالة الثالثة

اطِّلاعُكَ عَلَى شَوقِ المُشْتَاقِينَ

إِلَيْهِ ﷺ يُشوِّقُكَ إليه ﷺ

وستجد فيها:

- قال أحد المشتاقين :أحبك يا رسول ﷺ فهل تقبل.
- إطلالة على اشتياق الصحابة والتابعين ومن بعدهم لسيدنا رسول الله ﷺ.
- قال أحدهم شعرا بمحمد ﷺ أتعلق.

قال أحد المشتاقين:

أحبك يا رسول ﷺ فهل تقبل

صحيحٌ ما رأيتُ النورَ من وجهِكْ .. ولا يوماً سمعتُ العذبَ من صوتِكْ .. ولا يوماً حملتُ السيفَ في رَكبكْ .. ولا يوماً تطايرَ من هنا غضبي كجمرِ النارْ ..

ولا حاربتُ في أُحُدٍ .. ولا قَتَّلتُ في بدرٍ صناديداً من الكفَّارْ .. وما هاجرتُ في يومٍ .. ولا كنتُ من الأنصارْ ولا يوماً حملتُ الزادَ والتقوى لبابِ الغارْ ..ولكنْ يا نبيَّ اللهْ أنا واللهِ أحببتُك لهيبُ الحبِّ في قلبي كما الإعصارْ .. فهل تَقبل؟

حبيبي يا رسولَ اللهِ هل تقبلْ؟ ..نعم جئتُ هنا متأخراً جدًّا ولكن ليس لي حيلةْ ...ولو كانَ قدومُ المرءِ حينَ يشاء لكنتُ رجوتُ تعجيلَهْ .

وعندي دائماً شيءٌ من الحيرةْ فمَن سأكون أمامَ الصَّحْبِ والخِيرةْ ..

فما كنتُ أنا "أنسَ" الذي خدمَكْ ولا "عُمرَ" الذي سندَكْ ...وما كنت "أبا بكرٍ" وقد صدَقَكْ...

وما كنت "عليًّاً" عندما حَفِظَكْ ولا "عثمانَ" حينَ نراهُ قد نصرَكْ...

وما كنتُ .. أنا "حمزةْ" ولا عَمْراً، ولا "خالدْ" ...

وإسلامي أنا قد نِلتُهُ شرفاً من الوالِد ولم أسمعْ "بلالاً" لحظةَ التكبيرْ...

ولا جسمي انشوى حياً بصحراءٍ بكلِّ هجيرْ ...

وما حطَّمتُ أصنامً ولا قاتلْتُ في يومٍ .. جنودَ الكفرِ والتكفيرْ ..

وما قُطِعَتْ يدي في الحربْ.

ولم يدخلْ هنا رمحٌ إلى صدري يَشُقُّ القلبْ..

ولم أُقدِمْ على شيءٍ ..

ولم أهربْ ولا يوماً حَمَلْتُ لواءْ ولا واجهتُ في شَممٍ هنا الأعداءْ ..

ولا يوماً رفعتُ الرايَ خفَّاقةْ ..

أنا طفلٌ يُداري فيكَ اخفاقَهْ ..

ولكنْ يا رسولَ اللهْ أنا نفسي لحبِّكَ يا رسولَ اللهْ وحبِّ اللهِ تَوَّاقَةْ...

أُحبُّكَ يا رسولَ اللهْ وليسَ الحبُّ تعبيراً عن التقوى أو الإيمانْ..

وليسَ لأنني المسلمْ وليسَ لأنني الولهانْ ..

وليسَ لأنني عبدٌ ومأمورٌ من الرحمنْ ..

فحبُّكَ داخلي نوعٌ من الظمأِ، من الحرمانْ، أنا الماءُ على شفتي ودوماً في الهوى ظمآنْ ..

أحبُّكَ يا رسولَ اللهْ أحبُّ محمدَ الإنسانْ ..

أحبُّ محمدَ العدلَ طليقَ الوجهِ إذْ يعفو ..

أحبُّ محمدَ الصادقْ .. إذا ما قالْ أحبُّ محمدَ البرَّ .. بكلِّ الناسِ يُعطيهم بغيرِ سؤالْ ..

أحبُّ محمدَ الأخلاقْ أحبُّ محمدَ الإشفاقْ .. أحبُّ محمدَ الجارَ الذي يُكرِمْ ..

أحبُّ محمدَ الأبَّ الذي يحنو أحبُّ.. محمدَ الميثاقْ ..أحبُّ محمدَ الزوجَ الذي يَعدِلْ كما الميزانْ. ..

إذا قَسَّمْ..أحبُّ محمدَ الصدقَ إذا قالَ، وإن أقسَمْ.... أحبُّ محمدَ الواثقْ ..

إطلالة على اشتياق

الصحابة والتابعين ومن بعدهم لسيدنا رسول الله ﷺ

رحم الله القائل :

من أينَ أبدأ والحديثُ غرامُ فالشعرُ يقصرُ والكلامُ كلامُ

من أينَ أبدأُ في مديح محمـــدٍ لا الشعرُ ينصفهُ ولاالأقلامُ

هو صاحبُ الخلق الرفيع على المدى هو قائدٌ للمسلمينَ همـــامُ

هو سيدُ الأخلاق دون منافـــس هو ملهمٌ هو قائدٌ مقــدامُ

صلى عليك الله يانور الــهـدى مــا دارت الأفلاكُ والأجــرام

صلى عليكَ الله ياخيرَ الــورى مــا مرت الساعاتُ والأيــامُ

محبة المؤمنين لربهم عظيمة، ومحبتهم لنبيه –صلى الله عليه وسلم– من محبتهم لربهم، لأن الله يحبه، ولأن الله أرسله، ولأن الله أوجب علينا حبه، وقال لنا في كتابه (النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ) (الأحزاب: من الآية6) .

بذل لنا النصيحة، كان أرأف وأشفق بنا من آبائنا وأمهاتنا، هو أعظم من منزلة الوالد، رحيم رؤوف بالمؤمنين، عزيز عليه ما شق علينا، فلا يسع المؤمن إلا أن يحبه لأن الله يحبه، ولأنه خليل الله، وأحب خلق الله إلى الله، ولأن الله بعثه ولأنه قدوتنا ولأن له من الشمائل والصفات والآداب والأخلاق وعظيم الطباع وجميل السجايا، ما يحب لأجل ذلك، ويحمد عليه، فهو محمد وهو أحمد وهو الماحي الذي يمحي الله به الكفر، وهو الحاشر الذي يحشر الله الناس على عقبه، وهو مصطفى من البشر خيرهم عند الله، وقد وعى الصحابة هذا فأحبوه لذلك، وحكموه في أنفسهم، وأموالهم وقالوا هذه أرواحنا بين يديك، لو استعرضت بنا البحر لخضناه، وهذه أموالنا بين يديك فاقسمها كيف شئت ستجدنا من خلفك وعن يمينك وعن شمالك،

أبرُّ بني الدنيا وأعظمُ من شكرْ وأكرم مخلوقٍ على سائر البشرْ

به الله قد أهدى إلى الناس رحمةً وبه ضياءُ الحق في الكون قد ظهر

وقد اشتاق الصحابة إلى النبي ﷺ في حياته وبعد مماته، وأحبوه حباً لم يعرف التاريخ مثله، حتى قال أنس : (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقْبِلُ وَمَا عَلَى الْأَرْضِ شَخْصٌ أَحَبَّ إِلَيْنَا مِنْهُ) رواه أحمد وإسناده صحيح.

وقال علي رضي الله عنه : كان والله أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ "وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ" كما يقول عمرو بن العاص رضي الله عنه : لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلَأُ عَيْنَيَّ مِنْهُ . [مسلم: 121].

كُلُّ القلوب إلى الحبيب تميلُ ومعي بهذا شاهدٌ ودليـلُ

أما الدليلُ إذا ذكرت محمداً صارت دموعُ العارفين تسيلُ

وقال عدوه: ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً". السيرة النبوية الصحيحة (400/2) سيرة ابن هشام (160/3)، الروض الأنف (166/6) الشفا.(2/23)

وهكذا تغلغل حبه في قلوبهم، فوصل إلى الحشايا وتعمق في نفوسهم، فكان أحب إليهم من أموالهم وأولادهم ووالديهم والناس أجمعين، كما قال لهم وعلّمهم :(وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ, لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين) البخاري.

ولو لم يكن في القلب حبُّ محمدٍ لعمّت بك البلوى و دام الضلالُ

بل كل من صدقت محبته للنبي –صلى الله عليه وسلم– أحبه أكثر من نفسه، ولذلك كان أحدهم يقول : نحري دون نحرك.

وقال عمر للعباس : يا عباس والله لَإسلامك يوم أسلمت أحبَّ إليّ من إسلام الخطاب – يعني أباه – لو أسلم، وما بي إلا أني قد عرفت أن إسلامك كان أحبَّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من إسلام الخطاب لو أسلم" الطبراني (7264) بإسناد حسن (الصحيحة / 3341).

فعمر رضي الله عنه لم تمنعه قوة شخصيته ولا غضبه في الحق أن يكون صاحب مشاعر حساسة وقلب مرهف تجاه النبي صلى الله عليه وسلم، فقد فرض لأُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ ثَلَاثَةِ آلَافٍ وَخَمْسِ مِائَةٍ، وَفَرَضَ

لابنه ثَلَاثَةِ آلَافٍ، فسأله ابنه عن ذلك فقال: لأَنَّ زَيْدًا كَانَ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَبِيكَ، وَأُسَامَةُ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْكَ، فَآثَرْتُ حُبَّ رَسُولِ اللَّهِ) رواه الترمذي (3813) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

وقد حكى التاريخ حبهم له، حتى أن الملوك لا يُفعل معها كما يفعل معه، لا من باب الذل والعبودية، ولكن من باب التوقير ، وَاللَّهِ إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ – يعني ما رأيت ملكاً قط – يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحَمَّدًا, وَاللَّهِ إِنْ تَنَخَّمَ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ, وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ, وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ, وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ, وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ) رواه البخاري .

كانت محبته في قلوبهم أصيلة، كان شوقهم إليه عظيماً، هذا ثوبان مولاه كان قليل الصبر عنه، يشتاق إليه كل يوم، جاءه يوماً وقد رأى في وجه تغيراً فقال: (ما غير لونك) ؟ فقال: يا رسول الله ما بي من مرض ولا وجع غير أني إذا لم أرك اشْتقت إِلَيْك وَاسْتَوْحَشْت وَحْشَة شَدِيدَة حَتَّى أَلْقَاك، ووالله إنك لأحب إلي من نفسي وأهلي وولدي، وإني لأكون في البيت، فأذكرك فما أصبر حتى آتيك، فأنظر إليك، وإذا ذكرت الآخرة عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين، وإني إذا دخلت الجنة خشيت أن لا أراك!

فنزل قوله تعالى: {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا} سورة النساء :69) الطبراني في الأوسط (477). وقال الألباني: صحيح بشواهده. فقه السيرة.

ولما قَدِمَ الْأَشْعَرِيُّونَ وقَرُبُوا مِنْ الْمَدِينَةِ جَعَلُوا يَرْتَجِزُونَ ويَقُولُونَ:

غَدًا نَلْقَى الْأَحِبَّةَ مُحَمَّدًا وَحِزْبَهُ

وكان بلال يرددها قبل أن يموت، وكان خالد بن معدان لا يأوي إلى فراشه إلا ويذكر شوقه إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ومن مضى من أصحابه وآله ويقول : هم أصلي وفصلي، وإليهم يحنّ قلبي، طال شوقي إليهم.

وهكذا كانت العجائز في بيوتها إذا نفشت الصوف تتذكر محمداً –صلى الله عليه وسلم– وأصحابه الأخيار، وكيف كان بكاؤهم بالأسحار، وتقول إحداهن:

يا ليت شعري والمنايا أطوارْ هل تجمعَنِّي وحبيبي الدار

ولما قال النبي عليه الصلاة والسلام لواحد من الصحابة : (أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ) قَالَ أَنَسٌ: فَمَا فَرِحْنَا بِشَيْءٍ فَرَحَنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك. رواه البخاري ومسلم.

كيف لا وهو سبب منع العذاب عنهم، لأن الله قال في كتابه :(وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ) (الأنفال: من الآية33).

كيف لا وهو مصدر الوحي، يأتيهم عبره، كيف لا وهو قدوتهم، (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) (الأحزاب: من الآية21).

ذو البجادين تربى في حجر عمه، فنازعته نفسه إلى الإسلام، فقال: يا عم كنت أنتظر سلامتك بإسلامك فلا أراك تريد محمداً فائذن لي في الإسلام.فقال: والله لئن أسلمت لأنتزعن كل ما أعطيتك حتى ثوبيك! فصاح لسان عزيمته: نظرة من محمد عليه الصلاة والسلام أحب إلي من الدنيا وما فيها.

فجرده عمُه من كل شيء حتى الثياب، فناولته أمه بجادًا لها، فقطعه نصفين، فاتزر نصفًا وارتدى نصفًا. وأتى رسول الله، فقال: ما اسمك ؟ قال: عبد العزى.فقال: بل عبد الله ذو البجادين". اللطائف (8/1) صفة الصفوة (678/1) وحلية الأولياء.(1/365)

وهكذا زيد رضي الله عنه يقول للكفار : والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة وإني جالس في أهلي!

إني لأُرْخِصُ دون عرضِك مهجتي روحٌ تروحُ ولا يُمسُّ حماكا

روحي وأبنائي وأهلي كلهم وجميع ما حوت الحياةُ فداكا

وكذلك فإن النبي –صلى الله عليه وسلم– قد فدي في أحد، وقالت المرأة لما استقبلت بابنها وجثث أبيها وزوجها وأخيها : ما فعل رسول الله –صلى الله عليه وسلم– . قالوا : خيراً، هو بحمد الله كما تحبين.قالت: أرونيه حتى أنظر إليه.فأُشير لها إليه حتى إذا رأته, قالت: (كل مصيبة بعدك جلل). الروض الأُنُف (25/6)، الشفا.(2/22).

هكذا كان الواحد منهم يقول : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ﷺ" الطبراني في الأوسط. (7499)

لما مات أظلمت المدينة، لما مات أنكر الصحابة قلوبهم، لما مات كانوا يتذكرونه صباح مساء، وقدم عمر الشام وفيها بلال وكان بلال لا يؤذن، فسأله المسلمون أن يسأل بلالاً أن يؤذن، فسأله فأذن يوماً، فلم يُرَ يومٌ كان أكثر باكياً من يومئذ، ذكراً منهم للنبي صلى الله عليه وسلم. (سير أعلام النبلاء (1/357)).

اشتياق التابعين ومن بعدهم للنبي ﷺ:

وقيل لعبيد السلماني إن عندنا من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً من قِبل أنس بن مالك.

فقال: لئن يكون عندي منه شعرة أحب إلي من كل صفراء وبيضاء –يعني من الذهب والفضة – على ظهر الأرض.

الآن لم يبقى من آثار النبي –عليه الصلاة والسلام– شيء، لا سيف ولا عصى ولا ثوب ولا شعره، وما في المتاحف كذب ولم يثبت، ولكن بقيت سنته، بقي القرآن الذي نزل عليه قبل ذلك، وبقي لنا هذان الوحَيان وآثار أصحابه، وشروح التابعين، وبقي لنا الإيمان به والشوق إليه، وهو الذي قال: (وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أَحَدِكُمْ يَوْمٌ وَلَا يَرَانِي، ثُمَّ لَأَنْ يَرَانِي أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ مَعَهُمْ) مسلم.(2364) .

قال العراقي في طرح التثريب : "أي: (يَأْتِي عَلَى أَحَدِكُمْ يَوْمٌ لأَنْ يَرَانِي فِيهِ لَحْظَةً ثُمَّ لَا يَرَانِي بَعْدَهَا أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ جَمِيعًا). شرح مسلم. طرح التثريب(7/387).

فماذا تكون مشاعر الإمام البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه وأبي داود وأحمد والبيهقي وأهل الحديث كافة وهم يكتبون الحديث عنه ويجولون في البلاد لجمعه، ويسهرون الليل لكتابته، ويدرسون علل الأساليب، ماذا كان شوقهم، وكيف كانت حالتهم، وأهل الإيمان يتمنى الواحد منهم أنه رأى النبي –عليه الصلاة والسلام– لحظة ليحظى بأجر الصحبة.

فَيَبكي إِن نَأَوا شَوقاً إِليهِمُ وَيَبكي إِن دَنَوا خَوفَ الفِراقِ

وقال عليه الصلاة والسلام : (مِنْ أَشَدِّ أُمَّتِي لِي حُبًّا نَاسٌ يَكُونُونَ بَعْدِي يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ رَآنِي بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ) رواه مسلم .

فالمؤمن الصادق يتمنى حقيقة أن يكون قد عاش في عهده أو رآه، يتمنى رؤيته ولو لحظة ،

نسينا في ودادك كلَّ غال فأنتَ اليومَ أغلى ما لدينا

نلامُ على محبتكم ويكفي لنا شرفٌ نلام وما علينا

ولما نلقكم لكن شوقاً يذكرنا فكيف إذا التقينا

تسلّى الناس بالدنيا وإنا لعمر الله بعدك ما سلينا

من قصص المحبين له ﷺ المؤثرة : خرج الركب العراقي حاجّاً في سنة 394هـ ، فلما فرغوا من الحج عزم أميرهم على العود سريعاً إلى بغداد وأن لا يقصدوا المدينة النبوية خوفاً من سرّاق الحجيج، فقام شابان قارئان على جادة الطريق التي منها يُعدل إلى المدينة النبوية – عند المفرق – ، وقرآ :(مَا كَانَ لأَهْلِ المَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلاَ يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ) (التوبة : 120).

فضج الناس بالبكاء، وأمالت النوق أعناقها نحوهما، فمال الناس بأجمعهم والأمير إلى المدينة فزاروا وعادوا سالمين إلى بلادهم» تاريخ ابن كثير (334/11) والمنتظم.(15/44)

لم يكن الشوق ولم تكن المحبة ولم يكن الميل من البشر إليه فقط، أراد الجن أن يلتقوا به، أي الصالحين والمؤمنين منهم فالتقوا به أكثر من مرة، وخَطَبَ يَقُومُ إِلَى جِذْعٍ، فَلَمَّا صُنِعَ لَهُ الْمِنْبَرُ وَكَانَ عَلَيْهِ سَمِعْنَا لِذَلِكَ الْجِذْعِ صَوْتًا كَصَوْتِ الْعِشَارِ [وفي رِوَايَة: فَصَاحَتْ النَّخْلَة صِيَاح الصَّبِيّ] [فَسَمِعُوا مِنْ حَنِينِهَا حَتَّى كَثُرَ بُكَاؤُهُمْ] حَتَّى جَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا فَسَكَنَتْ". البخاري .

وقال–عليه الصلاة والسلام– عن الجذع: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ أَلْتَزِمهُ لَمَا زَالَ هَكَذَا إِلَى يَوْم الْقِيَامَة). رواه أبو عَوَانَة وَابْن خُزَيْمَةَ وَأَبو نُعَيْم.

وَالجِذعُ حَنَّ إِلَيهِ عِندَ فِراقِه شَوقاً حَنينَ الهائِمِ الوَلهانِ

وكَانَ الْحَسَن البصري إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيث بكى وقال: يَا مَعْشَر الْمُسْلِمِينَ الْخَشَبَة تَحِنّ إِلَى رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَوْقًا إِلَى لِقَائِهِ فَأَنْتُمْ أَحَقّ أَنْ تَشْتَاقُوا إِلَيْهِ. صحيح الجامع (2256). وفتح الباري.

وقال عليه الصلاة والسلام (إِنِّي لأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ إِنِّي لأَعْرِفُهُ الآنَ) رواه مسلم.

والشجرة أعلمته باجتماع الجن له، وأخبرته ذراع الشاة المسمومة بما فيها.

وكَانَ أَهْلُ بَيْتٍ مِنْ الْأَنْصَارِ لَهُمْ جَمَلٌ يسقون عَلَيْهِ، وَإِنَّ الْجَمَلَ اسْتُصْعِبَ عَلَيْهِمْ فَمَنَعَهُمْ ظَهْرَهُ، فجَاءُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخبروه –مساكين محتاجين لهذا–، فَقَام معهم حتى أتى الجمل، فَقَالَتْ الْأَنْصَارُ: إِنَّا نَخَافُ عَلَيْكَ صَوْلَتَهُ، فَقَالَ: (لَيْسَ عَلَيَّ مِنْهُ بَأْسٌ).

فَلَمَّا نَظَرَ الْجَمَلُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقْبَلَ نَحْوَهُ حَتَّى خَرَّ سَاجِدًا بَيْنَ يَدَيْهِ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِنَاصِيَتِهِ أَذَلَّ مَا كَانَتْ قَطُّ حَتَّى أَدْخَلَهُ فِي الْعَمَلِ) رواه أحمد وقال ابن كثير في البداية والنهاية (155/6) : إسناده جيد.

أنتَ الذي حنَّ الجمادُ لعطفهِ وشكا لك الحيوانُ يومَ رآكا

والجِذعُ يُسْمَعُ بالحنين أنينُه وبكاؤُه شوقًا إلى لُقياكا

قال مالك:(حجّ أيوب السختياني حجتين، فكنت أرمقه، ولا أسمع منه، غير أنه كان إذا ذُكر النبي صلى الله عليه وسلم، بكى حتى أرحمه ، فلما رأيت منه ما رأيت ، وإجلاله للنبي صلى الله عليه وسلم كتبت عنه ». سير أعلام النبلاء.(6/17)

وقال مصعب بن عبد الله : كان مالك إذا ذُكر النبي صلى الله عليه وسلم يتغير لونه وينحني حتى يصعب ذلك على جلسائه ، فقيل له يوماً في ذلك ، فقال : لو رأيتم ما رأيت –يعني من شوق من قبلي– لما أنكرتم عليَّ ما ترون).

وكان جعفر بن محمد كثير الدعابة والتبسم فإذا ذُكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم اصفرَّ لونه ، وكان عبد الرحمن بن القاسم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم فينظر إلى لونه كأنه نزف منه الدم، وقد جف لسانه في فمه هيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

وكان عامر بن عبد الله بن الزبير إذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى لا يبقى في عينيه دموع: نزف البكاء دموع عينك فاستعر عيناً لغيرك دمعها مدرارُ

وكان الزهري مِنْ أهنأ الناس وأقربهم فإذا ذُكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم فكأنه ما عرفك ولا عرفته.

كان صفوان بن سليم إذا ذُكر النبي ﷺ بكى، فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه ويتركوه. الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، للقاضي عياض 598.

قصيدة للشاعر محمد آل خليفة بعنوان : (بمحمد ﷺ أتعلق)

بـمـحـمـدٍ أتـعـلـقُ وبخـلـقـه أتـخـلـقُ

وعـلـى البنينَ جميعهم فـي حبّـه أتفـوق

نفسـي الفتيـة دائمـا مـن حبـه تتـحـرق

وجـوانحـي مهـتاجـة ومـدامعـي تترقـرق

مـالـي و للعـب التي تُختـار لـي وتتنسـق

إن التعـلـق بالرسـو ل ودينـه بـي أليـق

أنا مسلم أهـوى الهـدى سـواه لا أتـحـقـق

بخـلال أحمـد أرتـدي وبـحـبـه أتمنطـق

اليـوم ألسنة العَــوَا ... لِمِ بالبشـائر تُطلــق

فـعـلى الوجـود نظارة ... ملء العيون و رونـق

لا يـوم أشـرف فيـه من ... يوم الرسـول و أشـرق

عَـرْف الـنبـي محمد ... يُشتَمُّ منه وينشــق

مـازلـت فيـه ولـن أزا ... ل بعهـده أتوثــق

يا خيـر مـن تعنى اليـ ... ـه الهاديات و تعنـق

ذكــراك أسمى ذكريــا ... ت الخـالدين و أسمـق

أنا أسـرع الفـتيـان في ... ما ترتضيه وأسبــق

جُــنْدِ يُّك الغـازى بأم ... ـرك يوم يغزو الفيلـق

قــسمــا بــربك إنني ... من غـيـرِه لا أفْـرق

انى على البيضـاء معـ ... تدل الخُطـا لا أزلـق

لا أنثنـى عنـهـا ولـو ... أصْلى الجحيم وأشْنَـق

هـي ملــة يمحى بها ... ريب القلوب ويمحـق

والعـقـل منهـا بالعلـو ... م وبالمعـارف يــرزق

أنـفـقـت وقتي في هـدى ... فيه النفـائـس تنفـق

أتـذوق القــرآن قــو ... ت الـروح ما أتــذوق

أتـلـو الكتـاب مُصَدِّ قـا ... إن الكتــاب مُصــدَّق

لا سـفْـر أعْمـرُ منـه في ... شتَّى العلـوم وأعـمـق

لِـــم لا أزاول درســه وأنا اللبيب الأحـذق !

يـا قائـدا في الحـرب صَ فُّ جنوده لا يخــرق

لـي أسـوة بك في دفــا عك يوم خُط الخنـدق

والصـحب بالأحزاب تُغْـ زَى والمدينـةُ تُحـدق

مــازلـت ترفـدُ بالمـدو د من السمـاء و تُرفق

حتـى رأيـت القوم يُــهـ زَم جمْعهم ويمــزق

لك منا أفضل الصلاة والسلام لا يحدهما حد ولا عد يا سيدي يا رسول الله.

الرسالة الرابعة

مُعَامَلتُه ﷺ لِأَصْحَابِهِ

تَدْفَعُكَ إِلى مَحبَّتِهِ والاشْتِيَاقِ إِلَيْهِ دَفْعاً

ستجد فيها:

- قال أحدالمحبين: يا سعد الأكوان بك سيدي رسول الله ﷺ.
- معاملته ﷺ اللطيفة الراقية المؤثّرة مع جميع أصحابه رضي الله عنهم بلا استثناء.
- ورحم الله تعالى القائل : وَاللهِ ما طَلَعَت شَمسٌ وَلا غَرُبَت.

قال أحد المحبين :

يا سعد الأكوان بك سيدي رسول الله ﷺ

يا سعد الأكوان بك سيدي ويا سعد الأرواح، أنهضتها من رقاد وطهرتها من أدواء كنت لها الدواء، ألفت بين قلوب أرادها الله باعثك ومصطفيك أن تؤلف، بعد أن فرقتها الإحن، ووحدت بين أجسام مزقتها الضغائن والمحن، فصارت جسدا واحدا يقود العالمين في دروب الحياة، ويعلو بهم من درك الدوابية والفواحش والفضائح إلى سامق الأخلاق ودرجات المعاني الراقية، والقيم البانية، ومن سفوح العدم إلى قمم قيادة الأمم.

كم طال صبرك، والابتلاء سنة أهل القرب، تغشى البوادي والمدائن بدعوة التوحيد فيصدك الجاهلون ويؤذونك ومن معك، ويحاصرون دعوة أرادها الله ممتدة ولو بعد حين، فيثيرون حولك الأكاذيب وهم بأمانتك وصدقك عالمون، كانوا لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون، إلى أن غزى الله بك القلوب قبل الحدود، فاجتمعت على حبك ونصرة دعوتك، بل ما أصبحت تقوى منك على بعاد، وإن مالت إلى معافسة الأهل وملاعبة العيال، فإنها لا تملك عنك فراقا ولا تقوى على بين أو جفاء ولا تهدأ لها عين إلا بعد أن تكتحل بالتلذذ ببهي طلعتك وجميل حضرتك.

عم لطفك ورفقك كل مخلوق سيدي، فما هدأ الجذع الباكي من فراق نور طلعتك ورائق كلامك وحسن خطبك إلا باللمسة الحانية من الكف الشريف، وما استوت القلوب على جودي الرضا إلا برحمتك التي أرداها الله المعطي أن تعم الخلق، قد تأتي الجارية الغضة وتقودك حيث شاءت وتأبى أن تكسر لها خاطرا، وتنذر الأخرى أن تضرب الدف فوق رأسك الشريف إن أبلغها الله تعالى المدينة سالمة، وتأذن لها سماحتك أن تفي بالنذر العجيب. تحسن إلى الخادم والبعيد والقريب، ولا تألو جهدا في خدمة الأهل وملاعبة الولد وإسعاف أمة طال انتظار صبحها بعد ليل الجاهلية الكئيب.

تعيش بلا تكلف، وتمضي العمر طاعة وقربا ووصلا، تقابل الخير بالخير والإساءة بالإحسان... تعلم الناس أن يكونوا لله العلي الأعلى .

يا سيدي يا رسول الله، لو أمضينا الأعمار في مدحك وذكر شمائلك لانقطعت منا الأنفاس دون أن نوفي جنابك العالي حقه، حسبنا أنا نحبك وبرهان حبنا لك اتباعك والعض بالنواجذ على أنوار هديك وقربك، ولا يهدي إلى ذلك إلا ربك، فاللهم لا تحرمنا فضلك ووصلك.

يا سيدي يا رسول الله! ما أشبه اليوم بالبارحة، بعد أن انفرط عقد أمتك، وذلت بعد عز، وخمدت بعد حياة، فأنت وسيلتنا إلى الله أن يحييها من موات، ويعزها من ذل، ويولي عليها من يخاف الله فيها ويرحمها.

يا سيدي يا رسول الله! علمتنا أن الخير في أمتك موصول لا ينقطع حتى نرد عليك الحوض، وأن الطائفة الظاهرة على الحق التي لا يضرها من خذلها إلى أن يأتي أمر الله باقية، فبوعدك نتشفع إلى الله الكريم أن يجعلنا من زمرتهم، وأن يسخر سواعدنا في إظهار دينك ونصرته وانبعاثه حتى لا يبقى بيت في حجر أو مضر إلا ودخلته أنوار دعوتك، وأن يجعلنا من أهل شفاعتك حتى تعلو بنا في جنان القرب ودرجات الوصل، فإنا لا نرضى منك إلا بك، ومن ربك إلا بالحسنى وزيادة النظر التام والدائم إلى الحضرة القدسية وعلى رحمته المعول.

معاملته ﷺ اللطيفة الراقية المؤثّرة

مع جميع أصحابه رضي الله عنهم بلا استثناء

ما مِن خصلة من خصال الخير إلا ولرسول الله ﷺ أوفر الحظ والنصيب من التخلق بها ، وقد وصفه الله تعالى بلين الجانب لأصحابه فقال : (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ) (آل عمران: من الآية159)..

فنقول إجمالاً :

كان ﷺ يقضي حوائجهم ، ويتواضع معهم ، ويجيب دعوتهم ، ويزور مرضاهم ، ويشهد جنائزهم ، ويدعو لهم ولأبنائهم ، ويشفق عليهم ، ويشعر بآلامهم ، وينهاهم عن المبالغة في مدحه .

عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه في وصفه للنبي ﷺ قال : (ولا يأنف أن يمشي مع الأرملة والمسكين فيقضي له حاجته) (النسائي).

وعن أنس رضي الله عنه قال "كان النبي ﷺ من أحسن الناس خلقًا، فأرسلني يومًا لحاجة، فقلت له والله لا أذهب وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به صلى الله عليه وسلم ، فخرجت حتى أمر على صبيان وهم يلعبون في السوق، فإذا النبي صلى الله عليه وسلم قد قبض بقفاي من ورائي، فنظرت إليه وهو يضحك فقال يا أنس أذهبت حيث أمرتك؟ قلت نعم، أنا أذهب يا رسول الله ، فذهبت) رواه مسلم وأبو داود.

وعن أنس أيضاً قال :(خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين، والله ما قال أف قط، ولا قال لشيء لم فعلت كذا وهلا فعلت كذا) رواه الشيخان وأبو داود والترمذي .

وعن صفية بنت حيي رضي الله عنها قالت (ما رأيت أحسن خلقًا من رسول الله صلى الله عليه وسلم) رواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن.

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : (ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم خادما له ولا امرأة ولا ضرب بيده شيئا قط إلا أن يجاهد في سبيل الله) رواه مالك والشيخان وأبو داود.

ونقول في التفصيل المختصر :

كان ﷺ يزورهم ويتفقد أحوالهم ويعود مرضاهم ويشيع جنائزهم رضي الله عنهم:

عن سهل بن حنيف رضي الله عنه ـ قال : (كان رسول الله ﷺ يأتي ضعفاء المسلمين ويزورهم ، ويعود مرضاهم ، ويشهد جنائزهم) (رواه الحاكم).

وعن أنس رضي الله عنه ـ قال : (كان رسول الله ﷺ يزور الأنصار، فيسلم على صبيانهم ، ويمسح برؤوسهم ، ويدعو لهم) (رواه النسائي).

وفي خطبة لسيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه وصف لنا شخصية رسول الله ﷺ ، فقال –كما روى ذلك الإمام أحمد في مسنده–: (إنا –والله– قد صحبنا رسول الله ﷺ في السفر والحضر، فكان يعود مرضانا، ويتبع جنائزنا، ويغزو معنا، ويواسينا بالقليل والكثير).

وفي الصحيحين عائشة بنت سعد بن أبي وقاص أن أباها قال: اشتكيت بمكة وجاءني النبي ﷺ يعودني ووضع يده على جبهتي ثم مسح صدري وبطني ثم قال: (اللهم اشف سعدًا وأتمم له هجرته).

وفي الأدب المفرد للبخاري رحمه الله عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا عادَ المريضَ جَلَسَ عند رأسه، ثمَّ قال سَبعَ مرار: أسألُ اللهَ العظيمَ رَبَّ العرش العظيم أن يَشفيَك، فإنّ كان في أجله تأخيرٌ عُوفي من وَجَعه).

وكان ﷺ يمزح معهم ، ولا يقول إلا حقا : عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : (إني لا أقول إلا حقاً ، قال بعض أصحابه : فإنك تداعبنا يا رسول الله؟! ، فقال : إني لا أقول إلا حقا) (أحمد).

ومن صور مزاحه ﷺ مع أصحابه : أنه رأى صهيبا وهو يأكل تمرا ، وبعينه رمد، فقال : (أتأكل التمر وبك رمد؟ ، فقال صهيب : إنما آكل على شقي الصحيح ليس به رمد ، فضحك رسول الله ﷺ) (رواه الحاكم)..

وكان الصحابة رضي الله عنهم يمازحونه لعلمهم بتواضعه وكريم أخلاقه معهم : قال عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه : (أتيت رسول الله ﷺ في غزوة تبوك وهو في قُبَّة من أَدَم –جِلد – ، فسلمت ، فرد ، وقال : ادخل ، فقلت : أكلي يا رسول الله؟، قال : كلك ، فدخلت) (أبو داود) ..

وكان ﷺ لا يرضى لأحد أن يحتقر أو يسب أحدا من أصحابه أو يحتقره، ولو كان صحابيا مثله : عن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – أن رجلا على عهد النبي ﷺ كان اسمه عبد الله ، وكان يلقب حمارا ، وكان يُضْحِك رسولَ الله ﷺ ، وكان النبي ﷺ قد جلده في الشراب، فأتي به يوما فأمر به فجلد ، فقال رجل من القوم : اللهم العنه ، ما أكثر ما يؤتى به ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (لا تلعنوه ، فوالله ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله) (رواه البخاري).

وفي ذلك دليل على أن الكبائر لا تخرج أصحابها من الإيمان ، وعلى حكمة النبي ﷺ وحبه لأصحابه ؛ فإن المراد إصلاح المخطئ لا إقصاؤه وإبعاده ، فما أعظم شفقته على أمته، وحرصه على أصحابه.

وعن ابن مسعود – رضي الله عنه – أنه كان يجتني سواكا من الأراك ، وكان دقيق الساقين ، فجعلت الريح تكفؤه ، فضحك القوم منه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (مم تضحكون؟ ، قالوا: يا نبي الله ، من دقة ساقيه ، فقال : والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أُحُد) (رواه أحمد).

وكان ﷺ يثني على أصحابه إظهاراً لفضلهم وعلو قدرهم : عن أنس بن مالك – رضي الله عنه . قال : قال رسول الله ﷺ: (أرحم أمتي بأمتي أبو بكر ، وأشدهم في أمر الله عمر ، وأصدقهم حياء عثمان ، وأقرؤهم لكتاب الله أُبَي بن كعب ، وأفرضهم زيد بن ثابت ، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ، ألا وإن لكل أمة أمينا ، وإن أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح) (رواه الترمذي).

وكان ﷺ يصلح بينهم : عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه : (أن رسول الله ﷺ ذهب إلى بني عمرو بن عوف ليصلح بينهم)(البخاري).

ومن حسن معاملته ﷺ لأصحابه قيامه بحمايتهم: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : (كان رسول الله ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ، وأَجْوَدَ النَّاسِ، وأَشْجَعَ النَّاسِ، قالَ: وقدْ فَزِعَ أَهْلُ المَدِينَةِ لَيْلَةً سَمِعُوا صَوْتًا، قالَ: فَتَلَقَّاهُمُ النبيُّ ﷺ علَى فَرَسٍ لأَبِي طَلْحَةَ عُرْيٍ، وهو مُتَقَلِّدٌ سَيْفَهُ، فَقالَ: لَمْ تُرَاعُوا، لَمْ تُرَاعُوا) رواه البخاري.

قال ابن حجر رحمه الله تعالى : وقوله : لم تراعوا : هي كلمة تقال عند تسكين الروع تأنيساً ، وإظهاراً للرفق بالمخاطَ .

وكان ﷺ لا يرضى أن يحزن أحد من أصحابه في نفسه عليه : عن عبد الله بن زيد بن عاصم رضي الله عنه قال :(لَمَّا أفَاءَ اللَّهُ علَى رَسولِهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يَومَ حُنَيْنٍ، قَسَمَ في النَّاسِ في المُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ، ولَمْ يُعْطِ الأنْصَارَ شيئًا، فَكَأنَّهُمْ وجَدُوا إذْ لَمْ يُصِبْهُمْ ما أصَابَ النَّاسَ، فَخَطَبَهُمْ فَقالَ: يا

مَعْشَرَ الأنْصَارِ، أَلَمْ أجِدْكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمُ اللَّهُ بِي؟ وكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فألَّفَكُمُ اللَّهُ بِي؟ وعَالَةً فأغْنَاكُمُ اللَّهُ بِي؟ كُلَّما قالَ شيئًا قالوا: اللَّهُ ورَسولُهُ أمَنُّ، قالَ: ما يَمْنَعُكُمْ أنْ تُجِيبُوا رَسولَ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ؟ قالَ: كُلَّما قالَ شيئًا، قالوا: اللَّهُ ورَسولُهُ أمَنُّ، قالَ: لو شِئْتُمْ قُلْتُمْ: جِئْتَنَا كَذَا وكَذَا، أتَرْضَوْنَ أنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بالشَّاةِ والبَعِيرِ، وتَذْهَبُونَ بالنَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ إلى رِحَالِكُمْ؟ لَوْلَا الهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الأنْصَارِ، ولو سَلَكَ النَّاسُ وادِيًا وشِعْبًا، لَسَلَكْتُ وادِيَ الأنْصَارِ وشِعْبَهَا، الأنْصَارُ شِعَارٌ، والنَّاسُ دِثَارٌ، إنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أُثْرَةً، فَاصْبِرُوا حتَّى تَلْقَوْنِي علَى الحَوْضِ) (البخاري).

الشعار: الثوب الذي يلي الجلد من البدن ، الدثار : الثوب الذي يكون فوق الشعار..

وفي رواية أحمد قال : (فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم ، وقالوا: رضينا برسول الله قسما وحظا .. ثم انصرف رسول الله ﷺ وتفرقوا)..

وكان ﷺ عادلا بينهم لا يحابي أحدا بغير حق : لمَّا كلَّمه حِبه أسامة بن زيد في العفو عن المرأة المخزومية التي سرقت ، تلون وجهه ﷺ وقال : (أتشفع في حد من حدود الله؟ ، ثم قام فاختطب ثم قال : إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها) رواه البخاري .

ومن لطيف معاشرته ﷺ لأصحابه في وقت الشدة والبلاء التسلية والعزاء ، فكان يشعر بآلامهم ، ويجعل لهم من محنهم منحا ، ومن الحزن فرحا ، ومن الألم أملا..

ومن صور ذلك ما رواه أنس رضي الله عنه قال : خرج رسول الله ﷺ إلى الخندق، فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون في غداة باردة ، فلما رأى ما بهم من النَصَب والجوع قال : (اللهم إن العيش عيش

الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة .. فقالوا مجيبين له : نحن الذين بايعوا محمدا على الجهاد ما بقينا أبدا) (البخاري).

وقال قرة بن إياس رضي الله عنه : (كان نبي الله ﷺ إذا جلس يجلس إليه نفر من أصحابه ، وفيهم رجل له ابن صغير يأتيه من خلف ظهره فيقعده بين يديه ، فهلك (مات) ، فامتنع الرجل أن يحضر الحلقة ، لذكر ابنه ، فحزن عليه ، ففقده النبي ﷺ فقال : مالي لا أرى فلانا؟ ، قالوا : يا رسول الله ، بنيه الذي رأيته هلك ؛ فلقيه النبي – صلى الله عليه وسلم – فسأله عن بنيه ، فأخبره أنه هلك ، فعزاه عليه ، ثم قال : يا فلان أيما كان أحب إليك : أن تمتع به عمرك ، أو لا تأتي غداً إلى باب من أبواب الجنة إلا وجدته قد سبقك إليه يفتحه لك؟ ، قال : يا نبي الله بل يسبقني إلى باب الجنة فيفتحها لي لهو أحب إليَّ ، قال : فذاك لك ، فقالوا : يا رسول الله ألله خاصة أم لكلنا ؟ ، قال : بل لكلكم) رواه النسائي.

ومن لطيف معاشرته ﷺ لأصحابه لأصحابه استشارته لهم ، فكثيراً ما كان يقول لهم : (أشيروا عليَّ أيها الناس) رواه مسلم.

ومن لطيف معاشرته ﷺ لأصحابه أنه كان يشاركهم ما يعانونه من فقر وجوع ، فإذا حلَّ الجوع بهم يكون قد مر قبلهم به ، وإذا أرسل أحد إليه بصدقة ، جعلها في الفقراء من أصحابه ، وإن أُهْدِيت إليه هدية أصاب منها وأشركهم فيها ، وكان معهم أجود بالخير من الريح المرسلة ، كما وصفه بذلك عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ .

عن محمد بن جبير قال: أخبرني جبير بن مطعم : (أنه بينما يسير هو مع رسول الله ﷺ ومعه الناس مقفلة من حنين ، فعلقه الناس يسألونه ، حتى اضطروه إلى سمرة فخطفت رداءه ، فوقف النبي ﷺ

فقال : أعطوني ردائي ، لو كان لي عدد هذه العضاه نعماً لقسمته بينكم ، ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذوبا ولا جبانا)(البخاري)..

مقفلة : راجعة من حنين ، السَّمُر : شجر طويل قليل الظل صغير الورق قصير الشوك ، الرداء: ما يوضع على أعالي البدن من الثياب ، العضاه : نوع من الشجر عظيم له شوك ، النعم : الإبل والشاء ، وقيل الإبل خاصة.

وكان من حسن معاشرته ﷺ يُغدق في العطاء لمن يتألفه: قال أنس رضي الله عنه : (ما سئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئاً إلا أعطاه ، قال فجاءه رجل فأعطاه غنماً بين جبلين ، فرجع إلى قومه فقال : يا قوم أسلموا ، فإن محمداً يعطي عطاء لا يخشى الفاقة) (البخاري).

ومن ثم قال أنس رضي الله عنه محدثاً عن أثر هذه المعاملة الحسنة من النبي ﷺ: (إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا ، فما يسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها) رواه مسلم.

وكان من حسن معاشرته ﷺ أن يقبل الهدية منهم:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ، ويُثِيبُ عَلَيْهَا). رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تعالى عَنْهُمَا قَالَ: (وهَبَ رَجُلٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَاقَةً، فَأَثَابَهُ عَلَيْهَا، فَقَالَ: رَضِيتَ؟ قَالَ: لَا، فَزَادَهُ، فَقَالَ: رَضِيتَ؟ قَالَ: لَا، فَزَادَهُ، فقَالَ: رَضِيتَ؟ قَالَ: نَعَمْ). رَوَاهُ أَحْمَدُ، وصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ.

جاء إليه سلمان الفارسي حين قدم المدينة بمائدة عليها رطب ، فوضعها بين يديه ، فقال رسول الله ﷺ: (ما هذا يا سلمان ؟ ، قال : صدقة عليك وعلى أصحابك ، قال : ارفعها فإنا لا نأكل الصدقة

، فرفعها ، فجاء من الغد بمثله ، فوضعه بين يديه يحمله ، فقال : ما هذا يا سلمان ؟ ، فقال : هدية لك ، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لأصحابه : ابسطوا) (أحمد) .

وكان من حسن عشرته ﷺ لأصحابه رضي الله عنهم أن يقبل عذر من يعتذر إليه:

ذكر ابن حجر القصة في الإصابة أن هبار بن الأسود :نخس زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أرسلها زوجها أبو العاص بن الربيع إلى المدينة فأسقطت، وبعد الفتح يأتي هبار إلى رسول الله ويعتذر إليه.

قال ابن حجر رحمه الله تعالى : "فوقف هبار فقال: السلام عليك يا نبي الله أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله، ولقد هربت منك في البلاد وأردت اللحاق بالأعاجم ثم ذكرت عائدتك وصلتك وصفحك عمن جهل عليك، وكنا يا نبي الله أهل شرك فهدانا الله بك وأنقذنا من الهلكة فاصفح عن جهلي وعما كان يبلغك عني فإني مقرٌ بسوء فعلي، معترفٌ بذنبي، فقال رسول الله ﷺ: (قد عفوت عنك وقد أحسن الله إليك حيث هداك إلى الإسلام والإسلام يجب ما قبله) .

قصة قبول النبي ﷺ اعتذار بن عمه أبي سفيان بن الحارث رضي الله عنه:

كان أبو سفيان يألف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قبل البعثة ولا يفارقه فلما بعث عاداه وهجاه وأجابه حسان عنه كثيراً، ثم لقيه هو وعبد الله بن أبي أمية ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب بنقب العقاب فأعرض صلى الله تعالى عليه وسلم عنهما فكلمته أم سلمة فيهما ؛ فقالت (يا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ابن عمك وابن عمتك وصهرك) فقال : (لا حاجة لي بهما أما ابن عمي فهتك عرضي وأما ابن عمتي وصهري فهو الذي قال لي بمكة ما قال يعني قوله والله لا آمنت بك حتى تتخذ سلماً إلى السماء فتعرج فيه، وأنا أنظر ثم تأتي بصك وأربعة من الملائكة يشهدون أن

الله تعالى أرسلك).فلما خرج إليهما الخبر بذلك قال أبو سفيان (والله ليأذنن أو لأخرجن با بني هذا ثم لنذهبن في الأرض حتى نموت عطشاً وجوعاً). فلما بلغ ذلك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رق لهما ثم أذن لهما فدخلا عليه وأسلما وأنشد أبو سفيان:

لعمرك إني يوم أحمل رايتي لتغلب خيل اللات وخيل محمد

لكالمدلج الحيران أظلم ليلة فهذا أواني حين اهدي واهتدي

وفي رواية قال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه لأبي سفيان: إئت رسول الله– صلى الله عليه وسلّم– من قبل وجهه، فقل له ما قال إخوة يوسف: (تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنا وَإِنْ كُنَّا لَخاطِئِينَ) [يوسف/ ٩١] ، فإنه لا يرضى أن يكون أحد أحسن قولا منه،ففعل ذلك أبو سفيان رضي الله تعالى عنه، فقال رسول الله ﷺ :(اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الرّاحمين).

وكان ﷺ حريصاً على تعليم أصحابه :

حينما أساء رجل في صلاته فعلمه صفتها ، وسُمّي حديثه بحديث المسيء صلاته ، وقال ﷺ: (صلوا كما رأيتموني أصلي) (البخاري).

وفي حجة الوادع قال ﷺ: (لتأخذوا مناسككم ، فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه)(مسلم).

وقال أبو ذر رضي الله عنه: (لقدْ تَرَكَنَا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم وما يُحَرِّكُ طائِرٌ جَنَاحَيْهِ في السماءِ إلَّا ذَكَّرَنا منه عِلْمًا) أخرجه أحمد.

ومع هذا كله ورد عن ابن عباس . رضي الله عنهما . أنه سمع عمر . رضي الله عنه . يقول على المنبر: سمعت النبي . صلى الله عليه وسلم . يقول : (لا تطروني – تبالغوا في مدحي – كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده ، فقولوا عبد الله ورسوله) (البخاري)..

كانت هذه بعض الصور والسطور المضيئة من صفحات معاملة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأصحابه ، فما أحوجنا إلى أن نحول هديه وخلقه ﷺ إلى سلوك عملي تنتظم به أمورنا ، وتسعد به حياتنا .

روى مسلم في صحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وأرضاه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(من أشد أمتي لي حبا ، ناس يكونون بعدي ، يود أحدهم لو رآني بأهله وماله) وكذلك حديث ثوبان

يحلو يحلوا بنا في هذا المقام أن نتذكر من هو أحب إلينا من أنفسنا وأولادنا والناس أجمعين.

ورحم الله تعالى القائل :

وَالله ما طَلَعَت شَمسٌ وَلا غَرُبَت ... إِلّا وَحُبُّكَ مَقرونٌ بِأَنفاسي

وَلا جَلستُ إِلى قَومٍ أُحَدِّثُهُم ... إِلّا وَأَنتَ حَديثي بَينَ جُلّاسي

وَلا ذَكَرتُكَ مَحزوناً وَلا فَرِحاً ... إِلّا وَأَنت بِقَلبي بَينَ وِسواسي

وَلا هَمَمتُ بِشُربِ الماءِ مِن عَطَشٍ ... إِلّا رَأَيتُ خَيالاً مِنكَ في الكَأسِ

وَلَو قَدَرتُ عَلى الإِتيانِ جِئتُكُم ... سَعياً عَلى الوَجهِ أَو مَشياً عَلى الرَأسِ

وَيا فَتى الحَيِّ إِن غَنّيتَ لي طَرَباً ... فَغَنّني واسِفاً مِن قَلبِكَ القاسي

مالي وَلِلناسِ كَم يَلحونَني سَفَهاً ... ديني لِنَفسي وَدينُ الناسِ لِلناسِ

الرسالة الخامسة

نَذْرٌ يَسِيرٌ مِنْ دَلائلِ نبوَّتِهِ ﷺ

سَيَدلُّكُ عَلى عِّظَمَتِهِ ويَدفَعُكَ إِلى مَحبَّتِهِ ﷺ

ستجد فيها:

- مدخل.

- نذر يسير من دلائل نبوته ﷺ تشوقك لرؤيته.
- إطلالة خاصة على المحبة الشديدة من بعض الصحابة والصحابيات له ﷺ.

مدخل

قال العلماء لقد أقام الله البراهين الكثيرة الدالة على نبوته ﷺ ، ونوّعها إقامةً للحجة على العباد، وليزداد الذين ءامنوا إيماناً.

والناس يتفاوتون في مقدار تصديقهم للنبي صلى الله عليه وسلم وإيمانهم به ، فمنهم من تصديقه بلغ الدرجات العلى من اليقين ، ومنهم من يضعف تصديقه إلى أن يقرب إلى درجة الشك والريب , ومابين هاتين الدرجتين أصناف لا يعلم عددهم وتفاوتَ إيمانهم إلا الله سبحانه ، قال تعالى {هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ}.

وإن من أسباب تفاوت الناس في الإيمان تفاوتهم في العلم بدلائل نبوته ﷺ فمن زاد علمه بآيات النبي ﷺ ودلائل نبوته زاد إيمانه وتصديقه ، ومن نقص علمه بها نقَص إيمانه وتصديقه.

وسنذكر في هذا المقام بعضاً مما جاء من دلائل نبوته ﷺ ومن علامات دالة على صدقه ، وأنه رسول من عند الله مما يزيد في الإيمان والاشتياق له عليه الصلاة والسلام.

نذر يسير

من دلائل نبوته ﷺ تشوقك لرؤيته

بداية نقول لقد شهد له أهل الكتاب بالنبوة ، منهم ورقة بن نوفل ، وكان رجلاً نصرانياً ، لما أخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بنزول الَملَك عليه قال : (هذا الناموس الذي أنزل الله على موسى) رواه البخاري .

وقال هرقل عظيم الروم لما بلغه خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال وهو جالس على كرسي ملكه (سيملك هذا الرجل موضع قدمي هاتين ، ولو أني اعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه) أخرجه البخاري ومسلم.

ومن دلائل نبوته : أنه كان أمياً لا يقرأ ولايكتب ، ولم يجالس أهل الكتاب ولم يعرف أخبارهم ، وجلس على هذا مدة أربعين سنة ، ثم أتى بهذا القرآن العظيم الذي فيه أعجب الكلام وأحسنه ، وفيه من الإخبار بالمغيبات و أحوال الأمم السابقة الشيء الكثير، الذي يَعلم منه العاقل أنه لا يأتي بمثله إلا رسول من عند الله، قال تعالى بعد ذكر قصة موسى عليه السلام : {وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا

إِلَى مُوسَى الأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ (44) وَلكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ}سورة القصص.

وقال بعد قصة نوح مع قومه {تِلْكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ}

ثم إنه صلى الله عليه وسلم تحدى الجن والإنس أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، فلم يستطع أحد منهم ذلك، بل تحداهم أن يأتوا بسورة واحدة منه فلم يقدروا ، هذا مع كثرة الخلق وطول الزمان ، وقد سمعه الموافق والمخالف والعرب والعجم ، فهو معجز في لفظه وفي نظمه، وفي إخباره بالغيوب، وفي أمره ونهيه ووعده ووعيده، وفي جلالته وعظمته وسلطانه على القلوب ، واذا تُرجم بغير العربية كانت معانيه أحسن المعاني وأتمها.

ومن دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم : إخباره عن الغيب الماضي والحاضر والمستقبل بأمور باهرة :

ففي صحيح مسلم عن أبي زيد عمرو بن أخطب رضي الله عنه (قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر ، ثم صعد على المنبر فخطبنا حتى حضر الظهر ، ثم نزل فصلى بنا ، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضر العصر ، ثم نزل فصلى بنا حتى غربت الشمس ، قال : وأخبرنا بما كان وما هو كائن).

وفي صحيح البخاري : شكى إليه رجل الفقر ، وشكى إليه آخر قطع الطريق ، فقال صلى الله عليه وسلم (والله ليأتي زمان ترتحل الظعينة من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لاتخاف أحدا إلا الله، ولَتُفْتَحَنَّ كنوز كسرى ويخرج الرجل ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله عنه فلا يجد أحدا يقبله منه).

قال الراوي : فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لاتخاف إلا الله ، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى.

قال شيخ الإسلام رحمه الله : وما أخبر به من خروج الرجل بملء كفه من ذهب أو فضة فلا يجد من يقبله ظهر كما أخبر في زمن عمر بن عبدالعزيز.

وأخبر صلى الله عليه وسلم بمصارع المشركين في بدر وقال : هنا يصرع فلان وهنا يصرع فلان ، فما ماط أحدهم عن الموضع الذي ذكره النبي صلى الله عليه وسلم.

ولما صعد أحدا وكان معه أبو بكر وعمر وعثمان اهتز الجبل فقال صلى الله عليه وسلم (اثبت فما عليك إلا نبي وصديق وشهيدان) فكان كما قال ، فمات عمر وعثمان شهيدين ، ومات الصديق على فراشه.

وبَشَّرَ عثمانَ بالجنة على بلوى تصيبه ، فكان كما قال ، فَقُتِل عثمان رضي الله عنه مظلوما في داره.

وأخبر فاطمة رضي الله عنها– أنها أول أهله لحوقاً به ، فكان كما قال.

وأخبر عن مقتل قواده الثلاث في معركة مؤتة قبل أن يصل الخبر إلى المدينة ، وأخبر عن موت النجاشي في الحبشة في اليوم الذي مات فيه ، والأخبار في ذلك كثيرة جداً.

ومن علامات نبوته: انشقاق القمر في عهده إلى نصفين، رأه الناس وشهدوا عليه.

ومن علامات نبوته صلى الله عليه وسلم: تسخير الجمادات له ، فعن ابن مسعود –رضي الله عنه– قال : (لقد كنا نأكل الطعام مع النبي صلى الله عليه وسلم ونحن نسمع تسبيح الطعام ، قال: وأتى النبي صلى الله عليه وسلم بإناء فوضع يده فيه فجعل الماء ينبع بين أصابعه) أخرجه البخاري.

وفي الصحيحين قال صلى الله عليه وسلم : (إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي قبل ان أبعث).

وعن جابر رضي الله عنه قال : كان المسجد مسقوفاً على جذوع النخل، فكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خطب يقوم إلى جذع منها ، فلما وضع المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتاً كصوت العشار ، حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليها فسَكَنَت) متفق عليه ، وفي رواية (فصاحت النخلة) فنزل النبي صلى الله عليه وسلم فضمَّها إليه فجعلت تئن أنين الصبي الذي يُسَكَّت حتى استقرت.

وعن عبد الله بن عمر . رضي الله عنهما . قال: (كنا مع رسول الله . صلى الله عليه و سلم . في سفر فأقبل أعرابي ، فلما دنا منه قال له رسول الله . صلى الله عليه وسلم . : أين تريد؟ ، قال : إلى أهلي ، قال: هل لك في خير؟ قال: وما هو ؟ قال : تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله ، قال : ومن يشهد على ما تقول ؟ ، قال : هذه السلمة (شجرة من أشجار البادية) ،فدعاها رسول الله . صلى الله عليه وسلم . وهي بشاطئ الوادي ، فأقبلت تخد (تشق) الأرض خدًا حتى قامت بين يديه ، فأستشهدها ثلاثًا فشهدت ثلاثًا أنه كما قال ، ثم رجعت إلى منبتها.

وكان صلى الله عليه وسلم مستجاب الدعوة:

فدعا لابن العباس بالفقه فكان من أفقه الصحابة ، ولأبي هريرة بالحفظ فكان أحفظهم ، ولأنس بكثرة المال والولد وطول العمر فحصل له ذلك.

وقال أنس رضي الله عنه: دخل رجل يوم الجمعة من باب كان قِبَل المنبر ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب، فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله هلكت المواشي وانقطعت السبل فادع الله أن يغيثنا . قال: فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه فقال: اللهم

اسقنا اللهم اسقنا اللهم اسقنا. قال أنس: ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة ولا شيئا، وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار، قال: فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس، فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت، فلم ينزل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ابتلت لحيته من الماء، قال: والله ما رأينا الشمس سبتا – يعني: أسبوعا – ، قال: ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب، فقال: يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله أن يمسكها قال: فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه ودعا، فانقطع المطر وخرجنا نمشي في الشمس.

إطلالة خاصة

على المحبة الشديدة من بعض الصحابة والصحابيات للنبي ﷺ

أحببت أن أذكر هنا ما فاتني ذكره في الرسالة الثالثة من هذه السلسلة المباركة من محبة بعض الصحابة والصحابيات للنبي ﷺ ، ولا يمكن استقصاء ذلك ولو في مجلدات.

1 /محبة أبي بكر الصديق رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم:

إن الحب الذي كان يحمله أبو بكر الصديق بين جوانحه لرسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكاد يوصف وهناك آثار كثيرة تدل على ذلك وسأكتفي هنا بذكر بعضها: روت عائشة أنه "لما اجتمع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا ثمانية وثلاثين رجلاً ألحّ أبو بكر رضي الله عنهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الظهور، فقال: يا أبا بكر إنا قليل، فلم يزل أبو بكر يلح حتى ظهر

رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتفرق المسلمون في نواحي المسجد كل رجل في عشيرته، وقام أبو بكر خطيباً ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس، فكان أول خطيب دعا إلى الله ورسوله، وثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين فضربوهم في نواحي المسجد ضرباً شديداً وضُرب أبو بكر ضرباً شديداً، ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصوفتين ويحرِّفهما في وجهه، ونزل على بطن أبي بكر رضي الله عنهم ، حتى ما يعرف وجهه من أنفه، وحمله بنو تميم في ثوب حتى أدخلوه منزله، وهم لا يشكون في موته، ثم رجعت بنو تميم فدخلوا المسجد وقالوا: والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة بن ربيعة فرجعوا إلى أبي بكر فجعل أبو قحافة وبنو تميم يكلمون أبا بكر حتى أجاب فتكلم آخر النهار، فقال: ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسوا منه بألسنتهم وعذلوه، وقالوا لأمه أم الخير، انظري أن تطعميه شيئاً أو تسقيه إياه، فلما خلت به ألحت عليه – ليأكل أو يشرب – فجعل يقول: ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: والله مالي علم بصحابك، فقال: اذهبي إلى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه، فخرجت حتى جاءت أم جميل، فقالت: إن أبا بكر سألك عن محمد بن عبد الله، فقال: ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبد الله، وإن كنت تحبين أن أذهب معك إلى ابنك؟ قالت: نعم فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعاً دنفاً، فدنت أم جميل، وأعلنت بالصياح وقالت: والله إن قوماً نالوا منك لأهل فسق وكفر، إنني لأرجو ان ينتقم الله لك منهم، قال: فما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت: هذه أمك تسمع؟ قال: (فلا شيء عليك منها) قالت: سالم صالح، قال: أين هو؟ قالت: في دار الأرقم، قال: فإن لله عليّ أن لا أذوق طعاماً ولا أشرب شراباً أو آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمهلتا – أي أمه وأم جميل. حتى إذا هدأت الرجل – أي قل الناس في الطرقات – وسكن الناس خرجتا به يتكئ عليهما، حتى أدخلتاه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكب رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه، وأكب عليه المسلمون، ورق له رسول الله صلى الله عليه وسلم رقة شديدة، فقال أبو بكر: بأبي وأمي يا رسول

الله ليس بي بأس إلا ما نال الفاسق من وجهي، وهذه أمي برة بولدها وأنت مبارك فادعها إلى الله، وادع الله لها عسى الله أن يستنقذها بك من النار، قال: فدعا لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاها إلى الله فأسلمت).

تأمل أخي الكريم كيف أبى أبو بكر رضي الله عنه أن يطعم شيئاً حتى تقر عينه برؤية النبي صلى الله عليه وسلم، وأعجب من ذلك أنه عند ما أفاق من إغمائه كان أول ما تكلم به (ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم)، هل سُمِع في تاريخ البشرية بحب كهذا الحب؟ .!

وفي قصة الهجرة : استأذن أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الهجرة، فقال له: (لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحباً)، فلما أذن الله ـ عز وجل ـ لنبيه بالهجرة قدم على أبي بكر يخبره بالأمر فقال له أبو بكر: "الصحبة يا رسول الله". فقال له: (الصحبة)، تقول عائشة ـ رضي الله عنها ـ: (فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحداً يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر يبكي يومئذ) رواه البخاري.

وأختم قصة أعظم حب بهذه الحادثة في حب أبي بكر للرسول صلى الله عليه وسلم ودفاعه عنه: عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قال: بينا النبي صلى الله عليه وسلم يصلي في حجر الكعبة إذ اقبل عقبة بن أبي معيط فوضع ثوبه في عنقه فخنقه خنقاً شديداً،فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال: (أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله) رواه البخاري.

وفي رواية أسماء رضي الله عنها "فترك الكفار النبي صلى الله عليه وسلم وأقبلوا على أبي بكر رضي الله عنه ،فرجع إلينا أبو بكر فجعل لا يمس شيئاً من غدائره إلا رجع معه "أي أنه تسلل شعر رأسه لكثرة ما شده المشركون منه"

2 / محبة من عمر بن الخطاب رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم:

عن عبد الله بن هشام قال: "كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو آخذٌ بيد عمر بن الخطاب، فقال له عمر "يا رسول الله لأنت أحب إليّ من كل شيء إلا من نفسي" فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا، والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك) فقال له عمر" فإنه الآن، والله لأنت أحب إلي من نفسي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم (الآن يا عمر) رواه البخاري .

وقال ابن حجر رحمه الله :" قال الخطابي: "حب الإنسان نفسه طبع وحب غيره اختيار بتوسط الأسباب، وإنما أراد عليه الصلاة والسلام حب الاختيار إذ لا سبيل إلى قلب الطباع وتغييرها عما جبلت عليه. قال ابن حجر: "قلت فعلى هذا جواب عمر أولاً كان بحسب الطبع، ثم تأمل فعرف بالاستدلال أن النبي صلى الله عليه وسلم أحب إليه من نفسه لكونه السبب في نجاته من المهلكات في الدنيا والآخرة، فأخبر عما اقتضاه الاختيار، ولذلك حصل الجواب من النبي صلى الله عليه وسلم بقوله (الآن يا عمر) أي الآن عرفت فنطقت بما يجب" اهـ

وقال أيضاً رحمه الله " وقال النووي : فيه تلميح إلى قضية النفس الأمارة والمطمئنة ، فإن من رجح جانب المطمئنة كان حبه للنبي – صلى الله عليه وسلم – راجحا ، ومن رجح جانب الأمارة كان حكمه بالعكس . وفي كلام القاضي عياض أن ذلك شرط في صحة الإيمان ; لأنه حمل المحبة على معنى التعظيم والإجلال . وتعقبه صاحب المفهم بأن ذلك ليس مرادا هنا ; لأن اعتقاد الأعظمية ليس مستلزما للمحبة ، إذ قد يجد الإنسان إعظام شيء مع خلوه من محبته . قال : فعلى هذا من لم يجد من نفسه ذلك الميل لم يكمل إيمانه ، وإلى هذا يومئ قول عمر الذي رواه المصنف في " الأيمان والنذور " من حديث عبد الله بن هشام أن عمر بن الخطاب قال للنبي صلى الله عليه وسلم (لأنت يا رسول الله أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي . فقال : لا والذي نفسي بيده ، حتى أكون أحب

إليك من نفسك . فقال له عمر : فإنك الآن والله أحب إلي من نفسي . فقال : الآن يا عمر) انتهى .

فهذه المحبة ليست باعتقاد الأعظمية فقط ، فإنها كانت حاصلة لعمر قبل ذلك قطعا . ومن علامة الحب المذكور أن يعرض على المرء أن لو خير بين فقد غرض من أغراضه أو فقد رؤية النبي – صلى الله عليه وسلم – أن لو كانت ممكنة ، فإن كان فقدها أن لو كانت ممكنة أشد عليه من فقد شيء من أغراضه فقد اتصف بالأحبية المذكورة ، ومن لا فلا . وليس ذلك محصورا في الوجود والفقد ، بل يأتي مثله في نصرة سنته والذب عن شريعته وقمع مخالفيها . ويدخل فيه باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وفي هذا الحديث إيماء إلى فضيلة التفكر ، فإن الأحبية المذكورة تعرف به ، وذلك أن محبوب الإنسان إما نفسه وإما غيرها . أما نفسه فهو أن يريد دوام بقائها سالمة من الآفات ، هذا هو حقيقة المطلوب . وأما غيرها فإذا حقق الأمر فيه فإنما هو بسبب تحصيل نفع ما على وجوهه المختلفة حالا ومآلا . فإذا تأمل النفع الحاصل له من جهة الرسول – صلى الله عليه وسلم – الذي أخرجه من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان إما بالمباشرة وإما بالسبب علم أنه سبب بقاء نفسه البقاء الأبدي في النعيم السرمدي ، وعلم أن نفعه بذلك أعظم من جميع وجوه الانتفاعات ، فاستحق لذلك أن يكون حظه من محبته أوفر من غيره ؛ لأن النفع الذي يثير المحبة حاصل منه أكثر من غيره ، ولكن الناس يتفاوتون في ذلك بحسب استحضار ذلك والغفلة عنه . ولا شك أن حظ الصحابة رضي الله عنهم من هذا المعنى أتم ؛ لأن هذا ثمرة المعرفة ، وهم بها أعلم ، والله الموفق .

ومما يدلك أخي القارئ على شدة محبة عمر رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم قوله للعباس رضي الله عنه (لأن تسلم أحب إلي من أن يسلم الخطاب لأن ذلك أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم).ذكره في الشفا للقاضي عياض.

وانظر إلى موقف عمر عند وفاة النبي صلى الله عليه وسلم تجد المحبة التي لا نظير لها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال "لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم "قام عمر بن الخطاب فقال: (إن رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توفي، وإن رسول الله ما مات، ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران، فقد غاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع إليهم بعد أن قيل قد مات، والله ليرجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رجع موسى فليقطعنّ أيدي رجال وأرجلهم زعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات).

فلما جاء أبو بكر وتلا على الناس قوله تعالى: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ) (آل عمران:144) قال عمر رضي الله عنه: "فو الله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعقرت – دهشت – حتى وقعت إلى الأرض ما تحملني رجلاي وعرفت أن رسول الله قد مات " رواه البخاري .

إن عمر رضي الله عنه لم يتحمل الصدمة حتى قال ما قال، ولكن لما تحقق الأمر لديه خر مغشياً عليه، وهل يُدهش بهذه الصورة إلا محب شديد المحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ..اللهم ارزقنا حبه كما رزقته لعمر رضي الله عنه .

وأختم هذه المحبة العمرية لخير البرية صلى الله عليه وسلم بما ذكره كُتَّاب التراجم "كان عمر رضي الله عنه يقسم المال ويفاضل بين الناس على السابقة والنسب ففرض لأسامة بن زيد أربعة آلاف وفرض لابنه عبد الله بن عمر ثلاثة آلاف فقال ابنه عمر " يا أبت فرضت لأسامة بن زيد أربعة آلاف وفرضت لي ثلاثة آلاف؟ فما كان لأبيه من الفضل ما لم يكن لك، وما كان له من الفضل ما لم يكن

لي؟ فقال عمر "إن أباه كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبيك، وهو كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك ."

3 /محبة حبيب بن زيد رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم:

ازداد شر مسيلمة الكذاب واستشرى فساده فرأى الرسول صلوات الله وسلامه عليه أن يبعث إليه برسالة يزجره فيها عن غيه وندب لحمل الرسالة بطل قصتنا حبيب بن زيد. وكان يومئذٍ شاباً فاخر الشباب مكتمل الضياء مؤمناً من قمة رأسه إلى أخمص قدميه .

مضى حبيب بن زيد رضي الله عنه إلى ما أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم غير وانٍ ولا متريث ترفعه النجاد وتحطه الوهاد حتى بلغ ديار بني حنيفة في أعالي نجد ودفع الرسالة إلى مسيلمة .

فما كاد مسيلمة يقف على ما جاء فيها حتى انتفخ صدره ضغينة وحقداً وبدا الشر والغدر على قسمات وجهه الدميم الأصفر، وأمر بحبيب بن زيد أن يقيد وأن يؤتى به إليه ضحى اليوم التالي .

فلما كان الغد تصدَّر مسيلمة مجلسه وجعل عن يمينه وعن شماله الطواغيت من كبار أتباعه وأذن للعامة بالدخول عليه ثم أمر بحبيب بن زيد فجيء به إليه وهو يرسف في قيوده وقف حبيب بن زيد وسط هذه الجموع الحاشدة الحاقدة مشدود القامة مرفوع الهامة، شامخ الأنف، وانتصبه بينها كرمح سمهري أحكم المثقفون تقويمه .

فالتفت إليه مسيلمة وقال: أتشهد أن محمداً رسول الله؟

فقال: نعم اشهد أن محمداً رسول الله .

فتغير مسيلمة غيظاً وقال: وتشهد أني رسول الله؟

فقال حبيب في سخرية لاذعة: إن في أذني صمماً عن سماع ما تقول .

فامتقع وجه مسيلمة وارتجفت شفتاه حنقاً وقال لجلاده اقطع قطعة من جسده، فأهوى الجلاد على حبيب بسيفه وبتر قطعة من جسده فتدحرجت على الأرض ،ثم أعاد مسيلمة عليه السؤال نفسه: اتشهد أن محمداً رسول الله؟

قال: نعم أشهد أن محمداً رسول الله .

قال: وتشهد أني رسول الله؟

قال: قلت لك: إن في أذني صمما عن سماع ما تقول .

فأمر بأن تقطع من جسده قطعة أخرى فقطعت وتدحرجت على الأرض حتى استوت إلى جانب أختها والناس شاخصون بأبصارهم إليه، مذهولون من قوة تصميمه وعناده .

ومضى مسيلمة يسأل والجلاد يقطع وحبيب يقول: أشهد أن محمداً رسول الله ؟

حتى صار نحواً من نصفه بضعا مقطعة منثورة على الأرض ونصفه الآخر كتلة تتكلم. ثم فاضت روحه وعلى شفتيه الطاهرتين اسم النبي صلى الله عليه وسلم الذي بايعه ليلة العقبة أشهد محمد رسول الله .

4 /محبة أبي طلحة الأنصاري رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم:

أحب أبو طلحة زيد بن سهل النجاري الأنصاري رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حباً خالط شفاف قلبه، وجرى مجرى الدم من عروقه، فكان لا يشبع من النظر إليه، ولا يرتوي من الاستماع إلى عذب حديثه. وكان إذا بقي معه جثا بين يديه وقال له: نفسي لنفسك الفداء، ووجهي لوجهك الوقاء .

فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فنفذ إليه المشركون من كل جانب، فكسروا رباعيته وشجوا جبينه، وجرحوا شفته، وأسالوا الدم على وجهه .

حتى إن المرجفين أرجفوا بأن محمداً قد قتل فازداد المسلمون وهنا على وهن وأعطوا ظهورهم لأعداء الله. عند ذلك لم يثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غير نفر قليل في طليعتهم أبو طلحة انتصب أبو طلحة أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم كالطود الراسخ بينما وقف النبي عليه الصلاة والسلام خلفه يتترس به .

ثم وَتَرَ أبو طلحة قوسه التي لا تُفلُّ وركَّبه عليها سهامه التي لا تخطئ؛ وجعل يذود بها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرمي جنود المشركين واحداً إثْرَ واحد .

وكان النبي عليه الصلاة والسلام يتطاول من خلف أبي طلحة رضي الله عنه ليرى مواقع سهامه فكان يرده خوفاً عليه ويقول له: " بأبي أنت وأمي لا تشرف عليهم فيصيبوك، إن نحري دون نحرك وصدري دون صدرك وجُعلتُ فداك ."

وكان الرجل من جند المسلمين يمر برسول الله صلى الله عليه وسلم هارباً ومعه الجعبة من السهام، فينادي عليه النبي صلى الله عليه وسلم ويقول له :(انثُر سهامك بين يدي أبي طلحة ولا تمض بها هارباً) .

وما زال أبو طلحة رضي الله عنه يدافع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كسر ثلاثة أقواس، وقتل ما شاء الله أن يقتل من جنود المشركين. ثم انجلت المعركة وسلم الله نبيه صلى الله عليه وسلم وصانه بصونه. وكما كان أبو طلحة جواداً بنفسه في سبيل الله في ساعات اليأس، فقد كان أكثر جوداً بماله في مواقف البذل .

5 /محبة خبيب بن عدي رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة رهط سرية عينا وأمر عليهم عاصم بن ثابت الأنصاري جد عاصم بن عمر بن الخطاب فانطلقوا حتى إذا كانوا بالهدأة وهو بين عسفان ومكة ذكروا لحي من هذيل يقال لهم بنو لحيان فنفروا لهم قريبا من مائتي رجل كلهم رام فاقتصوا آثارهم حتى وجدوا مأكلهم تمرا تزودوه من المدينة فقالوا هذا تمر يثرب فاقتصوا آثارهم فلما رآهم عاصم وأصحابه لجؤا إلى فدفد وأحاط بهم القوم فقالوا لهم : انزلوا وأعطونا بأيديكم ولكم العهد والميثاق ولا نقتل منكم أحدا قال عاصم بن ثابت أمير السرية أما أنا فوالله لا أنزل اليوم في ذمة كافر اللهم أخبر عنا نبيك فرموهم بالنبل فقتلوا عاصما في سبعة فنزل إليهم ثلاثة رهط بالعهد والميثاق منهم خبيب الأنصاري وابن دثنة ورجل آخر فلما استمكنوا منهم أطلقوا أوتار قسيهم فأوثقوهم فقال الرجل الثالث هذا أول الغدر والله لا أصحبكم إن في هؤلاء لأسوة يريد القتلى فجرروه وعالجوه على أن يصحبهم فأبى فقتلوه فانطلقوا بخبيب وابن دثنة حتى باعوهما بمكة بعد وقعه بدر فابتاع خبيبا بنو الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف وكان خبيب هو قتل الحارث بن عامر يوم بدر فلبث خبيب عندهم أسيرا فأخبرني عبيد الله بن عياض أن بنت الحارث أخبرته أنهم حين اجتمعوا استعار منها موسى يستحد بها فأعارته فأخذ ابنا لي وأنا غافلة حين أتاه قالت فوجدته مجلسه على فخذه والموسى بيده ففزعت فزعة عرفها خبيب في وجهي فقال تخشين أن أقتله ما كنت لأفعل ذلك والله ما رأيت أسيرا قط خيرا من خبيب والله لقد وجدته يوما يأكل من قطف عنب في يده وإنه لموثق في الحديد وما بمكة من ثمر وكانت تقول إنه لرزق من الله رزقه خبيبا فلما خرجوا من الحرم ليقتلوه في الحل قال لهم خبيب ذروني أركع ركعتين فتركوه فركع ركعتين ثم قال لو لا أن تظنوا أن ما بي جزع لطولتها اللهم أحصهم عددا :

ولست أبالي حين أقتل مسلما على أي شق كان لله مصرعي

وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزع

فقتله بن الحارث فكان خبيب هو سن الركعتين لكل امرئ مسلم قتل صبرا فاستجاب الله لعاصم بن ثابت يوم أصيب فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه خبرهم وما أصيبوا وبعث ناس من كفار قريش إلى عاصم حين حدثوا أنه قتل ليؤتوا بشيء منه يعرف وكان قد قتل رجلا من عظمائهم يوم بدر فبعث على عاصم مثل الظلة من الدبر فحمته من رسولهم فلم يقدروا على أن يقطعوا من لحمه شيئا " . أخرجه البخاري و النسائي و أبو داود .

وفي بعض الروايات : فقال له أبو سفيان (أيسرك أن محمدا عندنا نضرب عنقه وإنك في أهلك ؟ فقال لا والله ما يسرني إني في أهلي وأن محمدا في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه) .

6/ محبة عمرو بن العاص رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم :

عن عبد الرحمن بن شماسة قال: (دخلنا على عمرو بن العاص وهو في سياقة الموت، فحول وجهه إلى الجدار وجعل يبكي طويلاً، فجعل ابنه يقول: يا أبتِ، ألم يبشرك النبي صلى الله عليه وآله وسلم بكذا وكذا؟ يهدئ من روعه وبكائه.

قال: فالتفت إلينا وقال: إن أفضل ما نعد لهذا اليوم شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، لقد رأيتني على أطباق ثلاث –أي: على ثلاث مراحل من حياتي– لقد رأيتني وما أحدٌ أشد بغضاً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم مني، ولا أحب إليّ من أن أكون استمكنت منه فقتلته، وإذا مت وأنا على هذه الحال لكنت من أهل النار.

فلما أسلمتُ جئت النبي صلى الله عليه وسلم، فقلت: يا رسول الله! ابسط يدك فلأبايعك، قال: فبسط يده، قال: فقبضت يدي، فقال لي: مالك يا عمرو ؟ قلت: أردت أن أشترط، قال: تشترط ماذا؟ قلت: أشترط أن يغفر لي، قال: يا عمرو ، أو ما علمت أن الإسلام يهدم ما قبله، وأن الحج يهدم ما قبله، وأن الهجرة تهدم ما قبلها، قال عمرو : فما كان أحدٌ أحبَّ إليَّ من النبي صلى الله عليه وسلم، ووالله ما كنت أستطيع أن أُحِد النظر إليه إجلالاً له، ولئن سألتموني أن أصفه لكم لما استطعت؛ لأني ما كنت أطيق أن أُحِدّ النظر إليه تعظيماً له، فإن مت على هذه الحال لرجوت أن أكون من أهل الجنة، ثم حدثت أمور وولينا أشياء يغفر الله لنا) رواه مسلم.

7 /محبة سعد بن الربيع رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم:

عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد أطلب سعد بن الربيع فقال لي إن رأيته فأقرئه مني السلام وقل له يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تجدك ؟ قال فجعلت أطوف بين القتلى فأتيته وهو بآخر رمق وبه سبعون ضربة ما بين طعنة برمح وضربة بسيف ورمية بسهم فقلت يا سعد إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ عليك السلام ويقول لك أخبرني كيف يجدك ؟ فقال وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم السلام قل له يا رسول الله أجد ريح الجنة . وقل لقومي الأنصار لا عذر لكم عند الله أن يخلص إلى رسول صلى الله عليه وسلم وفيكم عين تطرف ، وفاضت روحه من وقته) رواه البخاري ومسلم.

8 /محبة عبد الله بن الزبير رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم:

كان النبي صلى الله عليه وسلم قد احتجم في طست فأعطاه عبد الله بن الزبير ليريقه فشربه فقال له: (لا تمسك النار إلا تحلة القسم، وويل لك من الناس، وويل للناس منك).

وفي رواية: أنه قال له: (يا عبد الله اذهب بهذا الدم فأهريقه حيث لا يراك أحد) فلما بعُد عمد إلى ذلك الدم فشربه، فلما رجع قال: (ما صنعت بالدم؟) قال: إني شربته لأزداد به علماً وإيماناً، وليكون شيء من جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم في جسدي، وجسدي أولى به من الأرض فقال: (ابشر لا تمسك النار أبداً، وويل لك من الناس وويل للناس منك) رواه الحاكم و الطبراني وقال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح غير هنيد بن القاسم و هو ثقة.

أما محبة الصحابيات له صلى الله عليه وسلم فكانت أيضاً شديدة : سأورد بعض الآثار الدالة على حب النساء للنبي صلى الله عليه وسلم حتى لا تكون المرأة المسلمة في هذا العصر بمنأى عن ذلك الحب الذي هو فرض على الرجال والنساء على حد سواء كما سبق ذكره .

1 /امرأة من الأنصار وحبها للنبي المختار صلى الله عليه وسلم: لما كان يوم أحد وقُتلَ من قُتلَ من الصحابة خرجت امرأة من الأنصار تسأل عن الأخبار، فاستقبلها الناس بأخيها – أي شهيداً – فقالت مَنْ هذا؟ قالوا: أخوك، فقالت: ما فعل رسول الله؟ فقالوا لها: أمامك، فسارت، ثم استقبلوها بأبيها فقالت: من هذا؟ فقيل أبوك؟ قالت: ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا: أمامك فواصلت سيرها، وهكذا لقيها الناس بابنها وزوجها وهي تقول ما فعل رسول الله؟ فمشت حتى وصلت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخذت بناحية ثوبه ثم قالت: "بأبي أنت وأمي يا رسول الله لا أبالي إذا سلمت مَنْ عُطِبْ " أي من أصيب، فالمهم عندها سلامة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فانظر أيها المحب وأيتها المحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف لم تبال هذه المرأة باستشهاد أعز الناس لديها وأحب الناس إلى قلبها: الأب والابن والأخ وقبل هؤلاء الزوج ولكن فيما يبدو لي أن فرحها بسلامة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنساها الحزن على هؤلاء كلهم جميعاً .

2 /نسيبة بنت كعب المازنية تدافع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد:

يقول الذهبي رحمه الله تعالى : (الفاضلة المجاهدة الأنصارية، شهدت ليلة العقبة وشهدت أحداً والحديبية ويوم حنين، ويوم اليمامة وجاهدت، وكان من خبرها يوم أحد: تراها يومئذ تقاتل أشد القتال، وإنها لحاجزة ثوبها على وسطها، حتى جرحت ثلاثة عشر جرحاً، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لمقام نسيبة بنت كعب اليوم خير من مقام فلان وفلان) ولم تكن نسيبة تدافع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسها فقط وابناها حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم داعياً لهم" اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة" فقالت نسيبة عند ما سمعت هذا الدعاء "ما أبا لي ما أصابني من الدنيا".ونسيبة هذه هي أم حبيب بن زيد الذي ذكرنا قصته قبل قليل.

3/ قصة الشابة التي خطبها جليبيب رضي الله عنها وعنه:

كان جليبيب من صحابة النبي صلى الله عليه وسلم وفيه دمامة في وجهه تمنع النساء من قبول الزواج به، فأرسله النبي صلى الله عليه وسلم إلى رجل من الأنصار اسمه عمرو بن عوف يخطب عليه ابنته، فقال جليبيب: يخطب عليكم النبي صلى الله عليه وسلم ابنتكم، ففرح الأب بذلك وفرحت الأم بهذا النسب؛ ظنًّا منهما أن الزواج لرسول الله، فوضح لهما جليبيب أن الخطبة له هو وليست لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخذا يعتذران ويتملصان من الموافقة، والفتاة تسمع ما يدور، فتكلمت من وراء حجاب: (أتردَّان على رسول الله أمره، قد رضيت ما رضيه لي النبي صلى الله عليه وسلم))، فتزوجها جليبيب، ودعا لها النبي صلى الله عليه وسلم: (اللهم لا تجعل عيشها كدًّا كدًّا، وصب الخير عليها صبًّا صبًّا)، فكانت أكثر النساء مالًا، وأكثرهن بركة.

الرسالة السادسة

شَفَـقَتـُه عَلى أُمَّتِهِ ﷺ

تَجْعلُكَ تُحِبُّه وتَشتاقُ لِرؤْيَتِهِ ﷺ

ستجد فيها:

- **صور ومظاهر حب النبي ﷺ لأمته وشفقته عليها.**
- **من العجائب والبشائر أن سيدنا محمد ﷺ يشتاق إلينا ويحبنا ويود أن يرانا.**
- **إشارة إلى شئ من عظمته التي تدفعك إلى محبته ﷺ.**

صور ومظاهر

من محبة النبي ﷺ لأمته وشفقته عليها

في السيرة النبوية كثيرة، ولم يُؤْثَر عن نبي من الأنبياء عليهم السلام ذلك الحرص والحب الشديد لأمته كما أثِر عن نبينا صلوات الله وسلامه عليه، وصدق الله تعالى حين قال: (لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ) (التوبة:28).

قال ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره: "وقوله: (عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ) أي: يعز عليه الشيء الذي يعنت أمته ويشق عليها، {حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ} أي: على هدايتكم ووصول النفع الدنيوي والأخروي إليكم".

وقال السعدي رحمه الله تعالى في تفسيره: (أي شديد الرأفة والرحمة بهم، أرحم بهم من والديهم، ولهذا كان حقّه مقدماً على سائر حقوق الخلق، وواجب على الأمة الإيمان به وتعظيمه وتعزيره وتوقيره).

والناظر في السيرة النبوية المشرفة يجد صوراً وأمثلة كثيرة تدل على مدى حب النبي صلى الله عليه وسلم لأمته، نذكر منها:

دعوته ﷺ لأمته في كل صلاة:

عن عائشة أنها قالت: لما رأيت من النبي – صلى الله عليه وسلم – طيب نفس قلت: يا رسول الله، ادع الله لي، فقال: (اللهم اغفر لعائشة ما تقدَّم من ذنبها وما تأخر، ما أسرَّتْ وما أعلنتْ)، فضحكت عائشة حتى سقط رأسها في حجرها من الضحك، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أيسرُّك دعائي؟) فقالت: وما لي لا يسرُّني دعاؤك؟ فقال صلى الله عليه وسلم : (والله إنها لدعائي لأمَّتي في كل صلاة) صحيح ابن حبان (16: 47) رقم: (7111)، قال الأرناؤوط: إسناده حسن.

استغفاره ﷺ لأمته:

عن عبدالله عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: (إن لله ملائكةً سيَّاحين يبلِّغوني عن أمتي السلام)، قال: وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (حياتي خيرٌ لكم، تحدِّثون ونحدِّث لكم، ووفاتي خير لكم، تُعرَض عليَّ أعمالكم، فما رأيت من خير حمِدت الله عليه، وما رأيت من شر استغفرتُ الله لكم) [أخرجه النسائي (1282)، وأحمد (3666)، والبزار ؛ قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رجاله رجال الصحيح ؛ وقال السيوطي في الخصائص الكبرى : إسناده صحيح وجود إسناده القسطلاني في إرشاد الساري].

وأجاب ابن حجر الهيتمي عندما سُئل عن معنى الحديث، بقوله: الإشكال إنما يأتي على تقدير "خير" أفعل تفضيل، وليس كذلك، وإنما هي للتفضيل لا للأفضلية؛ نحو: ﴿أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ﴾ [فصلت: 40]، ﴿خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا﴾ [الفرقان: 24]، ففي كلٍّ من حياته وموته – صلى الله عليه وسلم – خيرٌ، إلا أن أحدهما أخيرُ من الآخر، و"خير" يرادُ بها كلٌّ من الأمرين، فإن أريد بها مجرد التفضيل فضدها الشر، ولا حذف فيها، وتأنيثها خَيْرة، وجمعها خيْرات، وهي الفاضلات من كل شيء، وإن أريد بها الأفضلية وُصِلت بمن، وكان أصلها أخير حذفت همزتها تخفيفًا، ويقابلها شر التي أصلها أشر، ولا تؤنَّث ولا تثنى ولا تجمع.[24]

شفاعته ﷺ لأمته:

عن معبد بن هلال العنزي قال: اجتمعنا – ناسًا من أهل البصرة – فذهبنا إلى أنس بن مالك، وذهبنا معنا بثابتٍ البُناني إليه يسأله لنا عن حديث الشفاعة، فإذا هو في قصره، فوافقناه يصلي الضحى، فاستأذنَّا فأذِن لنا وهو قاعد على فراشه، فقلنا لثابت: لا تسأله عن شيء أول من حديث الشفاعة، فقال: يا أبا حمزة، هؤلاء إخوانك من أهل البصرة جاؤوك يسألونك عن حديث الشفاعة، فقال: حدثنا محمَّدٌ – صلى الله عليه وسلم – قال: (إذا كان يوم القيامة ماج الناسُ بعضهم في بعض، فيأتون آدم فيقولون: اشفع لنا إلى ربك، فيقول: لستُ لها، ولكن عليكم بإبراهيم؛ فإنه خليل الرحمن، فيأتون إبراهيم، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بموسى؛ فإنه كليمُ الله، فيأتون موسى، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بعيسى؛ فإنه رُوحُ الله وكلمتُه، فيأتون عيسى، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بمحمد – صلى الله عليه وسلم – فيأتوني فأقول: أنا لها، فأستأذنُ على ربي، فيؤذَن لي، ويلهمني محامدَ أحمده بها لا تحضرني الآن، فأحمده بتلك المحامد، وأخِرُّ له ساجدًا، فيقول: يا محمد، ارفع رأسك وقل يسمع لك، وسَلْ تُعْطَ، واشفع تشفَّع، فأقول: يا رب، أمتي أمتي، فيقول: انطلق فأخرجْ منها من كان في قلبه مثقالَ شَعيرة من إيمان، فأنطلق فأفعل، ثم أعود فأحمده بتلك المحامد، ثم أخرُّ له ساجدًا، فيقال:

يا محمد، ارفع رأسك، وقل يسمعْ لك، وسَلْ تُعْطَ، واشفع تشفَّع، فأقول: يا رب، أمتي أمتي، فيقول: انطلق فأخرجْ منها من كان في قلبه مثقالَ ذرة أو خردلة من إيمان فأخرجْه، فأنطلق فأفعل، ثم أعود فأحمدُه بتلك المحامد ثم أخرُّ له ساجدًا، فيقول: يا محمد، ارفع رأسَك، وقل يسمعْ لك، وسَلْ تُعْطَ، واشفع تشفَّع، فأقول: يا رب، أمتي أمتي، فيقول: انطلق فأخرجْ من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال حبة خردل من إيمان فأخرجْه من النار، فأنطلقُ فأفعل).

فلما خرجنا من عند أنس قلت لبعض أصحابنا: لو مررنا بالحسن وهو متوارٍ في منزل أبي خليفة فحدثناه بما حدثنا أنس بن مالك، فأتيناه فسلمنا عليه فأذن لنا، قلنا له: يا أبا سعيد، جئناك من عند أخيك أنس بن مالك فلم نَرَ مِثْل ما حدثنا في الشفاعة، فقال: هيه، حدثناه بالحديث فانتهى إلى هذا الموضع، فقال: هيه، فقلنا: لم يزدْ لنا على هذا، فقال: لقد حدَّثني وهو جميع منذ عشرين سنةً فلا أدري أنسِي أم كرِهَ أن تتكلوا؟ قلنا: يا أبا سعيد، فحدِّثْنا، فضحك، وقال: خُلق الإنسان عجولاً، ما ذكرته إلا وأنا أريد أن أحدِّثكم، حدثني كما حدثكم به قال: (ثم أعود الرابعة فأحمده بتلك المحامد ثم أخرُّ له ساجدًا، فيقال: يا محمد، ارفع رأسك، وقل يسمع، وسلْ تُعْطَهْ، واشفع تشفَّع، فأقول: يا رب، ائذن لي فيمن قال لا إله إلا الله، فيقول: وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجنَّ منها من قال لا إله إلا الله) متفق عليه.

وعن عبادة بن الصامت قال: فقد النبي – صلى الله عليه وسلم – ليلةً أصحابَه، وكانوا إذا نزلوا أنزلوه أوسطهم، ففزعوا وظنوا أن الله – تبارك وتعالى – اختار له أصحابًا غيرهم، فإذا هم بخيال النبي – صلى الله عليه وسلم – فكبَّروا حين رأوه، قالوا: يا رسول الله، أشفقْنا أن يكون الله – تبارك وتعالى – اختار لك أصحابًا غيرنا، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: (لا، بل أنتم أصحابي في الدنيا والآخرة، إن الله – تعالى – أيقظني فقال: يا محمد، إني لم أبعث نبيًّا ولا رسولاً إلا وقد سألني مسألةً أعطيتها إياه، فاسأل يا محمد تُعْطَ، فقلت: مسألتي شفاعة لأمتي يوم القيامة)، فقال أبو بكر:

يا رسول الله، وما الشفاعة؟ قال: (أقول: يا رب، شفاعتي التي اختبأتُ عندك، فيقول الرب – تبارك وتعالى –: نعم، فيخرج ربي – تبارك وتعالى – بقيةَ أمتي من النار فيَنْبِذُهم في الجنة) رواه أحمد.

شفقته ﷺ على أمته:

عن عبدالله بن عمرو بن العاص: أن النبي – صلى الله عليه وسلم – تلا قول الله – عز وجل – في إبراهيم: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [إبراهيم: 36] الآية، وقال عيسى – عليه السلام –: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: 118]، فرفع يديه وقال: (اللهم أمتي أمتي)) وبكى، فقال الله – عز وجل –: يا جبريل، اذهب إلى محمد – وربُّك أعلم – فسَلْه: ما يبكيك؟ فأتاه جبريل – عليه الصلاة والسلام – فسأله، فأخبره رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بما قال، وهو أعلم، فقال الله: يا جبريل، اذهب إلى محمد فقل: إنَّا سنرضيك في أمَّتك ولا نسوءك) رواه مسلم.

مخافته ﷺ على أمته أن يصيبها العذاب:

عن عبدالله بن عمرو قال: انكسفت الشمسُ على عهد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقام رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فلم يكَدْ يركع ثم ركع، فلم يكد يرفع ثم رفع، فلم يكد يسجد ثم سجد، فلم يكد يرفع ثم رفع، فلم يكد يسجد ثم سجد، فلم يكد يرفع ثم رفع، وفعل في الركعة الأخرى مثل ذلك، ثم نفخ في آخر سجوده فقال: (أف أف)، ثم قال: (رب، ألم تعدني ألا تعذبهم وأنا فيهم، ألم تعدني ألا تعذبَهم وهم يستغفرون)، ففرغ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من صلاته وقد أمحصت الشمس) متفق عليه.

وعن عائشة – رضي الله عنها – أنها قالت للنبي – صلى الله عليه وسلم –: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: (لقد لقيتُ من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة؛ إذ

عرضتُ نفسي على ابن عبديالِيل بن عبدكلال فلم يُجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقَرْن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرتُ فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومِك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك مَلَكَ الجبالِ لتأمره بما شئتَ فيهم، فناداني مَلَكُ الجبال، فسلَّم عليَّ، ثم قال: يا محمد، فقال ذلك فيما شئتَ، إن شئتَ أن أُطْبِق عليهم الأخشبين، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم –: بل أرجو أن يخرج اللهُ من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا) متفق عليه.

نحره ﷺ الأضاحي بدلاً عن فقراء أمته:

عن أبي رافع مولى رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كان إذا ضحَّى اشترى كبشينِ سمينين أقرنين أملحين، فإذا صلَّى وخطب الناسَ أتى بأحدهما وهو قائمٌ في مصلاَّه فذبحه بنفسه بالمدية، ثم يقول: (اللهم، إن هذا عن أمتي جميعًا ممن شهد لك بالتوحيدِ، وشهد لي بالبلاغ)، ثم يؤتى بالآخر فيذبحُه بنفسه ويقول: (هذا عن محمد وآل محمَّد، فيطعمهما جميعًا المساكين، ويأكل هو وأهلُه منهما، فمكثنا سنين ليس رجلٌ من بني هاشم يضحي قد كفاه اللهُ المؤونة برسول الله – صلى الله عليه وسلم – والغُرْم) رواه أحمد والحاكم وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

دفعه ﷺ للمشقة عن أمته: ولهذا صور كثيرة منها:

خفف عنهم الجهاد :عن أبي هريرة عن النبي – صلى الله عليه وسلم –: قال: ((انتدب اللهُ لمن خرج في سبيله لا يُخرجه إلا إيمان بي وتصديق برسلي أن أرجعَه بما نال من أجر أو غنيمة أو أُدخلَه الجنة، ولولا أن أشق على أمتي ما قعدت خلف سَرية، ولوددت أني أُقْتل في سبيل الله، ثم أَحيا، ثم أقتل، ثم أحيا، ثم أقتل)) رواه البخاري.

تأخيره ﷺ للعشاء إلى وقت لأفضليته:

عن عبد الله بن عمر: أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – شُغل عنها ليلةً فأخَّرها حتى رقدنا في المسجد، ثم استيقظنا، ثم رقدنا، ثم استيقظنا، ثم خرج علينا النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال: ((ليس أحد من أهل الأرض ينتظر الصلاةَ غيركم))، وكان ابن عمر لا يبالي أقدَّمها أم أخَّرها إذا كان لا يخشى أن يغلِبَه النومُ عن وقتها، وكان يرقد قبلها، قال ابن جريج: قلت لعطاء وقال: سمعت ابن عباس يقول: أعتم رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – ليلةً بالعِشاء حتى رقد الناس واستيقظوا ورقدوا واستيقظوا، فقام عمر بن الخطاب فقال: الصلاة، قال عطاء: قال ابن عباس: فخرج نبي الله – صلى الله عليه وسلم – كأني أنظر إليه الآن يقطر رأسُه ماءً واضعًا يده على رأسه، فقال: ((لولا أن أشقَّ على أمتي لأمرتُهم أن يصلوها هكذا، فاستثبتُّ عطاءً كيف وضع النبيُّ – صلى الله عليه وسلم – يدَه على رأسه، كما أنبأه ابنُ عباس، فبدَّد لي عطاء بين أصابعه شيئًا من تبديد، ثم وضع أطراف أصابعه على قَرْن الرأس، ثم ضمها يمرها كذلك على الرأس حتى مست إبهامُه طرَف الأذن، مما يلي الوجهَ على الصُّدغ، وناحية اللحية، لا يقصِّر ولا يبطش إلا كذلك، وقال: ((لولا أن أشقَّ على أمتي لأمرتُهم أن يصلُّوا هكذا)) رواه البخاري.

لم يوجب علينا ﷺ السواك عند كل وضوء وصلاة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لولا أن أشقَّ على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل وضوء) رواه البخاري.

وعنه أيضا : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لولا أن أشقَّ على أمتي أو على الناس لأمرتُهم بالسواك مع كل صلاة) رواه البخاري.

شفقته ﷺ على أمته أن تدخل النار:

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنه سمع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: (إنما مثَلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد نارًا، فلما أضاءت ما حوله جعل الفراشُ وهذه الدواب التي تقع في النار يقعْنَ فيها، فجعل يزَعُهُّن ويغلِبْنَه فيقتحمنَ فيها، فأنا آخذ بحُجَزِكم عن النار، وأنتم تقتحمون فيها) رواه البخاري.

عن أبي هريرة عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فذكر أحاديث منها: وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مثلي كمثل رجل استوقد نارًا فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب التي في النار يقعْنَ فيها، وجعل يحجزهن ويغلِبْنه فيتقحمن فيها، قال: فذلكم مثلي ومثَلكم، أنا آخذ بحجزكم عن النار: هلمَّ عن النار، هلمَّ عن النار، فتغلبوني تقتحمون فيها) رواه مسلم.

حرصه ﷺ على دعوة أمته وهديها:

قال تعالى : ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: 6]، وقال تعالى : ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [فاطر: 8]، وقال تعالى : ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: 56].

وعن قبيصة بن المخارق وزهير بن عمرو قالا: لَمَّا نزلت ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: 214]، قال: انطلق نبيُّ الله – صلى الله عليه وسلم – إلى رَضْمَةٍ من جبَلٍ فعَلاَ أعلاها حجرًا ثم نادى: (يا بني عبد مناف، إني نذير، إنما مثَلي ومثلكم كمثل رجل رأى العدو، فانطلق يربأ أهلَه، فخشي أن يسبقوه، فجعل يهتفُ يا صباحاه) رواه مسلم.

وعن عبدالله بن بريدة عن أبيه قال: خرج إلينا النبي – صلى الله عليه وسلم – يومًا، فنادى ثلاث مرار فقال: (يا أيها الناس، تدرون ما مثلي ومثلكم؟)، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: (إنما مثلي ومثلكم مثل قوم خافوا عدوًّا يأتيهم فبعثوا رجلاً يترَايَا لهم، فبينما هم كذلك؛ أبصر العدوَّ، فأقبل لينذرَهم، وخشي أن يدركَه العدوُّ قبل أن يُنذرَ قومه، فأهوى بثوبه: أيها الناس، أُتِيتم، أيها الناس، أُتِيتم) ثلاث مرار) رواه أحمد.

وعن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إنما مثلي ومثل ما بعثني اللهُ به كمثل رجل أتى قومًا فقال: يا قوم، إني رأيتُ الجيش بعيني، وإني أنا النذيرُ العريان؛ فالنجاءَ، فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا، فانطلقوا على مهلهم فنجَوا، وكذَّبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبَّحهم الجيشُ فأهلكهم واجتاحهم؛ فذلك مثَل من أطاعني فاتَّبع ما جئتُ به، ومثل من عصاني وكذَّب بما جئتُ به من الحق) متفق عليه.

مخافته ﷺ على أمته من العذاب إذا هبَّت الريح:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي – صلى الله عليه وسلم – إذا رأى مَخِيلةً في السماء أقبل وأدبر، ودخل وخرج، وتغيَّر وجهُه، فإذا أمطرت السماءُ سرِّي عنه، فعرَّفتْه عائشة ذلك، فقال – صلى الله عليه وسلم : (وما أدري لعله كما قال قوم عاد: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ ﴾ الآية) رواه البخاري.

ادخاره ﷺ دعوته لأمته مغفرة يوم القيامة:

فعن أُبَي بن كعب قال: كنت في المسجد فدخل رجل يصلي فقرأ قراءةً أنكرتُها عليه، ثم دخل آخرُ فقرأ قراءةً سوى قراءة صاحبه، فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعًا على رسول صلى الله عليه وسلم فقلت: إن هذا قرأ قراءةً أنكرتُها عليه، ودخل آخرُ فقرأ سوى قراءةِ صاحبه، فأمرهما رسولُ الله ﷺ

فقرأا فحسَّن النبيُّ ﷺ شأنَهما، فسقط في نفسي من التكذيب ولا إذ كنتُ في الجاهلية، فلما رأى رسول الله ﷺ ما قد غشِيني ضرب في صدري ففِضْتُ عرَقًا وكأنما أنظر إلى الله عز وجل فرَقًا، فقال لي: (يا أُبَيُّ، إنَّ ربي تبارك وتعالى أرسل إليَّ أن اقرأ القرآنَ على حرف، فرددتُ إليه: أن هوِّن على أمتي، فرد إليَّ الثانية: اقرأه على حرفين، فرددتُ إليه: أن هوِّن على أمتي، فرد إلى الثالثة: اقرأه على سبعةِ أحرف، فلك بكل رَدَّة رددتُكها مسألةٌ تسألنيها، فقلت: اللهم اغفر لأمتي، اللهم اغفر لأمتي، وأخَّرت الثالثة ليوم يرغب إليَّ الخَلق كلُّهم حتى إبراهيم ﷺ) رواه مسلم.

إذا علمنا هذا فكل من أطاعه – صلى الله عليه وسلم – دخل الجنةَ، ومن عصاه دخل النار؛ فعن أبي هريرة أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: (كلُّ أمتي يدخل الجنة إلا من أبى، قالوا: يا رسول الله، ومن يأبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني دخل النار) مسند البزار وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح

وعن أبي هريرة: أن أعرابيًّا جاء إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – يستعينُه في شيء – قال عكرمة: أراه قال: في دمٍ – فأعطاه رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – شيئًا، ثم قال: (أحسنتُ إليك؟) قال الأعرابي: لا، ولا أجملت، فغضب بعضُ المسلمين، وهمُّوا أن يقوموا إليه، فأشار النبي ﷺ أن كفوا، فلما قام النبي ﷺ وبلغ إلى منزله دعا الأعرابيَّ إلى البيت فقال له: (إنك جئتنا فسألتَنا فأعطيناك، فقلت ما قلت)، فزاده رسول الله ﷺ شيئًا فقال: (أحسنتُ إليك؟)، فقال الأعرابي: نعم، فجزاك الله من أهل وعشير خيرًا، فقال النبي ﷺ: (إنك كنتَ جئتنا فسألتنا فأعطيناك فقلت ما قلت، وفي نفس أصحابي عليك من ذلك شيء، فإذا جئتَ فقل بين أيديهم ما قلتَ بين يدي حتى يذهبَ من صدورهم ما فيها عليك)، قال: نعم.

قال: فحدثني الحكمُ أن عكرمة قال: قال أبو هريرة: فلمَّا جاء الأعرابي قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: (إن صاحبكم كان جاءنا فسألنا فأعطيناه فقال ما قال، وإنَّا قد دعوناه فأعطيناه،

فزعم أنه قد رضِي، أكذلك؟)، قال الأعرابي: نعم، فجزاك الله من أهلٍ وعشير خيرًا، قال أبو هريرة: فقال النبي – صلى الله عليه وسلم –: (إن مثلي ومثل هذا الأعرابي كمثل رجلٍ كانت له ناقة فشردتْ عليه، فاتبعها الناسُ، فلم يَزيدوها إلا نفورًا، فقال لهم صاحب الناقة: خلُّوا بيني وبين ناقتي، فأنا أرفقُ بها وأعلم بها، فتوجَّه إليها صاحب الناقة بين يديها، فأخذ لها من قمام الأرض ودعاها حتى جاءت واستجابت، وشد عليها رَحْلَها، واستوى عليها، وإني لو أطعتُكم حيث قال ما قال لدخل النار) رواه البزار.

أخي الحبيب، إذا كان هذا حال النبيصلى الله عليه وسلم مع أمَّته، فحريٌّ بنا أن نبادلَه المحبة؛ فمن فعل ذلك فقد فاز فوزًا عظيمًا.

من العجائب والبشائر

أن سيدنا محمد ﷺ يشتاق إلينا ويحبنا ويود أن يرانا

جرى حالُ المحبِّ أن يحدوه الشوق لرؤية من يعرفه ويحبه وطال فراقه، أما أن يحدوه الحب إلى رؤية من لم يرَهُ من قبل، فهذا حب اقتصر على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أتباعه من أمته، الذين أتوا بعده، ولم يرهم، فهو صلى الله عليه وسلم يود أن يلقانا، وقد قال عنا: إننا إخوانه، فعن أنس بن

مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (وددتُ أني لقِيت إخواني) قال: فقال أصحابه: أوليس نحن إخوانك؟ قال: (أنتم أصحابي، ولكن إخواني الذين آمنوا بي ولم يرَوني) رواه أحمد والطبراني وصححه الألباني.

مما لا شك فيه أن حب النبي ﷺ لأمتِه أكثرُ بكثير من حبها له، كيف لا، وقولته المشهورة صلى الله عليه وسلم يوم القيامة: (أمتي أمتي)، وقد قال الله عن حاله مع أمته: (لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ) (التوبة:28).

فهذا رسولنا محمد ﷺ يشتاق إلينا ويحبنا ويأمل رؤيتنا، فهل نحن نحبه بهذا القدر؟ والرسول ﷺ يجب أن نحبه:

– لأنه حبيب الله، ومن أحبَّ الله أحبه حبيبه.

– لأنه الرحمة المهداة والنعمة المسداة.

– لأنه يخاف علينا ويحبنا.

– وهو شفيعنا الذي تقبل شفاعته.

– لأنه صاحب الخُلُقِ العظيم والقدوة الحسنة.

وبمحبته تتحقق علامات الإيمان، وتنال بها محبة الرحمن، وهي الدرع الواقي من القدوات الفاسدة الضالة المضلة. علامات محبة الرسول ﷺ: والسؤال الآن: كيف تكون محبة الرسول ﷺ ؟ .

وإذا كان هذا حبه صلوات الله وسلامه عليه لنا – كأفراد وأمة – فحريٌّ بنا أن نحبه من أعماق قلوبنا، وأن يكون حبنا له حباً صادقاً بالقلب واللسان والأعضاء، وذلك بتوقيره وطاعته والاقتداء به، قال القاضي عياض: "اعلم أن من أحب شيئاً آثره وآثر موافقته، وإلا لم يكن صادقاً في حبه وكان مدعياً، فالصادق في حب النبي صلى الله عليه وسلم من تظهر علامة ذلك عليه، وأولها الاقتداء به واستعمال

سنته، واتباع أقواله وأفعاله، وامتثال أوامره واجتناب نواهيه، والتأدب بآدابه في عسره ويسره ومنشطه ومكرهه".

وعلامات محبة الرسول ﷺ على النحو التالي:

أولًا: طاعة الرسول ﷺ: وهي أولى علامات المحبة الصادقة قال تعالى: (مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ) [النساء:80]، وقال سبحانه: (وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) [الأحزاب:71]، والطاعة تكون فوق هوى النفس والفؤاد.

ثانيًا: الغيرة عليه وعلى دينه وفدائه والغضب لانتهاك حرمته وحرمة الدين العظيم: فلقد تفانى الصحابة الكرام في غيرتهم على النبي ﷺ ، من أمثال : خبيب بن عدي، ومعاذ ومعوذ (وغيرهم كثيير)، والمسلم مطالب بأن يثبت محبته بالعمل لا بالكلام فقط؛ كأن ينشئ موقعًا على الإنترنت للدفاع عنه ورد الشبهات المثارة حوله وحول سنته، وأن ينشر قضايا أمته ويثور على ما يفعله الأمريكان في العراق، والكيان الصهيوني في فلسطين وغير ذلك.

ثالثًا: تعظيمه وتوقيره وعدم الاستهانة بسنّته؛ فإن كثيرًا من الناس قد لا يطبق السنة فحسب بل تجده يستهزئ من الملتزمين بهدي الرسول، فكيف يزعم حب النبي ﷺ ؟ لا بد من توقير النبي ﷺ وسنته وندائه بنبوته لا باسمه مجردًا ﷺ.

رابعًا: كثرة الصلاة عليه، فما أجمل أن يكون اللسان مُصَلِّيًا ومُسَلِّمًا على الحبيب محمد ﷺ ، ومن أحب إنسانا أكثر من ذكره، وليس هناك أحبّ إلى قلوبنا من البشر بشرًا سوى سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ.

والصلاة عليه نور وبركة ودعاء وتعظيم وتوقير، وقد رويت عدة روايات تؤكد فضل الصلاة عليه، التي تُذهب الهموم وتصرف الأحزان.

خامسًا: تذكره ﷺ والشوق إليه وتمني رؤيته ولقائه؛ يقول النبي ﷺ: (من أشد أمّتي حبا لي ناس يكونون بعدي يود أحدهم لو رآني بأهله وماله)[صحيح مسلم].

وإذا نظرت إلى حياة الصحابة والتابعين ومدى الشوق الذي ملأ قلوبهم نحوه عليه الصلاة والسلام لازددت حبًا وعجبًا:

فبلال الصابر رضي الله عنه يقول وهو على فراش موته: "غدا ألقى الأحبة محمدا وصحبه"وهذا عبد الله ذو البجادين رضي الله عنه يشتاق للنبي ﷺ فينتج حبه وشوقه أن رضي عنه الرسول ودفنه بيديه بعد تبوك.

سادسًا: حب من أحبهم النبي صلى الله عليه وسلم، من البشر والكائنات والطعام والشراب والكلام والأماكن والأزمنة، فهذا حب حقيقي، فنحب آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم جميعًا ونذكر الله في أهل بيته كما قال: (أذكّركم الله في أهل بيتي) [صحيح مسلم].

سابعًا: التخلق بأخلاقه والسير على طريقته؛ فلقد كان لكم في سيرته الأسوة الحسنة: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} [الأحزاب:21]. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرآنًا يمشي بين الناس، فلنتخلق بأخلاق النبي وسيرته وهديه في الطعام والشراب والنوم والمعاملات. وهكذا تكون محبة الرسول صلى الله عليه وسلم حقا لمن أرادها.

إشارة إلى شئ من عظمته ﷺ

التي تدفعك إلى محبته ﷺ

لقد أشار العلماء رحمهم الله إلى أن خصال الكمال إذا وقعت منها واحدة أو أثنتان لشخص ما عظم قدره ، وضربت باسمه الأمثال فيقال : أحلم من الأحنف ، وأكرم من حاتم ، وأذكى من إياس ....ألخ

فكيف بمن عظم قدره حتى اجتمعت فيه كل هذه الخصال ؟ .

يقول القاضى عياض اليحصبى رحمه الله تعالى – فى كتابه الشفا بتعريف حقوق المصطفى – :

(ما ظنك بعظيم قدر من اجتمعت فيه خصال الخير كلها مما لا يحصيه عد ، ولا يعبر عنه فقال ، ولا ينال بكسب ولا حيلة إلا بتخصيص الكبير المتعال من فضيلة النبوة والرسالة والخلة والمحبة والاصطفاء والإسراء والرؤية والقرب والدنو ...والوحى والشفاعة والوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة والمقام المحمود والبراق والمعراج...والبعث إلى الأحمر والأسود والصلاة بالأنبياء والشهادة بين الأنبياء والأمم..

وسيادة ولد آدم والرحمة للعالمين وشرح الصدور ورفع الذكر والتأييد بالملائكة..وإيتاء الكتاب والحكمة وصلاة الله تعالى والملائكة عليه ..ووضع الإصر والأغلال عن الخلق ببعثه ..ونبع الماء بين أصابعه وتكثير القليل وانشقاق القمر والنصر بالرعب والإطلاع على الغيب وظل الغمام ..

وتسبيح الحصى والعصمة من الناس ، إلى ما لا يحصيه عد ولا يحيط بعلمه إلا الله تعالى إضافة إلى ما أعد الله له فى الدار الآخرة من منازل الكرامة ودرجات القدس ومراتب السعادة والحسنى والزيادة التى تقف دونها العقول وتحار دون إدراكها الأفهام) أ. هـ بتصرف.

الرسالة السابعة

لَوْ تَجَوَّلْتَ فِي مَدِينَتِهِ وَدَخَلْتَ بَيْتَهُ ﷺ لَبَكَيْتَ شَوْقَاً إِلَيْهِ ﷺ

وتحتوي على:

- **جولة في بلد الحبيب ﷺ.**
- **جولة في بيت الحبيب ﷺ(طعامه و أثاثه).**
- **إطلالة على تعامله ﷺ مع أهل بيته.**
- **قصيدة السراج المنير في مدح النبي ﷺ للدكتور ناصر الزهراني.**

جولة في بلد الحبيب ﷺ

للمدينة المنورة مكانةٌ عظيمة وجليلة بين كل المدن الإسلامية، ولها قدسيتُها ووَقْعها في كل قلوب المسلمين؛ فهي أرض ودار الهجرة ؛ ومثوى الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام، ولها فضائلُ عظمى، ومن فضائلها: أنها مدينة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، طَيْبة الطَّيِّبة، مهبِط الوحي،

ومتنَزَّل جبريل الأمين على الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، وهي مأرز الإيمانِ، وموطن الذين تبوؤوا الدار والإيمان، منها شع النور، وأشرقت الأرض بنور الهداية، وهي دار هجرة المصطفى عليه الصلاة والسلام.

قلت: فضائلها كثيرة، وأريد الوقوف فضيلتين:

الأولى : أن المدينة النورة بقدومه ﷺ فرحت حتى أضاء منها كل شيء وحزنت لفراقه حتى أظلم منها كل شيء ورد ذلك : عن أنس رضي الله عنه قال: (لَما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – المدينة أضاء منها كل شيء)؛ رواه أحمد والترمذي والحاكم وصححه، وأخرجه الدارمي بلفظ: (ما رأيت يوما قط كان أحسن ولا أضوأ من يوم دخل علينا به رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وما رأيت يوما كان أقبح ولا أظلم من يوم مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم).

قال الطيبي رحمه الله تعالى : الضمير راجع إلى المدينة، وهذا يدل على أن الإضاءة كانت محسوسة.

وفي رواية الترمذي قال: (لَما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – المدينة أضاء منها كل شيء، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء، وما نفضنا أيدينا عن التراب وإنا لفي دفنه، حتى أنكرنا قلوبنا).

الثانية : وهي ما ورد في الحديث :أَنَّ النَّبِيَّ صلى اللهُ عليه وسلم سَمَّاهَا طَيْبَةَ وَطَابَةَ، روى مسلم في صحيحه مِن حَدِيثِ فَاطِمَةَ بِنتِ قَيسٍ رضي اللهُ عنها فِي حَدِيثِ الجَسَّاسَةِ قَولُهُ صلى اللهُ عليه وسلم: (هَذِهِ طَيْبَةُ، هَذِهِ طَيْبَةُ، هَذِهِ طَيْبَةُ يَعْنِي الْمَدِينَةَ).وفي رواية البخاري: (هَذِهِ طَابَةُ).

قال ابن حجر رحمه الله: (والطاب والطيب لغتان بمعنى، واشتقاقها من الشيء الطيب وقيل: لطهارة تربتها، وقيل: لطيبها لساكنها، وقيل : من طيب العيش بها).

قال بعض أهل العلم : (وفي طيب ترابها وهوائها دليل شاهد على صحة هذه التسمية، لأن من أقام بها يجد من تربتها وحيطانها رائحة طيبة لا تكاد توجد في غيرها).

قال الدكتور : أمين عبد الله الشرقاوي :

وقد حدثني من سكن المدينة سنوات أنه لم يجد الروائح الكريهة التي توجد عادة في غيرها، كما حدثني أيضًا أنه لا يوجد بها الإزعاج والصخب الذي يوجد في المدن التي يكثر بها السكان، وأنه جرى بحث هذه المسألة مع بعض أهل المدينة، فكان مما قيل في تعليل ذلك اجتهادًا: إنه ربما كان من خصوصيتها وعظيم بركة أرضها امتصاص الأصوات المزعجة ليعم السكون والهدوء والطمأنينة، وممَّا حدثني أيضًا أن أرضها وجبالها يبدو للناظر إليها حسنًا، وجمالًا، وبهاءً لا يُرَى في غيرها.

تقول إحدى الزائرات للمدينة النبوية (وكأنها تعبر عن حال الكثيرين) :

كلَّما وطِئتُ أرضها واستنشقتُ طِيبها، هاج قلبي وانسكبت عَبَراتي، وكأنه ميثاقٌ بين قلبي وعيني أن أبكيَ؛ لا أعرف أهو فرح، أم لهفة وشوق؟ فتسير نفسي جِوار عيني؛ ليرصُدَا سيدي رسولَ الله ﷺ وهو يتفقَّد شهداءَ أُحُد ويدفنهم، ويسير في طُرُقات طيبة التي تطيَّبت بأطهر وأشرف الدماء، وهو يبكي لا جزعًا من قضاء الله؛ بل حزنًا على الشهداء وعلى عمِّه – حمزة – رفيقِه وسنده من البشر وأخيه – وهو من هو: صيَّاد الأسود، الشَّهم، صاحب الحميَّة والفطرة السليمة؛ فلم يحتمَّلْ أن يُسبَّ الصادقُ الأمين، فاعتنق الدينَ بنداء الفطرة؛ ذَودًا عن عِرض ابن أخيه، وفضلًا عليه من ربه، ثم يثبِّته الله فيُشهِر سيفَه دفاعًا عن دينه، ويخوض المعركة مزهوًّا بدينه الجديد وبقوته وفروسيته، فيكافئه الله بالشهادة مهاجرًا، فكأني أرى بعين قلبي رسولَ الله يبكيه، ويقول: (ولكنَّ حمزةَ لا بواكي له)، فكأن كلمة حبيب الله كانت نداءَ السماء الخالدَ حتى الآن؛ فكلُّ ذي قلب حاضر يبكي –– حمزة– بمجرد سماعِ كلمة رسول الله ﷺ: (ولكن حمزة لا بواكي له).

أسيرُ في بلد الحبيب فأنظر لثراها، وأتخيَّل أن قدميه الشريفتين وطِئتا هذا الثَّرى، فأتمنى لو أني أحتضن هذا الثرى؛ ليرويَ شوقَ قلبي إليك يا سيدي يا رسول الله صلوات ربي وسلامه عليك، وكم من مرة أسير في طرقاتها حافيةَ القدمين؛ لعل غَبَرةً من غَبَراتها التي لامست قدمَ رسول الله ﷺ تلامسُ قدمي، فتحيا بها نفسي، ويهدأ رَوعي!

ثم أرى أُحُدًا، ذلك الجبلُ الأشمُّ الذي يقول فيه رسول الله: (أحدٌ جبلٌ يحبُّنا ونُحبُّه)، يا لكرامتك يا أُحد! فقد وطئتك قدمُ النبي والصدِّيق، والفاروق وذي النورين، وعمومِ كوكبة محمد ﷺ .

كم وددتُ لو كحلتُ عيني بترابك! فلك في قلبي محبةٌ لا أعلم سرَّها، فقبل أن أراك كنتُ أراك، وأقِف على متنك لأرى نخيل المدينة، ويشرُد عقلي لسيدنا سلمان يُهدي التمراتِ لحبيب الله ﷺ صدقةً، ويرقبه: أيأكل منها أم لا؟ وكيف تواضعه وهو يكشِف لسلمان عن خاتم النبوة وهو الصادق الأمين صفيُّ الرحمن وخليله ﷺ.

ثم تناديني نخلةٌ هناك قائلة: (أنا من بستان أبي الدحداح، ألا تذكرينني؟)، فتفيض دموعي وأردِّد : (ربِح البيعُ أبا الدحداح)، يا لها من كلمة طارت به السعادةُ عندما سمِعها!

أنطلقُ لأسواق التمور، فأرى الناس ترفُل في النعيم، وتشتري التمور الفاخرة، وتترك هذا لتأخذ ذاك، فتهبِط بي نفسي إلى قاع الزهد: كيف لي أن أهنأ وكان رسول الله ﷺ يربط بطنَه من الجوع؟.

كيف لي أن أبالغ وكان ﷺ يأكل البُسْرَ من التمر؟ كيف لي أن أُتخم وكان يمصُّ تمرة مصًّا مع الماء لتُشبعَه وحدها؟ كيف لي هذا...؟ أذهب لروضتِه فأرى قبرَه الشريف، ويحاول خيالي تصوُّرَ أنه يردُّ عليَّ أنا شخصيًّا السلامَ، فلا أحتمل لطفَه وحسن خُلُقِه مع تقصيري وذنوبي.

أجول ببصري في المسجد لأتخيل بيوت أمَّهاتنا، ثم يزيد عجبي ودمعي عندما أتذكَّرُ قول السيدة فاطمة الطاهرة أم الحسنينِ للصحابة بعد دفن أبيها: "كيف طاوعتكم أنفسُكم أن تُهيلوا الترابَ على رسول الله؟!"، يا لله! كيف احتملت قلوبُهم تلك اللحظة؟ فمجرد تخيُّل الموقف تكاد تطير قلوبنا، ولا نتحكم في دموعنا، فكيف عاشها مَن عايشه ﷺ ؟.

كيف تحمَّلوا أن يهيلوا الترابَ على رسول الله ﷺ ؟ إنه الثَّبات من الله والربط على القلوب لا غيره، فلولاه لكان دفْنُ النفس حيَّةً بجواره أهونَ من دفنه هو عليه الصلاة والسلام، فسبحان من يتحكم في القلوب ويثبِّتها! غير أن ما عند الله له خير وأبقى.

ثم تحُلُّ لحظةُ فِراق طيبة الطَّيِّبة، فلا أجد حلًّا لقلبي إلا أن أتركَه فيها موقنةً في الله أنه سيعيدني إليه بكرمه وفضله. وأستودع ربي طيبة يحفظها، ويزيدها سكينة واطمئنانًا ومهابة ووقارًا وأمانًا، اللهم إني استودعتُك طيبة وبها قلبي؛ فاحفظهما بعينك التي لا تنام، وردَّني إليهما مرات ومرات[3].

قال باحث : ومن اللطائف أنَّه سُئِلَ أَحَدُ المحبين مِن أَهلِ المعرفة؛ أَيْنَ نَجِدُ أجواءَ طيبةَ فقال: حيث يُذْكَرُ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بسيرتِه ويُصَلَّى عليه بإِخلاصِ الصلة به فهي طيبة استدلالاً منه بأنَّ المكان الذي سكن فيه رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم كان موبوءاً يقال له يثرب وفيه من التثريب ما فيه فلما استقر فيه أُحيلَ إلى طيبٍ خالصٍ وغدا مدينةً منوَّرة بكونه السراجَ المنير, وطابة وطيبة بطيب وجودِه وذكره ومجالِسه, حتى ترابُها صار شافياً بتلك النسبة المباركة حيث قال كما في الصحيحين وغيرِهما عن عائشةَ رضي اللهُ عنها أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم كانَ إذا اشتكى الانسانُ الشيءَ منه أو كانت قُرحةٌ أو جرحٌ قال بأصبعه هكذا ووَضع سفيانُ بنُ عيينة الراوي سبَّابتَه بالأرض, ثم رفعَها, وقال: (بسم الله تُرْبَةُ أَرْضِنا بِرِيقَةِ بعضِنا يُشْفى به سقيمنا بإذن ربنا).

[3] – مقال كتبته الأستاذة : منى مصطفى – نقلا عن شبكة الألوكة الشرعية (بتصرف يسير).

جولة في بيت الحبيب ﷺ (أثاثه وطعامه) [4]

من الجوانب المهمَّة التي ينبغي ملاحظتها في سيرةِ نبينا عليه والصلاة والسلام وفي هديه الشريف وشمائله الكريمة، ما كان عليه ﷺ من الزهد في هذه الحياة الدنيا والانكفاف عنها، وعدم الحفاوة بها،

4 – مقال للشيخ د. خالد بن عبدالرحمن الشايع .

بل جعل القلب كله متعلقًا بالآخرة التي هي الدار الباقية، التي مَن آل إليها وصار وقد أرضى العزيز الغفار، فقد صار إلى خيرٍ كثير، وإلى نعيمٍ مقيم.

وسوف نتجول وإيَّاكم في جانبٍ مهم من مظاهر زهده ﷺ ، ألا وهو ما يتعلق بمعيشته البيتية وموجودات بيته؛ لأنَّ كثيرًا من الناس يتنافسون في هذه الأمر تنافسًا عظيمًا، ويتباهون فيه تباهيًا كبيرًا، فكان من اللازم أن نعرف هديه عليه الصلاة والسلام، وكيف كان في هذا الجانب العظي

إذا أردنا أن نتأمل ما كان يحويه بيته الشريف من الأثاث والمتاع، فقد كان بيته ﷺ بيتًا متواضعًا زهدًا منه في الدنيا، ذلك أنه عليه الصلاة والسلام لَمَّا بنى مسجده بالمدينة، بنى غرفتين بجانبه من مؤخرته مِن قِبَل المشرق، وكانت القبلة يومئذٍ إلى بيت المقدس، وبعد أن تحوَّلت القبلة إلى الكعبة، أصبحت هاتان الغرفتان حذاء جدار القبلة، إلى يسار المصلي عندما يتوجه إلى القبلة، وكانت إحدى تلك الغرفتين لزوجه سودة بنت زمعة رضي الله عنها، والثانية أُعدت لعائشة وكان قد عقَد عليها، أما بقية الحجرات فلم تُبْنَ إلا عند الحاجة إليها، فكان النبي ﷺ إذا أحدث زواجًا بنى غرفة وليس بناءً لمنزلٍ مترامي الأطراف في طوله وعرضه وغير ذلك،

إنما كان يبني غرفةً كلما احتاج عند استحداثه الزواجَ، وكان بناء تلك البيوت من اللَّبِن، وسقفها من الجريد، وكانت تسعة أبيات، ولم تكن بواسعة كما قد يخطر بالبال، بل كان عليه الصلاة والسلام إذا صلى بالليل وعائشة نائمة أمامه وأراد السجود غمزها؛ حتى تكف رجليها ريثما يسجد.

أما ارتفاع سقف تلك الحجرات، فقد قال الحسن البصري رحمه الله: كنت أدخل بيوت أزواج النبي ﷺ في خلافة عثمان، فأتناول سقفها بيدي؛ يعني: أنه لو رفع يده وهو واقف لَلَمَسَ سقف تلك الحجرات، أما أثاث بيته عليه ﷺ.

فقل ما شئت عنه زهدًا وتواضعًا، وحسبك أن تعلم أن فراش النبي ﷺ الذي كان ينام عليه، كان من أدم، من جلد وحشوه ليف، وكانت وسادة رسول ﷺ التي يتكأ عليها من أدمٍ حشوها ليف؛ متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها.

ويصف عمر رضي الله عنه الغرفة التي اعتزل النبي صلى الله عليه وسلم فيها نساءَه شهرًا، فيقول: (فدخلت على رسول الله ﷺ وهو مضجع على حصير، فجلست فأدنى عليه إزاره وليس عليه غيره، وإذا الحصير قد أثَّر في جنبه، فنظرت ببصري في خزانة رسول الله ﷺ – يعني المكان الذي يجعل فيه الطعام – قال: فإذا أنا بقبضة من شعير نحو الصاع ومثلها قَرظًا في ناحية الغرفة، وإذا أَفيق معلَّق – يعني قربة من جلد أو نحوها معلقة على الجدار، وقد جفَّت لقلَّت ما يُوضع فيها من الماء – قال: فابتدرت عيناي يعني أنه أصابه البكاء – هل هذا هو حال رسول الله ﷺ ؟! – فقال له ﷺ: (ما يبكيك يا ابن الخطاب؟) قلت: يا نبي الله، وما لي لا أبكي وهذا الحصير قد أثَّر في جنبك، وهذه خزانتك لا أرى فيها إلا ما أرى، وذاك قيصر وكسرى في الثمار والأنهار، وأنت رسول الله وصفوته وهذه خزانتك؟! فقال عليه الصلاة والسلام: يا ابن الخطاب، ألا ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا؟ قلت: بلى)؛ الحديث رواه البخاري ومسلم.

فتأمل يا عبد الله، هل مرَّ بك يوم أن نمت على حصير؟ هل مر بك يوم أن كان بيتك خاليًا من طعام وشراب؟ فهذه حال رسولك أفضل الخلق الذي لو شاء لدعا ربه وأُجيب أن تسير معه الجبال ذهبًا وفضة!

وإذا أردت أن تقف على المطعومات في بيته ﷺ وهو ما نُسميه اليوم مخزن الطعام، أو مستودع الأغذية – فتأمل قول عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها كما روى البخاري، تقول لعروة بن الزبير، ابن أختها: (يا ابن أختي، إن كنا لننظر إلى الهلال، ثم الهلال، ثلاثة أهِلَّة في شهرين، وما أُوقدت في

أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نارٌ، قال عروة: فقلت ما كان يُعيشكم؟ قالت: الأسودان: التمر والماء).

وتأمل أيضًا قولها رضي الله عنها: (تُوفِّي رسول الله ﷺ وما في بيتي من شيء يأكله ذو كبد، إلا شَطْر شعير في رَفٍّ لي، فأكلتُ منه حتى طال عليَّ، فَكِلْتُه، ففَنِيَ)؛ رواه البخاري ومسلم.

توفِّي ﷺ ولم يبق شيئًا مما يأكله الإنسان، إلا كما قالت رضي الله عنها: شيءٌ من شعير، ومما جعل الله من البركة النبوية، تقول: إنها كانت فيما بعدُ مِن بعد وفاته عليه الصلاة والسلام، لا تزال تطعم من هذا الشعير، وتصنع منه الطعام، تقول: فعمَدتُ مرةً إلى معرفة حجمه وقدره وكميته، فكِلْتُه ففَنِيَ بعد ذلك وانتهى، تشير إلى أن الإنسان إذا أراد أن يحصي وأن يعد على سبيل التشكك فيما قد يبقى، أو فيما قد ينعم الله به، فإن هذا مما تذهب معه البركة، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام لعائشة رضي الله عنها أو لبلال رضي الله عنه: (لا تُوكي؛ فيُوكي الله عليك)؛ يعني أن الإنسان إذا صار ينظر فيما حوله وفيما تحت يده، وما يملكه على وجه التشكك، وعلى وجه التخوف أن ينقص ما عنده، وألا يرزقه الله – كان ذلك أسرع إلى نفادِ ما عنده، أما من وثق في الله وتوكَّل عليه، فإن الله كما قال وأخبر عن نفسه: (أنا عند ظن عبدي بي).

فمن ظنَّ من الله الرزق والخلف والعطاء والهبة والموهبة منه جل وعلا، كان الله عند ظنه هذا، لكن كثيرًا من الناس يتشككون فيما عند الله، ويثقون فيما في أيديهم، وكثير من الناس ثقتهم في أنفسهم وفي الخلق أكثر من ثقتهم وتوكُّلهم على ربهم جل وعلا، فوُكِلوا إلى أنفسهم وإلى الخلق، والخلق ضعفاء، وما عند الناس يَنفَد، وما عند الله باقٍ.

تلكم أيها الإخوة في الله هي بيوت رسول الله ﷺ ، التي كان يتنزل فيها الوحي، وذلكم أثاثه وهذه مدخراته، هذه هي البيوت التي يعيش فيها خير خلق الله ﷺ الذي قال له ربه: ﴿بَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُورًا﴾ [الفرقان: 10].

وهو النبي الكريم ﷺ الذي أقر الله عينه وقال له: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ [الضحى: 5]، ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ﴾: من كل خير في هذه الدنيا، وأعظم من ذلك في الآخرة، هذه حياته، وهذه حاله، وهذا بيته وهذا أثاثه، وفي ذلك أعظم العزاء لكل فقيرٍ من المسلمين في كل زمانٍ ومكان.

وفي هذا أعظم الموعظة لكل أحد ألا ينظر إلى هذه الدنيا على أنها مجال التنافس والسباق، فإنها مهما تكاثرت ومهما توالَت فيها النعم، فإنها إلى زوال، ولا يبقى إلا العمل الصالح، وقد وعَظ الله عباده ألا يكون بينهم التنافس فيما يكون في متاع هذه الدنيا، وألا يَعمِدوا إلى أن يقارنوا أنفسهم بالآخرين، ذلك أن كثيرًا من الناس يقارن نفسه بالآخرين، فينظر إلى ما أُعطوا ثم يلوم ربه، ويعاتب ربه أنه لم يعطه مثل ما أعطى فلانًا، وهذا من أعظم الخِذلان للإنسان، أن يكون معترضًا على ربه فيما أعطى وأنعم، ولكن المتعين على المؤمن أن يرضى بما أعطاه الله، وأن يَحمَده على ما أنعم عليه به، فإنه في نعم عظيمة لو أراد أن يُحصيَها ما استطاع: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: 34].

إطلالة على

تعامله ﷺ مع أهل بيته[5]

5 – مقال بعنوان في مهنة أهله ﷺ – للشيخ عبد الوهاب الطريري – موقع الشبكة الإسلامية.

هي إطلالة على البيت النبوي، ذلك البيت الذي أذهب الله عنه الرجس وطهّره تطهيرًا، إطلالة من كوّة فتحتها أمّنا عائشة رضي الله عنها حينما توارد عليها السؤال من عدد من التابعين: "ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع في بيته إذا كان عندك؟" إنه تساؤل عن هذه الشخصية العامة كيف تكون في هذه الحالة الخاصة، كيف يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يعيش خارج بيته متصديًا لقضايا الأمة، متحمّلاً لأعبائها، فإذا دخل بيته، وأغلق بابه وخلا بأهله فكيف يكون؟ وماذا يصنع؟

ولقد تلقّت عائشة رضي الله عنها السؤال بحفاوة واهتمام، وأشرعت نافذة على بيت النبوة؛ لنرى منها النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الحالة الخاصة في بيته ومع أهله، فإذا هي تصفه بهذا الوصف الوجيز البليغ.

قالت: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خلا في بيته ألين الناس، وأكرم الناس، كان رجلاً من رجالكم إلاّ أنه كان ضحّاكًا بسّامًا، وما كان إلاّ بشرًا من البشر، كان يكون في مهنة أهله –يعني خدمة أهله– يخصف نعله، ويخيط ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه، ويعمل في بيته كما يعمل أحدكم في بيته، فإذا أحضرت الصلاة خرج إلى الصلاة، ولا رأيته ضرب بيده امرأة ولا خادمًا).

إنها باقة معطرة من الصفات النبوية أحسنت أمُّنا عائشة رضي الله عنها وصفها في هذه الجمل الوجيزة بهذا البيان البليغ، وبقي أن نفتح أبصار البصائر على معانٍ عظام.

1/ (ما كان إلاّ بشرًا من البشر) لا أحسب أن عائشة كانت تقرر بشريّة النبي صلى الله عليه وسلم وأنه ليس ملكًا بل بشرًا رسولاً، ولكنها كانت تقرر معنى أخص من ذلك، وهو بشريّته في التعامل الأسري بحيث إنه صلى الله عليه وسلم يدخل بيته ليس على أنه القائد أو الزعيم أو الإمام، ولكن على أنه الزوج ليعيش حياة السكن الزوجي مع أهله، لتجتمع معاني العظمة المحمدية في عظمة التعامل

الزوجي، وأنه صلى الله عليه وسلم لم يكن يعيش في بيته سمته الذي يلقى به الناس، ولكن يعيش بساطة الحياة الأسرية وعفويتها، فلا ترى فيه زوجه إلاّ الزوج الوادّ الرحيم، وهو صلى الله عليه وسلم سيد ولد آدم وإمام البشرية، والعظيم لا تمتلئ الأعين من النظر إليه مهابة وإجلالاً، ولكنه يعيش في بيته ومع أهله زوجاً أولاً.

كم ننسى هذا المعنى النبوي العظيم حينما نصطحب معنا إلى بيوتنا المعاني والألقاب الخارجية؛ ليعيش أحدنا في بيته على أنه صاحب السعادة أو الفضيلة، مع أن هذه ألقاب تخلع عند الباب ليعود، ومن كان كذلك بشراً من البشر.

2/ (كان يكون في مهنة أهله) يثب إلى ذهني سؤال ثاقب يقول: وهل كانت أمُّنا عائشة تشكو كثرة العمل ومشتتة حتى يكون عمل النبي صلى الله عليه وسلم في بيتها معونتها وخدمتها؟ أما كانت حجرتها متقاربة الجدر صغيرة، المساحة، بحيث لم يتجاوز طولها عشرة أذرع، وعرضها سبعة أذرع (5 أمتار* 3.5) وأما العمل فيها فقد كانت تنقضي الشهران بتمامها وما أوقد فيها نار لطعام يُصنع، فهل ثمة عمل يحتاج إلى جهد، فضلاً عن أن يحتاج إلى معونة بحيث يكون النبي صلى الله عليه وسلم في بيته مشغولاً بمهنة أهله؟

إن الجواب عن هذا التساؤل: أن نبيك صلى الله عليه وسلم ما كان يصنع ما يصنع لكثرة الشغل وجهد العمل، ولكن هناك معنى أعمق، وهو المواساة والإشعار بالمشاركة التامة في الحياة الزوجية ، وتحقيق أحد معاني السكن إلى الزوجة (لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا) سورة الروم من الآية:21]، ولم يقل لتسكنوا معها.

إن هذه الأعمال اليسيرة في المنزل تصل إلى قلب الزوجة مشفوعة بمذكرة تفسيرية تضج بمعاني الحب والمودة والرحمة، وتشعر الزوجة بالدنو القريب إلى زوجها، والامتزاج الروحي والعاطفي، كون الرجل في مهنة أهله، وأي عمل وعلى أي صفة رسالة حياة تقول: هويتنا جميعاً كما هي حياتنا جميعاً، وإن

معاني الالتحام الزوجي تنسجها هذه اللمسات المعبرة، فيكبر في عين زوجته بقدر تواضعه، ويعظم في نفسها بقدر بساطته.

3/ إننا نطل من هذه النافذة على البيت، فنراه صغيراً في مساحته، بسيطاً في متاعه، ولكن الخلق النبوي العظيم جعله وعاءً كبيراً مترعاً بالأنس والبهجة، ترنّ فيه الضحكات، وتشرق البسمات، ويتدفق ينبوعاً غامراً من السعادة والإبهاج "كان رجلاً من رجالكم إلاّ أنه كان ضحّاكاً بسّاماً."

ليس في بيت النبوة التواقر المتكلّف، ولا التزمّت المقيت، ولا تجهّم العبوس، ولكنه حبور الضحك وإيناس التبسم، ومتعة الحياة الطيبة التي تملأ البيت حبرة وسروراً، حتى كأنما يعيش أهله في زاوية من الجنة.

4/ إن هذا الفن الراقي في التعامل الزوجي، والمبادرة من الزوج إلى المشاركة المعبرة والأنس المبهج سوف يجعله يحتل المساحة الأكبر من قلب زوجته ووجدانها. إن هذا التعامل الرفيع يجعل لحضوره فرحة وأنساً، ولغيابه وحشة وفقداً، وسيكون من المرأة بمكان.

إن على الذين يشتكون برودة الحياة الزوجية وجفافها أن يتعلموا من هذا الدرس النبوي: أن الدماء تتدفق حارة في حياتهم بمثل هذه اللمسات الساحرة، حينها لن يبقى في قلب المرأة ووجدانها مساحة شاغرة؛ فقد ملأ ذلك كله زوج أشعرها بالمشاركة الحقيقية في الحياة، ولوّن يومها بالبسمات.

5/ يبهرنا هذا التوازن في الحياة النبوية فقد كان –صلى الله عليه وسلم مع الناس أكثرهم تبسماً، وفي بيته أيضاً ضحوكاً بسّاماً، وكان مع الناس كالريح المرسلة بالخير، وفي بيته في مهنة أهله، وكان خير الناس للناس، وخيرهم لأهله.

إن هذا التوازن يفتقد عند أناس يبذلون المجاملات الرقيقة بسخاء في تعاملهم العام، ولكنهم يخزنون عبوس وجوههم وقترة نفوسهم لزوجاتهم، فلا يرين إلا قتامة التجهم، وملالة التضجر، مع أنهم أولى الناس ببشره وحسن خلقه، أما نبينا صلى الله عليه وسلم فقد وسع الناس بحسن خلقه، وكان أهل بيته أسعد الناس بهذا الخلق.

قصيدة السراج المنير في مدح النبي ﷺ

للدكتور ناصر الزهراني

تعجَّبَ الخَلْقُ مِن دَمَعي ومِن ألمي ... وما درَوْا أنّ حُبِّي صُغْتُه بِدَمِي

أستغفرُ اللهَ ما لَيْلَى بفاتِنتِي ... ولا سعاد ولا الجيران في أَضَمِ

لكنْ قلبي بنارِ الشوق مُضْطَرِمُ ... أُفٍ لقلبٍ جمودٍ غيرِ مضطرمِ

مَنَحْتُ حُبِّي خيرَ الناس قاطبةً ... برَغْم مَنْ أنفُه لا زال في الرَّغَمِ

يكفيك عن كل مدحٍ مدحُ خالقِهِ ... وأقرأْ بربك مبدأَ سُورة القلم

شهمٌ تُشِيد به الدنيا برُمَّتِها ... على المنائر من عُرْبٍ ومِن عَجَمِ

أحيا بك اللهُ أرواحًا قدِ انْدثرتْ ... في تربة الوهم بين الكأس والصنمِ

نَفَضَتْ عنها غبارَ الذُّل فاتَّقدَتْ ... وأبدعتْ ورَوتْ ما قُلْتَ للأُمَمِ

ربّيتَ جيلًا أبيًّا مؤمنًا يَقِظًا ... حَسَوْا شريعتَك الغرَّاءِ في نَهَمِ

محابرٌ وسجلاتٌ وأنديةٌ ... وأحرفٌ وقوافٍ كُنَّ في صَمَمِ

*** *** ***

فمَنْ أبو بكرْ قَبْلَ الوحْيِ، مَنْ عُمَرُ؟ ... ومَن عليٌّ ومَنْ عثمان ذو الرّحِمِ ؟

مَن خالدٌ مَن صلاحُ الدين قبلك مَنْ ... مالكٌ ومَن النُّعْمانُ في القِمَمِ ؟

مَنِ البخاريُّ ومَن أهلُ الصِّحاح ومَنْ ... سفيانُ والشافعيُّ الشَّهْمُ ذو الحِكَمِ ؟

مَنِ ابْنُ حنبلَ فينا وابْنُ تيميةٍ ... بلِ؛ الملايينُ أهل الفضل والشَّمَمِ ؟

مِنْ نهرك العذب يا خير الورَى اغترفوا ... أنت الإمام لأهل الفضل كُلِّهِمُ

ينام كسرى على الديباج ممتلئًا كِبرًا، وطُـوِّقَ بالقِينات والخدم

لا همَّ يحملُه لا دِينَ يَحْكُمُهُ على كؤوس الخَنَا في ليل منسجم

أما العروبة أشلاءٌ ممزَقةٌ من التسلُّط والأهواء والغَشَمِ

*** *** ***

فجئت يا منقذَ الإنسان من خطرٍ كالبدر لمَّا يُجَلِّي حالكَ الظُّلَمِ

أقبلت بالحق يجتث الضلالَ فلا يلقَى عدوُّك إلا عَلْقَمَ النّدَمِ

أنت الشجاعُ إذا الأبطال ذاهلةٌ والهندوانيُّ في الأعناق واللُّـمَمِ

فكنت أثبتهم قلبا وأوضحهم دربًا وأبعدهم عن ريبـة التُّـهَم

بيتٌ من الطين بالقرآن تَعْمرُهُ تبًّا لقصرٍ منيفٍ بـات في نَغَمِ

طعامُك التمر والخبز الشعير وما عيناك تعدو إلى اللذات والنعم

تبيت والجوع يلقى فيك بغيته إن بـات غيرك عبد الشـحم والتخم

لما أتتك { قم الليل } استجبتَ لها العيـنُ تغفو وأمّا القلب لم ينم

تمسى تُناجي الذي أولاك نعمته حتى تغلغلتِ الأورامُ في الـقدم

أزيزُ صدرك في جوف الظلام سرَى ودمعُ عينـيْكِ مثل الهاطل العَمَمِ

الليل تسـهره بالوحي تعمـره وشيـبتك بهود آية استـقم

تسير وفق مراد الله في ثقة ترعاك عين إله حـافظ حكم

فوضتَ أمـرك للديان مصطبرا بصـدق نفس وعزم غير مُنْثَلم

ولَّى أبـوك عن الدنيا ولم ترهُ وأنت مرتـهنٌ لا زلـتَ في الرحم

ومـاتت الأم لمّا أن أنست بها ولم تكن حين ولـت بالغ الحلم

ومات جدك من بعد الولوع به فكنت من بعدهم في ذُروة اليَتم

فجاء عمك حصنا تَستكنُّ به فاختاره الموتُ والأعداء في الأَجَمِ

*** *** ***

تُرمَى وتُؤذَى بأصنافِ العذاب فما رُئيتَ في ثوبِ جبارٍ ومنتقم

حتى على كتفيك الطاهرين رمَوْا سَلا الجَزور بكفِّ المشرك القَزَمِ

أما خديجة من أعطتْك بهجتَها وألبستْكَ رداءِ العطف والكرم

غدتْ إلى جَنة الباري ورحمتهِ فأسلمتك لجرحٍ غير مُلتَئم

والقلب أُفعم من حب لعائشة ما أعظم الخطبْ؟ فالعرضُ الشريفُ رُمِيْ

وشُج وجهُك ثم الجيشُ في أُحُد يعود ما بين مقتولٍ ومُنهزم

لمّا رُزقت بإبراهيم وامتلأتْ به حياتُك بات الأمر كالعدم

ورغم تلك الرزايا والخطوب وما رأيتَ من لوعة كبرى ومن ألم

ما كنت تحمل إلا قلبَ محتسبِ في عزم مُتقِدٍ في وجه مبتسم

بنيت بالصبر مجدا لا يُماثله مجد وغيرك عن نهج الرشاد عُمى

يا أمةً غفلتْ عن نهجه ومضتْ تهيمُ من غير لا هَدْيٍ ولا عَلَمِ

تعيش في ظُلمات التِّيْهِ دمّرها ضَعْفُ الأخوة والإيمان والهِمَم

يومًا مُشَرّقةً يومًا مُغَرّبَةً تسعَى لنيلِ دواءِ مِن ذوي سَقم

لنْ تهتدي أُمة في غير منهجِهِ مهما ارتضتْ من بديع الرأي والنُّظُم

مِلحٌ أجاجٌ سرابٌ خادعٌ خَورٌ ليستْ كمثل فراتٍ سائغٍ طَعّم

إن أقفرتْ بلدةٌ من نور سُنَّتِه فطائر السعد لم يَهوِي ولم يَحُمِ

غنَّى فـؤادي وذابتْ أحرفي خجلًا مِمَّـنْ تألَّقَ في تبجيله كَلِمِيْ

يا ليتني كنتُ فردًا من صحابتِه أو خـادمًا عنده من أصغر الخدم

تَجودُ بالدمع عيني حينَ أَذْكُرهُ أمَا الفـؤادُ فللحوض العظيم ظَمِي

يا رب لا تحرمَنِّي من شفاعته في موقف مـفزع بالهول متسم

ما أعـذب الشعر في أجواء سيرته أكرمْ بمبتدأٍ مـنه ومُـخْتَتِم

*** *** ***

الرسالة الثامنة

اطِّلاعُكَ عَلَى التَّأثِيرِ القَوِيّ لِسيدِنَا النَّبيّ ﷺ فِي كُلِّ مَنْ عَرَفَه يَزِيدُكَ شَوْقَاً إِلَيْهِ ﷺ

وستجد فيها :

- مدخل.
- أنا وفيليب ومحمد .
- لا تلومونا على حب النبي ﷺ.
- قبسات من الشعر المعاصر في حبه ﷺ.

مدخل

عندما أراد مايكل هارت أن يرصد الشخصيات الأكثر تأثيرًا في التاريخ – بغضِّ النظر عن موقفها الديني وقداستها[6] – قرَّر أن النبي محمدًا صلى الله عليه وسلم هو الأكثر تأثيراً في التاريخ، مستندًا إلى أربعة مقاييس ، وهي (باختصارشديد):

1- **أن النبي صلى الله عليه وسلم هو الإنسان الوحيد في التاريخ الذي نجح نجاحًا مطلقًا على المستوى الديني والدنيوي.**

2- **أن أثر محمد عليه الصلاة والسلام ما يزال قويًّا متجددًا: وهذا ملحوظ لا شك فيه، مهما أصاب المسلمين من وهن وضعف؛ فما دام كتابهم محفوظًا، فإن جذوتهم ستظل متقدة، وقوتهم ستظل قابلة للانبعاث.**

3- **أنه صلى الله عليه وسلم نشأ في بيئة ليس لها سابقُ عهدٍ بالحضارة والمدنية: بخلاف من أثّروا في تاريخ الإنسانية، الذين وُلدوا ونشأوا في مراكز حضارية، ومن شعوب متحضرة سياسيًّا وفكريًّا.**

4- **أنه صلى الله عليه وسلم استطاع أن يوحِّد العرب: وكانوا من قبلُ قبائل متفرقة متناحرة، لم تجمعهم رابطة، ولم ينتظمهم مُلك؛ وما عرفوا الوحدة إلا في ظل الإسلام.**

---

[6] – الخالدون مائة أعظمهم محمد – للمؤلف اليهودي مايكل هارت – ترجمة: أنيس منصور، المكتب المصري الحديث . وعقب المترجم على عنوان الكتاب بقوله : [الشخصيات الأكثر تأثيرًا؛ وليس الشخصيات العظمية أو الأكثر عظمة في التاريخ، كما يُفهم من الترجمة العربية].

أنا وفيليب ومحمد[7]

تقول لورا: كان عامنا الجامعي الأول.. أمضيت مع فيليب أجمل أوقات يمكن أن تتاح لفتاة برفقة شاب رائع ... فيليب كان حنوناً ودوداً، يبحث عن أي شيء وكل شيء قد يجعلني سعيدة.. يقلد لي أصوات الحيوانات والطيور..

مرة التفتُّ إليه وكنا نمشي معاً في الطريق، فانفلتت مني ضحكة عالية، عندما شاهدته يمشي على يديه..

فيليب كان يأتي بالأعاجيب ليحتفظ بابتسامتي طوال الوقت.. دائماً يقول إنها وقود مكوكه الفضائي الذي ينوي أن يخترق به الفضاء..فيليب كان يحلم كثيراً، وعلمني أن أحلم مثله..

كان يرى الأشياء جميلة ومواتية، وعندما تعتريني نوبة من اليأس يقول لي: "أغمضي عينيك"..

ثم يأخذني من يدي ويقول: "إذا يئست من مواصلة السير في العالم، فأغمضي عينيك هكذا، ثم أمسكي بيدي، ودعي لي مهمة قيادة الطريق، فإذا اشتقت إلى رؤية وجهي؛ افتحي عينيك"..

ولم أكن أغلق عينيّ أبداً؛ لأني كنت دائماً أشتاق لرؤية وجه فيليب الضحوك المتفائل يقول لي: "تفاءلي".

فيليب كان حبيبي، وصديقي، وأسرتي التي أفتقدها كثيراً حيث منزلنا الجميل في الريف الإنجليزي..فيليب كان زميلي، وأحياناً أستاذي حين تفوتني إحدى المحاضرات..

---

7 – قصة مؤثرة من إحدى المسلمات البريطانيات (أسلمت على يد خطيبها فيليب – كانا نصرانيين) أنا وفيليب ومحمد ، كتبها : أسامة الزيني – المصدر: (القصة الفائزة بالمرتبة الثالثة، بمسابقة موقعنا: انصر نبيَّك وكن داعيًا) – الألوكة الأدبية واللغوية .

فيليب صار عالمي الذي هجرت العالم إليه.. أحلامي التي أنتظرها أن تتحقق، ولذتي التي لا تنتهي.

انتهى عامنا الجامعي الأول لا أعرف كيف!!..الوقت يمر سريعاً برفقته..

لكن فيليب قبيل اختبارات نهاية العام، بدأ يتغير.. يعتريه الصمت أحايين كثيرة دون مبرر..

أكثر من مرة كنت أنتهي من حديثي ثم أكتشف أن فيليب الجالس بجواري لم يكن يسمعني، ولم يكن أيضاً يقول لي: فيم يفكر؟!.

كان يطيل النظر إلى الأفق كأنه يحدق في شيء.. هل ثَمّ شيء في الأفق حقاً؟! شيء يراه ولا أراه؟!

كنت على يقين في تلك الآونة التي يتأمل فيها الأفق أنه لا يسمعني، ولا يشعر بأصابعي التي تتغلغل في شعره في محاولة لاستعادته من رحلته،

بل ربما لا يشعر بوجودي أصلاً.

فيليب بدأ يختلق الأعذار ليتهرب من مرافقتي إلى مخدعي.. هل ثَمَ شيء طرأ عليّ؟!..

ألست جميلة حقاً كما كان يردد دائماً؟!.. ألم أعد أعجبه؟!..

هل ثَمَ فتاة أخرى؟!.. ولكن أين؟!..

أسئلة لم أكن أطرحها على فيليب، لربما كان لا يريد الإجابة عنها..

يعود في وقت متأخر من الليل.. يتسلل إلى غرفته حتى لا أشعر به..

أكثر من ليلة لم يعد إلى مسكننا أصلاً..

اعتاد أن يمضي بعض الليالي برفقة أصدقائه الطلاب العرب الذين تعرف عليهم أثناء تردده على مكتبة الجامعة.

تيقنت أن فيليب يتهرب من المبيت في فراشي عندما ألفيته يوصد باب غرفته عليه من الداخل..

جُن جنوني..خِلت أن برفقته فتاة أخرى..

طرقت عليه باب غرفته بقوة، لكن فيليب فتح لي الباب وهو يفرك بقايا النعاس في عينيه، ولم يكن ثَمَ أحد في الداخل..

تعلل بأنه (نسي) وأوصد الباب، بيد أن نسيانه المتكرر أكد لي أن فيليب يتهرب من فراشي.

لا أنسى تلك الليلة التي انتظرته فيها حتى عاد في وقت متأخر..كنت في حاجة إليه..

بدأت بغوايته حتى اقتدته إلى غرفتي.. ليلتها ردد أكثر من مرة: "لا.. لا.. لا ينبغي أن نفعل ذلك.. لورا.. حرام.. حرام"..

لم أكن أعرف تحديداً ماذا يعني بتلك الكلمة.. (حرام).. حسبتها كلمة عابرة، وأن فيليب معتكر المزاج لا أكثر..

لكن فيليب بعد أن فرغ مني.. تمدد بجواري على الفراش يراقب سقف الغرفة.. فاغر العينين..

هَمّ فجأة وهو يكتم فمه بيده.. اندفع إلى المرحاض، وسمعت دوي قيئه عنيفاً كأنه يفرغ أحشاءه..

هُرعت إليه، فوجدته جاثياً على ركبتيه يبكي.. رفع رأسه.. تأملني بعينين دامعتين متوسلتين.. "لورا.. لا ينبغي أن نفعل ذلك ثانية.. ساعديني أرجوك".

ليس هذا فيليب الذي أعرفه.. فيليب تغير كثيراً.. ولم يكن يجيب عن شيءٍ من أسئلتي..

دائماً يؤكد لي أنه لا يزال يحبني، لكنه يفكر في (صيغة أخرى لعلاقتنا).. ولم أكن أعرف أي صيغة يقصد، ولا كيف تكون تلك الصيغة؟!.

رفقاء الدراسة الذين كانوا يختلسون النظر إلينا، بدؤوا يلاحظونني أجلس وحيدة كثيراً بجوار المقعد الفارغ الذي ينتظر معي عودة فيليب.. فيليب الذي بدأ يمضي معظم وقته برفقة أصدقائه الشبان العرب..

كنت أحاول الاختلاط بهم كلما شاهدته جالساً معهم على أمل استعادته، أو حتى البقاء بجواره، وإن لم يشعر بوجودي،كان الشبان ودودين مع كثير من التحفظ..

كانوا يتحاشون النظر إليّ.. كان أحدهم يخاطبني وهو ينظر في اتجاه آخر أو ينظر إلى الأرض، حتى أني كنت أظنه لا يخاطبني..

كان فيليب يلفت انتباهي:

- لورا.. إنه يتحدث إليك..
- ولكنه لا ينظر إلي.. هل أنا قبيحة إلى هذا الحد؟!
- لا.. بل لأنك جميلة إلى هذا الحد!!

ويضحك فيليب، ويضحك الشبان.. وأنا لا أفهم شيئاً..

كانت تثور ثورتي،

لكن فيليب بوداعته، أوضح لي أنهم مسلمون، وأن دينهم يأمرهم ألا يطيلوا النظر إلى النساء الأجنبيات، وأن هذا أحد الأشياء المحرمة عليهم.

تعجبت كثيراً من شأن هؤلاء.. تعجبت أكثر لشأن فيليب الذي بدا معتاداً على الشباب، كأنه واحد منهم.. حتى أنه طلب مني أن أتحفظ في ملابسي عندما أكون برفقتهم، حتى لا أسبب حرجاً للشبان الذين يتحاشون الاختلاط بالفتيات والنظر إليهن.

فيليب تغير بالفعل..كثيراً ما كنت ألمح في يديه بعض الكتب التي يدلف بها إلى غرفته سريعاً، ثم يمضي أوقاتاً طويلة في قراءتها..لم أكن أشك أنها تخص أصدقاءه العرب، الذين شاركوني قلب فيليب وعقله،ولولا إصراري على مشاركتهم فيليب، حتى وهو معهم، لما تركوا لي منه شيئاً.

بدأ يتسرب إلي يقين أن شيئاً خطيراً يدور..أن فيليب.. ربما.. ربما يفكر أن يعتنق دينهم..

شواهد كثيرة كلها تؤكد ذلك.. هجره رفقاء دراستنا، وملازمته هؤلاء الشبان..ابتعاده عني حتى وهو معي.. عاداتهم ومعتقداتهم التي يتحدث عنها وكأنه أحدهم.. الكتب التي يتسلل بها..

دخان البخور الشرقي الذي يتسرب من تحت باب غرفته الموصدة عليه كل ليلة..

(الترانيم) العربية التي أسمعه يرددها في جوف الليل ثم يبكي بصوت مرتفع..

نعم.. فيليب دخل دينهم.. (فيليب يضيع مني)!!

ذات صباح أفقت من نومي على طرقات فيليب القوية على باب غرفتي، وصياحه علي في الخارج..

- لورا.. افتحي.. افتحي سريعاً يا حبيبتي.

فيليب لم يعد يدخل علي غرفتي وأنا نائمة.. كان يتحاشى النظر إلي وأنا متخففة من ملابسي تماماً مثل رفاقه..

كنت أتحفظ في ملابسي حتى لا أغضبه، كنت أخشى أن يأتي يوم يقرر فيه الاستقلال عن مسكننا.

ارتديت ثيابي التي يرتضيها فيليب.. فتحت الباب.. شاهدته يقف أمامي مرتعداً فرحاً خائفاً ملتمع العينين..

- ما الذي ألمّ بك؟
- رأيته..
- رأيت من؟ وأين؟
- الرسول يا لورا.. رأيت الرسول..
- فيليب.. أي رسول؟
- محمد.. رأيت سيدنا محمدًا.. حلمت به.. أنا مسلم يا لورا.. أنا مسلم.

صرخ وضحك وبكى، وأنا واقفة في ذهولي لم أزل من وقع الصاعقة..

(سيده محمد)!!.. وفيليب مسلم.. قالها صراحة..

كانت المرة الأولى التي أسمع فيها بهذا الاسم.. محمد..

لم أكن أتوقع أنه سيصبح اسم الرجل الذي أحبه؛

فقد أخبرني أنه لم يعد يرغب في اسم (فيليب)، وأنه يحب أن أناديه باسمه الجديد.. (محمد).

ولكنني أحببت فيليب.. محمد هذا لا أعرفه.. لم أحبه.. صرخت فيه:

• أنا لم أحب محمداً هذا ولا أعرفه.. أنا أحبك أنت.. أنت فيليب المسيحي..

نظر إلي نظرة باردة لم أرها في عينيه من قبل، وتمنيت أني لم أرها أبداً.. بدا واضحاً أنه لم يكن يود سماع ذلك مني..

• لورا.. أنا محمد.. محمد المسلم.. فيليب المسيحي أصبح ماضياً..أنا مسلم يا لورا وأتمنى أن تكوني مسلمة أيضاً.. لكنني سأترك لك الخيار..

موافقتي على وجود رسول الشبان العرب في حياتنا كانت بطاقة مرور لي إلى عالم فيليب الجديد..

حقيقة لم أكن أحبه، ولم أكن أكرهه.. مشكلتي أني لم أكن أعرفه..

فيليب الجميل كان يقدر هذا.. قال إنه لن يرغمني على الدخول معه في الإسلام، وإن دينه الجديد يسمح له بأن يتزوجني وأنا مسيحية..

قال أيضاً إنه يتمنى أن أكون مسلمة؛ لأنه يريد أن أكون زوجته في الجنة.. وهذا لا يتسنى لي إلا إذا كنت مسلمة..

قال لي فيليب: "لا أتصور أنك لا تشاركينني أهم شعور في حياتي.. حب محمد"..

عندما قلت له إني أحب كل الأشياء التي يحبها، حتى رسوله محمد، قال لي: "ليس ذاك يا لورا.. يجب أن تكوني مسلمة حتى تستطيعي أن تحبي محمداً.. يجب أن تعرفي من يكون الرسول.. يجب أن نحب محمداً أكثر مما يحب كلانا الآخر.. أنا أحبك يا لورا.. لكنني أحب الرسول أكثر.. هذا هو الإسلام".

لم أكن أتصور أن أسمع من فيليب يوماً أنه يحب شيئاً أكثر مني..

لكن شعوري بأنه لا يزال يحبني جعلني أوافق.. المهم في النهاية أن أكون مع فيليب..

لا يهم.. فليحب العالم بأسره ما دام يحبني.

محمد.. ما الذي يجعل الشبان العرب يحبون هذا الرجل هكذا، كما لو كان حياً يجلس بينهم ويتحدث إليهم.. حتى فيليب أصبح يحبه كما لم يحب أحداً من قبل..

يحبه أكثر مما يحب أبويه وأسرته.. أكثر مما يحبني أنا لورا.. لا أصدق!!.

كان علي أن أقبل.. ليكن فيليب مسلماً.. وليكن اسمه محمداً.. وليحب محمداً أكثر مني ومن أي شيء.. كان علي أيضاً أن أوافق على طلب فيليب أن يتزوجني ونحن ما زلنا طالبين..

فيليب قال إن صداقتنا محرمة في دينه الجديد.. وإن علينا الزواج إن أردنا الاستمرار معاً.. وما كنت لأرفض.

تزوجت فيليب على رغم معارضة أهلي.. استطعنا أن نعمل وندبر حياتنا..

فيليب بدأ يطلب مني أشياء لم أعتدها.. طريقة لباسي مثلاً، واختلاطي بالآخرين..

كان يقول: إن زوجات الرسول وبناته كن يلبسن ثياباً ضافية على أجسادهن، ويغطين وجوههن، ويخاطبن أصحاب الرسول فلا يرينهم ولا يراهن أصحاب الرسول..

حاولت أن أقول له إنني مسيحية.

قال لي: "ولكنني مسلم.. إنني أغار عليك يا لورا"..

أمر مدهش.. فيليب يغار، ويقولها صراحة..مفردات جديدة بدأت أسمعها ولا أكاد أصدقها.. المدهش أكثر أني لم أعترض..

المدهش أكثر وأكثر أنني لبيت كل ما طلب مني وما رغب..

ثمة شيء داخلي كان يستجيب لكل ما يفعله بي فيليب وصاحبه (محمد)..

فيليب لم يعد يتحدث عن رغبته الخاصة في شيء ما..

كل ما كان يطلب مني أن أفعله أو لا أفعله أشياء تتعلق بموافقة (الرسول) أو رفضه..

كان يساورني شعور أنني سأعود يوماً إلى مسكننا فأجد فيليب جالساً يتحدث معه، على رغم علمي بموته من مئات السنين..لم أعد أستغرب شيئاً..

إنه يدير حياتي مع فيليب من قبره، بل وحياة الشبان العرب، بل وملايين المسلمين الذي علمت أنهم يخضعون أنفسهم لرقابة ذاتية صارمة، ليتيقَّن أحدهم أنه لم يأت شيئاً يغضب الرسول، وأنه يفعل كل ما يرضيه عنه؛ لأن الرب سيرضى إذا رضي الرسول..

ملايين المسلمين يعتقدون ذلك..

ملايين البشر يحبون رجلاً واحداً كل هذا الحب، ويتعلقون بحبه كطوق نجاة أتيح لغريق..

ملايين البشر يتسابقون إلى التشبه برجل ولد وعاش ومات في صحراء العرب..

ما الذي جعل أفكاره تلك تبرح صحراءها في ذلك الزمن القديم، وتنتقل آلاف الأميال حتى تقطع طول الأرض وعرضها، ثم تمتد عبر الأجيال يتناقلونها في تفاصيلها الدقيقة..

حتى معاشرة فيليب إياي، كان يحرص على أن تكون أشبه بمعاشرة (محمد) لزوجاته.. طعامه.. شرابه.. حديثه.. علاقاته بالآخرين..

حتى سلامه علي حال عودته إليّ.. كل شيء تغير.. أنا أيضاً بدأت أتغير.. محمد غير كل شيء..كنت خائفة من المجهول الذي أرتاده مغمضة العينين، لا أعرف فيه سوى فيليب الذي يأخذني من يدي، فأتبعه إلى حيثما شاء.. كنت في حاجة إلى معرفة شيء عن ذلك المجهول. (محمد)..

اسم وجدته أخيراً في ثنايا بعض كتبنا.. سيرته وشهادات عنه.. لأكثر من بروفيسور.. كثيرون يرونه عبقرية نادرة..

محمد فيلسوف العرب، الذي رسم لهم معالم المستقبل، ولم يحيدوا هم وغيرهم من المسلمين غير العرب عما رسمه لهم إلى الآن.. صغارهم يرضعون حبه من أثدية أمهاتهم،

ثم يتعهدهم الآباء كباراً بتعاليم الرجل الذي يصر المسلمون على أنه رسول وليس فيلسوفاً كما تقول بعض كتبنا.. ما أدهشني أن الرجل كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، فأين تعلم رجل الصحراء الأميّ الفلسفة؟!.. أسئلة بدأت تجد طريقها للمرة الأولى إلى عقلي..

محمد لم يكن بالنسبة إلي أكثر من قنطرة يجب أن أعبر عليها إن أردت أن أكون مع فيليب.. ستار أسدل حول جسدي بل وحياتي كلها برغبة من فيليب الذي أحب الرجل حتى أشهر إسلامه، وسعى إلى تغيير اسمه رسمياً فأصبح (محمد شيرار).

محمد لم يعد مجرد أشياء تحدث من حولي وتحدث لي على رغم مني..

محمد بدأ يدير حواراً داخلي.. من المؤكد أن رجل الصحراء الأمي لم يكن فيلسوفاً.. ومن المؤكد أيضاً أنه لم يكن رجلاً عادياً..محمد بالنسبة إلى المسلمين ـ الذين أصبحت زوجة أحدهم ـ فلك تدور فيه حياتهم، يحبونه أكثر مما يحبون أنفسهم..

طريق لا تحيد عنه خطاهم..أمنية أحدهم أن يقدم ما يرضي عنه (الرسول) في الحياة الآخرة، التي سيبعث الرب الناس إليها بعدما ينتهي العالم، حيث يكون أكثرهم حباً لمحمد واتّباعاً له أقربهم منه في تلك الحياة.

زوجي فيليب كان أحد هؤلاء الذين سيطرت عليهم الفكرة..

الحياة مع محمد..الشبان العرب كذلك.. ملايين المسلمين يتملكهم ذلك الاعتقاد..

ملايين المسلمين يعيشون على أمل لقاء محمد في الآخرة والسلام عليه والعيش إلى جواره.

وأنا.. هل سأكون معهم؟..

هل سيفرض علي أن أعيش مع محمد في الحياة الآخرة كما فرض علي العيش معه في الدنيا في كل دقيقة من دقائق حياتنا التي نتنفس فيها هواء (محمد) الذي يملأ به فيليب بيتنا؟!..

لا.. فيليب قال إن ذلك لن يحدث.. لأنني ما زلت مسيحية..

وجنة (محمد) لا يدخلها إلا المسلمون.. يا إلهي.. ولكن فيليب سيكون معه.. هل يعني هذا أنني سأكون من دون فيليب في الحياة الآخرة؟!.

هل حقاً سأكون وحدي؟!!.. مع مَن؟!.. مع يسوع مثلاً؟!!..

ولكن فيليب قال إن محمداً ويسوع أخَوان، وإنهم جميعاً سيكونون معاً.. محمد وفيليب ويسوع..

يا إلهي.. فأين أكون أنا؟ هل ثَم حياة أخرى فعلاً؟!..هل ستنهض تلك العظام حقاً من رقادها القديم تحت التراب؟!..

يا إلهي.. اغفر لي.. لقد تعبت من التفكير.. تعبت من كل شيء.

بيد أن فيليب قطع علي أفكاري..

فيليب قرر السفر مع وفد من جماعة حقوق الإنسان التي أصبح عضواً فيها إلى فلسطين، ليناهضوا اليهود في حربهم ضد مسلمي فلسطين..

فيليب قال إن هذا (جهاد)، وإنه أكثر شيء يقربه من محمد أن يدافع عن المسلمين الذين وصفهم بأنهم (إخوانه)..

قال لي: "لا تخافي يا حبيبتي.. لن نكون أكثر من حائط بشري يحمي إخواننا المسلمين الضعفاء من اليهود..لن يتمكنوا من إيذائنا، فالعالم كله يشاهد.. إن شاء الله سأعود"..

دعوت الإله أن يعود.. دعوت إلهي، إله يسوع.. وحتى إله محمد وفيليب..

ودعوت الإله الواحد الذي حدثني عنه فيليب.. إله محمد ويسوع وفيليب والشبان العرب..

دعوت كثيراً أن يعود فيليب.. لكن فيليب لم يعد.. إحدى رصاصات الجيش الإسرائيلي أخطأت طريقها فسكنت صدره.. تلك هي النهاية إذن؟

رصاصة في صدر فيليب، وامرأة تجلس في انتظار غائبها الذي لن يعود؟

كان يلزمني وقت كبير لأصدق أن فيليب مات وأن كل شيء انتهى.. تبًّا لتلك الحياة التي نعيشها، هل تسدل الستار على مشاهد حياتي أنا وفيليب رصاصة انطلقت بالخطأ من فوهة بندقية أحدهم؟!

أين عدالتك أيتها الأرض؟ أم أنه ليس ثَمَ عدالة فوقك؟

إذن أنا في انتظار عدالتك أيتها السماء؟ ولكن متى؟

فيليب مات ولن يعود، وسأظل في هذا الكون بمفردي حتى.. حتى ماذا؟

هل ثم سبيل حقا إلى رؤية فيليب، هل ثم حياة أخرى أعيشها معه؟

با إلهي أدركني، إن عقلي يتمزق..

رصاصة أخطأت طريقها تفعل هذا كله بحياتي؟ لا أكاد أصدق!!..

لكنني كنت أعلم أن فيليب، زوجي المسلم، لم يخطئ طريقه إليها..

فيليب دائماً كان يتمنى أن يموت مجاهداً في سبيل الإسلام ليكون (شهيداً)..

وشهيداً هذه عند المسلمين تعني أنه مع محمد.. (محمد) حبيب فيليب حبيبي وزوجي..

(محمد) الذكرى الباقية لي من فيليب..

محمد الذي لم أتصور أنني يوماً ما سأحبه، ليس فقط لأنه ذكرى فيليب كما كنت أظن بادئ الأمر، عندما قررت الانضمام إلى الشبان والفتيان العرب المسلمين لأكون بينهم مكان فيليب، بل لأنه يستحق ذلك..نعم أحب محمداً فعلاً.. أحبه صدقاً، وليس من أجل فيليب..

أحبه لأنه كان حنوناً، ولأنه كان رحيماً، ولأنه تعب كثيراً ليملأ قلوب العالم بحب الرب..

الرب الواحد.. رب يسوع ومحمد وفيليب والشبان العرب وملايين المسلمين..

نعم أحبه لأنه أوذي كثيراً وأُخرج من بلده وعاش غريباً يدعو إلى دين الرب (الإسلام)..

يكابد الجوع والخوف على نفسه وأهله وأصحابه ويخوض حروباً مع أعداء الرب..

يموت أصحابه حوله من أجل دعوته ثم يموت هو وتبقى دعوته،ويبقى حبه في قلوب أصحابه تتواصى به الأجيال..

حب (محمد) الذي مس قلب فيليب فظل يركض بقوة إليه حتى سقط مغمض العينين باسماً مستبشراً بلقائه..

حب محمد الذي مس قلبي وقلوب هؤلاء الذين أسير بينهم الآن في شوارع لندن، نهتف باسم محمد ضد ذلك الأخرق الذي أساء برسومه الساخرة إلى الرسول (محمد).. الذي لا يعرفه، ولو عرفه لما أساء إليه..

الآن أمشي وسط الشبان والفتيات العرب، على الطريق نفسها التي ينتظر في آخرها (محمد) واقفاً عند حوض مائه العذب..

يسقي منه بيديه الطيبتين الحانيتين النورانيتين أحبابه وأصحابه الذين رضي الرب عنهم؛ لأنهم أحباب وأصحاب محمد..

على الطريق نفسها التي بدأ يدخلني اليقين الذي دخل قلب فيليب أنها تفضي إلى الحياة الآخرة؛ لأكون زوجة فيليب في الجنة كما كان يحلم ويدعو دائماً أن نكون معاً.. أنا.. وفيليب.. ومحمد.

لا تلومونا على حب النبي ﷺ

لا تلومونا على حب النبي ﷺ : فرفعة منزلته لم تقلل من تواضعه وبساطته، وقف أمامه ذات مرة أحد الأعراب، فاستشعر عظمته ووقاره وتواضعه، فارتجف واضطرب هيبة من الرسول الكريم، فهدّأ من روعه قائلا له: هوّن عليك، فما أنا بملك ولا سلطان، إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد!. زاهد.. عاش لغيره .

لا تلومونا على حب النبي ﷺ : كان معاشه لا يرتقي حتى ضعاف رعيته، وصفت زوجته عائشة رضي الله عنه حاله وهو يملك الحضر والمضر: (ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ إنا كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثم الهلال، ثلاثة أهلة في شهرين وما أوقد في أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار) أخرجه الترمذي..

لا تلومونا على حب النبي ﷺ : كان ينام على الحصير حتى ترك له بصمات على جنبيه. فعن ابن عباس أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– دخل عليه عمر وهو على حصير قد أثر في جنبه فقال: (يا نبيَّ اللَّهِ لوِ اتَّخذتَ فراشًا أوثرَ من هذا فقالَ مالي وللدُّنيا ما مَثَلي ومَثَلُ الدُّنيا إلَّا كراكبٍ سارَ في يومٍ صائفٍ فاستظلَّ تحتَ شجرةٍ ساعةً من نَهارٍ ثمَّ راحَ وتَرَكها) أخرجه أحمد والترمذي بسند صحيح.

لا تلومونا على حب النبي ﷺ : بعدما أخرجه قومه ودفعوا به إلى الصحراء وحرموه البلد والأهل والأحبة وذكريات صبي يتيم، ونظر إلى رمالها وشعابها وبنيانها وهو يودعها وداع مظلوم ومبتلى، نظرة حزن وحيرة، نظرة المواطن الذي حرم وطنه ظلما وعدوانا: إنك أحب أرض الله إليّ! ولولا قومك أخرجوني لما خرجت.

وبعد سنين من الإبعاد والنفي واللجوء والمكائد والحروب عاد مظفرا ليقل لهم: ماذا تروني أني فاعل بكم.. لا تثريب عليكم اليوم.. اذهبوا فأنتم الطلقاء!.

لا لا تلومونا على حب النبي ﷺ : كان نبيا في وحيه، رسولا في تبليغ رسالته، وإنسانا في بيته ومع زوجه وأحفاده. كان يجعل ظهره مطية للحسن والحسين، حتى في أثناء الصلاة، فأطال على الناس ذات مرة السجود، فظنوا أنه قد أصابه مكروه ؛فلما فرغ سألوه عن سبب إطالته، فقال إن ابني ارتحلني (ركبني) فكرهت أن أعجله.

لا تلومونا على حب النبي ﷺ : لقد يسابق زوجه، فتسبقه مرة ويسبقها مرة؛ فيقول لها مداعبا: هذه بتلك.

لا تلومونا على حب النبي ﷺ : كان ملازما أمته وهمومها، يعيش فرحها ويعيش أزماتها ... لما كان الناس يحفرون الخندق حول المدينة اتقاء من هجوم قريش وحلفائها، كان الرسول معهم بفأسه.

وكان الناس في ضنك شديد، فالتقى عليهم الجوع والعطش والتعب والنصب لقلة ذات اليد ولدقة الموقف، فكان الناس يضعون حجرا على بطونهم حتى تلتصق بأجسادهم فلا توجعهم ولا تمزق أحشاءهم، واشتكى القوم من هول الموقف ومن الجوع المضني ورفعوا عن بطونهم ليُرُوا رسولهم الأحجار التي وضعوها. ورفع النبي عن بطنه الشريفة فكان حجران! لا لوم، لا اعتذار، وإنما قدوة ونموذج، وصبر وتواضع وصحبة.

لا تلومونا على حب النبي ﷺ : كان قوّاما صوّاما، يقوم ليله عابدا مسبحا متضرعا باكيا حتى تتفطر قدماه الشريفتان وتبتل لحيته، فتتعجب زوجه وتقول له وكلها شفقة عليه: (أتصنع هذا وقد غفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟).. وكأن لسان حالها يقول: فلماذا هذا الإبحار في القيام والذكر والتذلل؟ فيجيبها بكل براءة المحب العاشق لربه والصادق مع نفسه: (يا عائشة، أفلا أكون عبدا شكورا؟).

هذه ومضات من حياة النبي، وأنا مقصر لا محالة.

والقلم عاجز عن التعبير بما يعجّ في أعماقنا وذواتنا من حب واحترام واتباع لمحمد. ويبقى حب أمة لنبيها ملاذا حين العواصف، ودافعا حين الشدائد، ومغيثا حين الهزائم، وأملا حين اليأس والإحباط، وتواضعا حين الانتصار. ويبقى محمد.. فلا تلومونا على حب النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

المصدر – إسلام أون لاين – من الإرشيف.

قبسات من الشعر المعاصر في حبه ﷺ

قال شاعر: لحظات مع الحبيب ﷺ:

وَجْدُ الفؤَادِ دُموعُ العَينِ تُوقِدُهُ فَكَيفَ قلبي – وقَدْ فاضتْ – يُكابِدُهُ؟

فهل يذوقُ أسيرُ العشقِ طَعمَ كرًى وطيفُ محبوبِهِ للهُدْبِ يُسْهِدُهُ؟!

إن أُطْبقَ الجَفْنُ قلبي ساهِرٌ قلقٌ شوقاً إليهِ ولمَّا يأْتِ مَوْعِدُهُ

تُرى.. إذا حانَ يومُ الوَصْلِ يعْرِفُني أم في محيَّايَ بابُ العُذرِ يُوصِدُهُ؟

سماءُ حُزني على شكوايَ باكيةٌ تسقي اشتياقي، وصبري كمْ تُبدِّدُهُ!

إنْ غابَ ذِكْرُكَ نارُ الحُبِّ ما خمدتْ فإنَّ ذكراكَ في قلبي تُجدِّدُهُ

وكَيفَ تَخمدُ والأنفاسُ عاصِفةٌ أما أسيرُ الهوى رِيحٌ تنهُّدُهُ؟!

أنا سجينُ الجوى.. هلا يُحَرِّرُني حِبٌّ عن الرُّوحِ بُعدي ليسَ يُبْعِدُهُ

متى يُقرُّ عيوني ثلْجُ رؤيتِهِ إن اللِّقاءَ لَظَى نفسي يُبرِّدُهُ

• • • •

ماذا أقولُ إذا أضْحى يُعاتِبُني عمَّا جنيتُ ولمْ أبْرَحْ أُعاهِدُهُ

ماذا أقولُ لخَيْرِ الخلْقِ يا أسفى أكانَ حُبِّي لهُ قولاً أُردِّدُهُ؟!

أكانَ حُبِّي أهازيجاً أُدندِنُها بالاحتفالِ إذا ما جاءَ مَولِدُهُ؟!

أحُبُّهُ سَكْرَةٌ في ذِكْرِهِ عَبَرَتْ ونارُ شوقٍ إذا ما بانَ مسْجِدُهُ؟

أيُورِثُ المُصْطفى النَّهْجَ القويمَ لنا والدِّينُ دَينٌ لربِّي لا أُسدِّدُهُ!

شُغِلْتُ بالنَّاسِ عنْ عيبي بعَيْبِهِمُ للنَّاسِ ربٌّ.. ولي ربٌّ أُوحِّدُهُ

فلمْ يكنْ ضائري ما جاءَ فاجِرُهُمْ ولمْ يكنْ نافعي في اللهِ عابدُهُ

ولو قضيتُ حياتي مصلِحاً زللي لمْ يكفِني العُمْرُ فيما كُنْتُ أُفْسِدُهُ

وقال آخر : عَجَزَ الكلامُ عن الكلامِ بِوَصفِكُم:

عَجَزَ الكلامُ عن الكلامِ بِوَصفِكُم حارَ الخيالُ وفاقَ مايُتَصَوَرا

ياسَيِدي كَم في الفؤآدِ لِشَخْصِكُم حُباً ووصفي فيكمو متعذرا

لايارسولَ اللهِ لَستُ مُوَفِياً وَقَفَ الثَناءُ أمامَكُم مُتَحَيرا

لكن أقولُ لَعَلَ اللهَ يجزِيَني خيراً بِمَدحِ مُحَمَدٍ خَيرِ الوَرى

يكفي بأنَ اللهَ في قُرآنِهِ قد أثبَتَ الخُلقَ العظيم الأنوَرا

يكفي بأنَ النورَ شَعَ شُعاعَهُ لما دعا للعالمينَ وأخبرا

وقال ثالث : يا طالباً للحُبّ هِم بمحمد ﷺ :

يا طالباً للحُبّ هِم بمحمد ذاك هو النبع الزُلال الصافي

حُباً يورّثك الجنان فسيحة يُنجيك من كرب بلا مقداف

اعرف فضائل مصطفاك فريضة واسكنها بالقلب الكليم الجافي

إن كنت ترضى في الحبيب تواضعاً فمحمدٌ نهر التواضع صافٍ

أو كنت ترضى في الحبيب تعطّفاً فبعطفه أمسى الصقيع دافئ

إن كان يُعجبك التسامح شيمة سل أهل مكة ساعة الإنصافِ

ولئن يروقك أن تهيم بماجدٍ فالمجد صنعته بلا إسفاف

الرسالة التاسعة

لَوْ عَلِمْتَ مِقْدَارَ رَحْمَةِ النَّبِيّ ﷺ

لأَحْبَبْتَهُ أَكْثَرَ مِنْ نَفْسِكَ

وستقرأ فيها:

- مدخل.
- ثناء الله تعالى على الحبيب ﷺ بأنه رحمة.
- من مظاهر رحمته ﷺ بالمؤمنين على اختلاف طبقاتهم في الدنيا.
- من مظاهر رحمته ﷺ بأمته في الآخرة.

- من مظاهر رحمته ﷺ بأعدائه.
- من مظاهر رحمته ﷺ بالحيوانات.

مدخل

ما بعث الله محمداً ﷺ إلا لإنقاذ البشرية من شقاء الجاهلية، فهو في سلمه وحربه رحمة للإنسانية ولهذا لم يقل سبحانه رحمة للمؤمنين وإنما قال للعالمين فالله تعالى جعله الرحمة المهداة رحم به الإنسانية جمعاء؛ لأنه جاءهم بالخلاص من الشقاوة العظمى، ونالوا على يديه الخيرات الكثيرة الدينية والدنيوية، فعلَّمهم بعد الجهالة، وهداهم بعد الضلالة وأنقذهم من براثن الشرك والوثنية، فكان رحمة للعالمين؛ حتى الكفار رُحموا به، حيث أخرَّ الله عقوبتهم فلم يستأصلهم بالعذاب كالخسف والمسخ والغرق كما حدث للأمم السابقة إكراماً لرسوله عليه الصلاة والسلام: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾، وحين حمل رسول الله ﷺ السلاح؛ إنما كان الغرض منه إنقاذ البشرية من الشقاء كالطبيب الذي يستعمل المبضع لينقذ المريض من خطر داهم محقق.

ثناء الله تعالى على الحبيب ﷺ بأنه رحمة

قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾. [آل عمران:159].

هذه الآية محورها هو شخص رسول الله ﷺ وحقيقته النبوية الكريمة وقيمة هذه الحقيقة الكبيرة في حياة الأمة المسلمة؛ ومدى ما يتجلى فيها من رحمة الله بهذه الأمة وحول هذا المحور خيوط أخرى من المنهج الإسلامي في تنظيم حياة الجماعة المسلمة، فنجد حقيقة الرحمة الإلهية المتمثلة في أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وطبيعته الخيرة الرحيمة الهينة اللينة، المعدة لأن تتجمع عليها القلوب وتتألف حولها النفوس.

يتوجه الخطاب إليه صلى الله عليه وسلم بطيب قلبه وإلى المسلمين بتذكيرهم نعمة الله عليهم به.

فهي رحمة الله نالته ونالتهم؛ فجعلته ﷺ رحيماً بهم، ليناً معهم ولو كان فظاً غليظ القلب ما تألفت حوله القلوب ولا تجمعت حوله المشاعر. فالناس في حاجة إلى كنف رحيم وإلى رعاية فائقة، وإلى بشاشة سمحة وود يسعهم وحلم لا يضيق بجهلهم وضعفهم ونقصهم.. في حاجة إلى قلب كبير يعطيهم ولا يحتاج منهم إلى عطاء؛ ويحمل همومهم ولا يعينهم بهمة ويجدون عنده الاهتمام والرعاية والعطف والسماحة والود والرضاء وهكذا كان قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهكذا كانت حياته مع الناس ما غضب لنفسه قط ولا ضاق صدره بضعفهم البشري، ولا احتجز لنفسه شيئاً من أعراض

هذه الحياة؛ بل أعطاهم كل ما كانت يداه في سماحة ندية ووسعهم حلمه وبره وعطفه ووده الكريم. وما من واحد منهم عاشره أو رآه إلا امتلأ قلبه بحبه؛ نتيجة لما أفاض عليه صلى الله عليه وسلم من نفسه الكبيرة الرحيمة.

وكأن الله جل جلاله يقول له: فبرحمة الله يا محمد ورأفته بك، وبمن آمن بك من أصحابك، لنت لهم، حتى احتملت أذى من نالك منهم أذاه، وعفوت عن ذي الجرم منهم جرمه، وأغضبت عن كثير ممن لو جفوت به وأغلظت عليه، لتركك ففارقك ولم يتبعك ولا ما بعثت به من الرحمة، ولكن الله رحمهم ورحمك معهم[8].قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾. (التوبة:128).

لقد منَّ الله على خلقه برسول كريم ﷺ ، فكان الرحمة المهداة للعالمين يحدو بهم نحو طريق الفلاح، ويضع خطط التغيير والإصلاح، محفوفاً برعاية الله، مستنيراً بهدي الله، لا يأخذ الناس في دعوته بالمكر والحيلة ولا بالعنف والإكراه، بل يترفق بهم، ويلين لفظاظتهم ويخاطبهم بما يفهمون، وهو يعلمهم ويرشدهم بما فيه مصلحة لهم من خيري الدنيا والآخرة.

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107]: قال ابن عباس في تفسيرها: "من آمن بالله ورسوله تمت له الرحمة في الدنيا والآخرة، ومن لم يؤمن بالله ورسوله عُوفي مما كان يصيب الأمم في عاجل الدنيا من العذاب من الخسف والمسخ والقذف؛ فذلك الرحمة في الدنيا"، ومصداق

8 – مقال : رحمة الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم – شيرين شاكر علي – شبكة الأوكة الشرعية.

هذا في كتاب الله عز وجل؛ حيث قال :(وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ) [الأنفال: 32، 33].

كان صلى الله عليه وسلم رحمة في الدين والدنيا:

أما في الدين : فلأنه بعث والناس في جاهلية وضلالة، وأهل الكتاب كانوا في حيرة من أمر دينهم لطول مكثهم وانقطاع تواترهم ووقوع الاختلاف في كتبهم، فبعث الله تعالى نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم حين لم يكن لطالب الحق سبيل إلى الفوز والثبات، فدعاهم إلى الحق وبيَّن لهم سبيل الثواب، وشرع لهم الأحكام وميَّز الحلال عن الحرام. ثم إنما ينتفع بهذه الرحمة من كانت همته طلب الحق فلا يركن إلى التقليد ولا إلى العناد والاستكبار

وأما في الدنيا : فلأنهم تخلصوا بسببه من كثير من الذل والقتال والحروب ونصروا ببركة دينه.

ومن ذلك قوم شعيب الذين سألوا نبيهم:(أسقط علينا كسفاً من السماء إن كنت من الصادقين) فعاقبهم الله بعذاب يوم الظلة، إنه كان عذاب يوم عظيم.

وأما نبي الرحمة ونبي التوبة المبعوث رحمة للعالمين فسأل إنظارهم وتأجيلهم لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبده لا يشرك به شيئاً .

وكذلك الأحزاب لما أجلاهم عن المدينة بما أرسل عليهم من الريح والجنود الإلهية، ولولا أن جعل الله رسوله رحمة للعالمين، لكانت هذه الريح عليهم أشد من الريح العقيم على عاد، ولكن قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾. [لأنفال:33].

من مظاهر رحمته ﷺ بالمؤمنين على اختلاف طبقاتهم في الدنيا

1/دعاؤه صلى الله عليه وسلم لأُمَّته في كل صلاة:

عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: لما رأيتُ من النبي صلى الله عليه وسلم طيب نفس، قلت: يا رسول الله، ادعُ الله لي، فقال: (اللهم اغفر لعائشة ما تقدَّم من ذنبها وما تأخَّر، ما أسرَّت وما أعلنَتْ)، فضحكت عائشة حتى سقط رأسُها في حجرها من الضحك، قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أيسرُّك دُعائي؟)، فقالت: وما لي لا يسرُّني دعاؤك؟ فقال صلى الله عليه وسلم: (والله إنها لدُعائي لأُمَّتي في كل صلاة) صحيح ابن حبان وحسنه ا؟لألباني.

2/ من رحمته صلى الله عليه وسلم : أنه كان إذا رأى أحد أصحابه في حالة شدة وبأس يحزن لأجل ذلك حزناً شديداً ويرق قلبه ويبكي متأثراً من ذلك الموقف، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: اشتكى سعد بن عبادة شكوى له، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده مع عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم، فلما دخل عليه فوجده في غاشية أهله فقال: قد قضى، قالوا: لا يا رسول الله، فبكى النبي صلى الله عليه وسلم فلما رأى القوم بكاء

النبي صلى الله عليه وسلم بكوا فقال: " ألا تسمعون إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ولكن يعذب بهذا – وأشار إلى لسانه – أو يرحم وإن الميت يعذب ببكاء أهله عليه" وكان عمر رضي الله عنه يضرب فيه بالعصا ويرمى بالحجارة ويحثى بالتراب). رواه البخاري ومسلم.

3/ رحمة الحبيب صلى الله عليه وسلم بالأعراب :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلاة وقمنا معه، فقال أعرابي وهو في الصلاة: اللهم ارحمني ومحمداً، ولا ترحم معنا أحداً فلما سلم النبي صلى الله عليه وسلم قال للأعرابيّ: لقد حجرت واسعاً. يريد رحمة الله) رواه البخاري.

قال ابن بطال: أنكر صلى الله عليه وسلم على الأعرابي لكونه بخل برحمة الله على خلقه، وقد أثنى الله تعالى على من فعل خلاف ذلك حيث قال: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيْمَانِ ﴾ [الحشر: 10].

الأعرابي اللين بعد أن كان فظاً: وروي أن أعرابياً جاءه يطلب منه شيئاً فأعطاه ثم قال: أحسنت إليك ؟ قال الأعرابي: لا ولا أجملت، فغضب المسلمون وقاموا إليه، فأشار إليهم أن كفوا ثم قام ودخل منزله وأرسل صلى الله عليه وسلم إليه شيئاً ثم قال: أحسنت إليك ؟ قال: " نعم، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً "، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (إنك قلت ما قلت وفي نفس أصحابي من ذلك شئ فإن أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب ما في صدورهم عليك)، قال: نعم. فلما كان الغد أو العشي جاء فقال صلى الله عليه وسلم: (إن هذا الأعرابي قال ما قال فزدناه فزعم أنه رضي أكذلك ؟)) قال: (نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً)، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (مثلي ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها إلا نفوراً فناداهم صاحبها خلُّوا بيني وبين ناقتي فإني أرفق بها منكم وأعلم فتوجه لها بين يديها فأخذ لها من قمام الأرض فردّها

حتى جاءت واستناخت وشدّ عليها رحلها واستوى عليها وأني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار). رواه أحمد.

ومن يتأمّل هذا الحديثَ العظيم، يجد كمال حُسن عِشرته، وسياسته مع خلقِ الله، وشَفقته عليهم، ورحمتِه بهم، ومعاشرتِه معهم، وكمالِ الحرصِ والجِدّ على نفعهم، وتمامِ مُلاطفته للجاهلينَ لِحَمْلِهِ لأذَاهُم، وتحمّله عنهم، ولا غرابة في أحوالهِ وصفاتِه لأنّه شَكُورُ لِرَبّه والشّكُور لله يكونُ في غايةِ الرِّفْعةِ والكمالِ في جميع الأفعال، وسائر الخِصال.

4/ ومن رحمته ﷺ أنه كان إذا رأى أحد أصحابه في حالة شدة وبأس يحزن لأجل ذلك حزناً شديداً ويرق قلبه ويبكي متأثراً من ذلك الموقف، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: اشتكى سعد بن عبادة شكوى له، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده مع عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم، فلما دخل عليه فوجده في غاشية أهله فقال: قد قضى، قالوا: لا يا رسول الله، فبكى النبي صلى الله عليه وسلم فلما رأى القوم بكاء النبي ﷺ بكوا فقال: "ألا تسمعون إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ولكن يعذب بهذا – وأشار إلى لسانه – أو يرحم وإن الميت يعذب ببكاء أهله عليه" وكان عمر رضي الله عنه يضرب فيه بالعصا ويرمي بالحجارة ويحثي بالتراب" رواه البخاري، ومسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (أصابني جهد شديد فلقيت عمر بن الخطاب فاستقرأته آية من كتاب الله فدخل داره وفتحها عليَّ فمشيت غير بعيد فخررت لوجهي من الجهد والجوع، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على رأسي فقال: "يا أبا هريرة". فقلت: لبيك رسول الله وسعديك، فأخذ بيدي فأقامني وعرف الذي بي إلى رحله، فأمر لي بعيس من لبن فشربت منه ثم قال: (عد فاشرب يا أبا هر) فعدت فشربت، ثم قال: (عد) فعدت فشربت حتى استوى فسار كالقدح، قال:

فلقيت عمر وذكرت له الذي كان من أمري، وقلت له: تولى ذلك من كان أحق به منك ياعمر، والله لقد استقرأتك الآية ولأنا أقرأ لها منك. قال عمر: (والله لأن أكون أدخلتك أحبُّ من أن يكون لي مثل حمر النعم) رواه البخاري.

وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل، فأشْفَقْتُ إنْ أغْتَسِلَت أن أهْلِكَ فَتَيَمَّمْتُ ثُمَّ صَلَّيْتُ بِأصْحَابِي الصُّبْحَ فَذَكَروا ذَلِكَ لرسولِ الله ﷺ فقال: (يا عمرو صَلَّيْتَ بأصْحَابِكَ وَأنْتَ جُنُبٌ ؟ فأخْبَرْتُهُ بالَّذِي مَنَعَنِي مِنَ الاغْتِسَالِ وَقُلْتُ: إنِّي سَمِعْتُ الله يقولُ: ﴿وَلاَ تَقْتُلُوا أنْفُسَكُمْ إنَّ الله كَانَ بِكُمْ رَحِيماً﴾ فَضَحِكَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وَلَمْ يَقُلْ شَيْئاً) رواه أبو داود.

6/رفق النبي ﷺ بالشاب الذي يريد أن يزني:

ذاتَ يومٍ دخَل شابٌّ على نبي الطُّهْرِ والفضيلة يستأذنه في أمرٍ جلل، فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا.

أمر عجب، يستأذن أطهرَ البشر في صنع أرذل الخطايا، أمَا يستحي؟! أمَا يرعوي؟ !لقد نالَه من الصحابة – رضوان الله عليهم – ما يتوقَّع لمثله من التقريع والتأنيب، يقول أبو أُمَامَة: فأقبَل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مه مه، وأمَّا النبي ﷺ فقد أدرك أن مشكلة الشاب وانحرافه لن يُقَوَّم بالزجر والوعيد والتقريع، فقال له: (ادنه)، فدنا منه الشابُّ قريبًا فقال له: (أتحبُّه لأمِّك؟)، فانتفض الشاب غَيْرَةً على أمِّه وقال: لا والله، جعلني الله فداءك، فقال له: (ولا الناس يحبونه لأمهاتهم)، ومضى النبيُّ يستثير كوامن الغَيْرَةِ الممدوحة في صدر الشاب: (أفتحبُّه لابنتك؟)، فأجاب الشاب: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداءك، فأجابه النبي بمنطقية المربي: (ولا الناس يحبونه لبناتهم).

ثم جعل رسول الله يستلُّ بحكمته ومنطقه دخَن قلبه، ويُطفِئ نار شهوته بتعداد محارمه: (أتحبُّه لأختك... أتحبُّه لعمتك... أتحبُّه لخالتك؟)، هل تحب أن تراهُنَّ وقد تعرَّضن لمثل ما تريده من محارم الآخرين؟! فالناس يكرهون هذه الفعلة في محارمهم، كما كرهها هو في أهله.

فلمَّا استبشع الشاب فِعلة الزنا طلب – صلَّى الله عليه وسلَّم – له سببًا آخر من أسباب الهداية يغفل عنه الآباء والمربُّون، ألاَ وهو دعاء الله الذي يملك أزِمَّة القلوب ومفاتيحها، فقال: (اللهم اغفر ذنبه، وطهِّر قلبه، وحصِّن فرجه)، واستجاب الله له، يقول أبو أمامة: فلم يكن الفتى بعد ذلك يلتفت إلى شيء.

قصة بليغة تضمَّنت دروسًا متعدِّدة في التعامل مع المخطئ، أولها الدعاء له والحنوُّ عليه، والسماح له بالتعبير عن كوامنه، واستجاشة الخير الذي لا يخلو منه قلب خاطئ أبدًا، وفيها دعوةٌ لنا لنُراجِع أنفسنا، ونغيِّر من طريقتنا في التعبير عن ضجرنا من أخطاء أبنائنا وأصدقائنا، فالسبُّ والشتم الذي نكيله للمخطئين لن يكون سببًا في إصلاحهم وتهذيب سلوكهم وتعريفهم بأخطائهم.

7/ رفقه ﷺ مع مَن تكلم في الصلاة:

ولنتدبَّر موقفًا آخَر يقصُّه علينا معاوية بن الحكم – رضي الله عنه – فقد دخل المسجد يومًا يصلي مع الصحابة خلف النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – فعطس رجلٌ أمامَه، فشمَّته معاوية وهو يصلي، ولما كانت الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس استنكر الصحابة فعله، وهم في صلاتهم، يقول معاوية: "فحدقني القوم بأبصارهم"؛ لاستغرابهم من رجلٍ يتحدث وهو في الصلاة.

لكن الموقف ازداد تعقيدًا حين استنكر معاوية أنظارهم، وجعل يقول لهم وهو في صلاته: "وا ثكل أمياه! ما لكم تنظرون إليَّ؟!"، فزاد استنكار الصحابة لكلامه في الصلاة، "فضرب القوم بأيديهم على أفخاذهم"، وأخيرًا فَهِم معاوية مرادهم: "فلمَّا رأيتهم يسكتونني سكتُّ."

وحين انتهت الصلاة لنا أن نتخيَّل الأنظار وهي تتوجَّه إلى معاوية تلومه، ومثل هذا يتمنَّى – كما يقولون – لو تنشقُّ الأرض وتبتلعه قبل أن تلتهمه العيون بنظراتها العاتبة القاسية، الجميع يرقُب فعل النبي ﷺ مع هذا الرجل الذي جهل ما يعرفه أطفال المسلمين عن حرمة الصلاة وبطلانها بكلام الناس فيها.

يقول معاوية :فلمَّا انصرف رسول الله دعاني، بأبي هو وأمي، ما ضربني ولا كهرني ولا سبَّني، ما رأيت معلمًا قبله ولا بعده أحسن تعليمًا منه، قال: (إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن).

من مظاهر رحمته ﷺ بأمته في الآخرة

عن أبي ذَرٍّ رضي الله عنه قال: صَلَّى رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لَيْلَةً فَقَرَأَ بِآيَةٍ حتى أَصْبَحَ، يَرْكَعُ بها وَيَسْجُدُ بها :﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: 118]، فَلَمَّا أَصْبَحَ، قلتُ: يا رَسُولَ اللَّهِ! ما زِلْتَ تَقْرَأُ هذه الآيَةَ حتى أَصْبَحْتَ، تَرْكَعُ بها وَتَسْجُدُ بها! قال : (إِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي الشَّفَاعَةَ لأُمَّتِي فَأَعْطَانِيهَا، وَهِيَ نَائِلَةٌ – إِنْ شَاءَ اللهُ – لِمَنْ لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً) رواه أحمد بسند حسن .

وعن عبد اللَّهِ بن عَمْرِو بن الْعَاصِ رضي الله عنهما؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَلاَ قَوْلَ اللَّهِ تعالى في إبراهيم – عليه السلام :﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [إبراهيم: 36] وقال عِيسَى عليه السلام :﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ

الْحَكِيمُ ﴾]المائدة: 118]، فَرَفَعَ يَدَيْهِ، وقال:(اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي، وَبَكَى، فقال اللهُ عز وجل: يَا جِبْرِيلُ! اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ – وَرَبُّكَ أَعْلَمُ – فَسَلْهُ مَا يُبْكِيكَ؟ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ – عليه السلام – فَسَأَلَهُ، فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِمَا قال وهو أَعْلَمُ، فقال اللهُ: يَا جِبْرِيلُ! اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، فَقُلْ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ، وَلاَ نَسُوءُكَ) رواه مسلم.

من مظاهر رحمته ﷺ بأعدائه

1/لقد اشتهر أن النبي عليه الصلاة والسلام لما كسرت رباعيته قال: (اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون)، فظهر أنه يوم القيامة يقول: (أمتي، أمتي)، فهذا كرم عظيم منه في الدنيا وفي الآخرة، وإنما حصل فيه هذا الكرم وهذا الإحسان لكونه رحمة، فإذا كان أثر الرحمة الواحدة بلغ هذا المبلغ؛ فكيف كرم من هو رحمن رحيم؟.

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: (إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ أُمَّتِي كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَاراً. فَجَعَلَتِ الدَّوَابُّ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهِ. فَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ وَأَنْتُمْ تَقَحَّمُونَ فِيهِ) رواه مسلم وقال أبو عيسَى: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ وقد روي من غير وجهٍ.

2/ محبته لأمته أن لا يهلكهم الله ولو آذوه:عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم – أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: ((هل أتى عليك يوم كان أشدَّ من يوم أحُدٍ ؟ قال: لقد لَقِيتُ من قومك ما لقيت، وكان أشدَّ ما لقيتُ منهم يومَ العقبةِ إذ عرَضتُ نفسي على ابنِ عبد يا ليل بن عبد كُلال فلم يُجِبني إلى ما أردتْ فانطلقتُ وأنا مَهمومٌ على وَجهِي، فلم أستَفق إلا وأنا بقرنِ الثَّعالب، فَرَفَعتُ رأسي، فإذا أنا بَسحابةٍ قد أظلَّتْني، فنظرتُ فإذا فيها جِبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمعَ قولَ قومكَ لك وما رَدوا عليك، وقد بعث اللهُ إليكَ مَلَكَ الجبالِ لتأمرَهُ بما شِئتَ فيهم، فناداني ملكُ الجبال فسلم عليّ ثم قال: يا محمد، فقال: ذلكَ فيما شئتَ، إن شِئتَ أن أطبِقَ عليهم الأخْشَبَينِ. فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: بل أرجو أن يُخرِجَ الله من أصلابهم من يَعبُدُ اللهَ وحدَهُ لا يُشركُ بهِ شيئاً)) رواه مسلم.

3/ كيف تعامل بالرحمة مع من أراد اغتياله صلَّى الله عليه وسلَّم : كان من أثر هزيمة المشركين في وقعة بدر أن استشاطوا غضبًا، وجعلت مكة تغلي ضد النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – حتى تآمَر بطلان من أبطالها أن يقضيا على مبدأ هذا الخلاف والشقاق والذل والهوان – في زعمهم – وهو النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم.

كان عمير بن وهب من شياطين قريش، وكان ممَّن يؤذي رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – وأصحابه بمكة، فلمَّا أُصِيب أصحاب بدر جلس مع صفوان بن أمية في الحِجْر بعد وقعة بدر بيسير، وكان ابنه وهب بن عمير في أسارى بدر، فذكر أصحاب القَلِيب ومصابهم، فقال صفوان: والله إنْ في العيش بعدهم خيرًا، قال له عمير: صدقت والله، أمَا والله لولا دَيْن عليَّ ليس له عندي قضاء، وعيال أخشي عليهم الضَّيْعةَ بعدي، لركبتُ إلى محمد حتى أقتله، فإنَّ لي قِبَلَهم عِلَّةً؛ ابني أسير في أيديهم.

فاغتَنَمَها صفوان وقال: عليَّ دينك، أنا أقضيه عنك، وعيالك مع عيالي، أواسيهم ما بقوا، لا يسعني شيء ويعجز عنهم، فقال له عمير: فاكتم عنِّي شأني وشأنك، قال: أفعل، ثم أمر عمير بسيفه فشُحِذ

له وسُمَّ، ثم انطلق حتى قدم به المدينة، فبينما هو على باب المسجد ينيخ راحلته رآه عمر بن الخطاب – وهو في نفرٍ من المسلمين يتحدَّثون ما أكرمهم الله به يوم بدر – فقال عمر: هذا الكلب عدو الله عمير ما جاء إلا لشر.

ثم دخل على النبي صلَّى الله عليه وسلَّم فقال: يا نبي الله، هذا عدو الله عمير قد جاء متوشحًا سيفه، قال: (فأدخِله عليَّ)، فأقبل إلى عمير فلَبَّبَه بحَمَالة سيفه، وقال لرجالٍ من الأنصار: ادخلوا على رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – فاجلسوا عنده واحذروا عليه من هذا الخبيث؛ فإنه غير مأمون، ثم دخل به، فلمَّا رآه رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – وعمر آخِذ بحَمَالة سيفه في عنقه قال: (أرسله يا عمر، ادنُ يا عمير)، فدنا وقال: أنْعِمُوا صباحًا، فقال النبي صلَّى الله عليه وسلَّم : (قد أكرمنا الله بتحية خيرٍ من تحيتك يا عمير، بالسلام؛ تحيَّة أهل الجنة) ثم قال: ((ما جاء بك يا عمير؟)، قال: جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم، فأحسنوا فيه، قال: (فما بال السيف في عنقك؟)، قال: قبَّحها الله من سيوف، وهل أغنَتْ عنَّا شيئًا؟! قال: (اصدقني، ما الذي جئت له؟)، قال: ما جئت إلا لذلك، قال: (بل قعدتَ أنت وصفوان بن أمية في الحِجْر، فذكرتما أصحاب القَلِيب من قريش، ثم قلت: لولا دَين علي وعيال عندي لخرجت حتى أقتل محمدًا، فتحمَّل صفوان بدينك وعيالك على أن تقتلني، والله حائلٌ بينك وبين ذلك).

قال عمير: أشهد أنك رسول الله، قد كنَّا يا رسول الله نكذِّبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء، وما ينزل عليك من الوحي، وهذا أمرٌ لم يحضره إلا أنا وصفوان، فوالله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله، فالحمد لله الذي هداني للإسلام، وساقني هذا المساق، ثم تشهَّد شهادة الحق، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : (فقِّهوا أخاكم في دينه، وأقرِئُوه القرآن، وأطلقوا له أسيره).

وأمَّا صفوان فكان يقول: أبشروا بوقعةٍ تأتيكم الآن في أيامٍ تُنسِيكم وقعة بدر، وكان يسأل الركبان عن عمير، حتى أخبره راكبٌ عن إسلامه، فحلف صفوان ألاَّ يكلِّمه أبدًا، ولا ينفعه بنَفْعٍ أبدًا، ورجع عمير إلى مكة وأقام بها يدعو إلى الإسلام، فأسلم على يديه ناس كثير.

4/ من فرط رحمته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عفوه عمن أراد قتله؛ فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَزْوَةً قِبَلَ نَجْدٍ، فَأَدْرَكَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعِضَاهِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحْتَ شَجَرَةٍ، فَعَلَّقَ سَيْفَهُ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا قَالَ وَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي الْوَادِي يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ رَجُلًا أَتَانِي وَأَنَا نَائِمٌ، فَأَخَذَ السَّيْفَ فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِي، فَلَمْ أَشْعُرْ إِلَّا وَالسَّيْفُ صَلْتًا فِي يَدِهِ، فَقَالَ لِي: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ قُلْتُ: اللهُ، ثُمَّ قَالَ فِي الثَّانِيَةِ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ قُلْتُ: اللهُ، قَالَ: فَشَامَ السَّيْفَ فَهَا هُوَ ذَا جَالِسٌ"، ثُمَّ لَمْ يَعْرِضْ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.متفق عليه .

من مظاهر رحمته ﷺ بالحيوانات

رحمته صلى الله عليه وسلم بالجمل:

عن عبدالله بن جعفر رضي الله عنه قال: أردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفَه ذاتَ يوم، فأسرَّ إليَّ حديثًا لا أُحدِّث به أحدًا من النَّاس، وكان أحب ما استتر به رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته هدفًا أو حائشَ نخلٍ، قال: فدخل حائطًا لرجل من الأنصار فإذا جمل، فلما رأى النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم حنَّ وذرَفَتْ عيناه، فأتاه النَّبي صلى الله عليه وسلم فمسح ذِفْراه، فسكت، فقال:

(مَنْ رَبُّ هذا الجمل؟) لمن هذا الجمل؟ فجاء فتى من الأنصار فقال: لي يا رسول الله، فقال: (أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملَّكَكَ اللهُ إيَّاها؟ فإنه شكا إليَّ أنك تُجِيعُه وتُدْئبُه) رواه أبو داود وغيره .

ومِن أعجب ما يروى في باب رحمته بالحيوان، أنه عليه السلام حينما زحَف بالألوف ذات العدد إلى مكة لفتحِها، رأى كلبةً تهر على أولادها، وهن حولها تُرضعهن، فخشِي الرسول عليه السلام أن يسحقَها الزاحفون هي وأولادها دون أن يشعروا، فأمر جعيل بن سراقة أن يقومَ حذاءها؛ حتى لا يعرِضَ لها أحدٌ من الجيش ولا لأولادها. (إمتاع الأسماع – للواقدي).

وعن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال: كان أهل بيتٍ من الأنصار لهم جملٌ يَسْنُونَ عَلَيْهِ، وإنَّ الجمل اسْتُصْعِبَ عليهم فمنعهم ظَهْرَهُ، وَإِنَّ الأنصار جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقالوا: إنَّه كان لنا جملٌ نُسْنِي عليه وَإِنَّهُ اسْتُصْعِبَ علينا وَمَنَعَنَا ظَهْرَهُ، وَقَدْ عَطِشَ الزَّرْعُ وَالنَّخْلُ. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: "قُومُوا". فقاموا، فدخل الحائطَ والجمل في ناحيةٍ، فمشى النَّبيُّ على الله عليه وسلم نحوه، فقالت الأنصار: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، إِنَّهُ قَدْ صَارَ مِثْلَ الْكَلْبِ الْكَلِبِ، وَإِنَّا نَخَافُ عَلَيْكَ صَوْلَتَهُ. فَقَالَ: "لَيْسَ عَلَيَّ مِنْهُ بَأْسٌ". فَلَمَّا نَظَرَ الْجَمَلُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم (أَقْبَلَ نَحْوَهُ حَتَّى خَرَّ سَاجِدًا بَيْنَ يَدَيْهِ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِنَاصِيَتِهِ أَذَلَّ مَا كَانَتْ قَطُّ حَتَّى أَدْخَلَهُ فِي الْعَمَلِ. فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذِهِ بَهِيمَةٌ لا تَعْقِلُ تَسْجُدُ لَكَ، وَنَحْنُ نَعْقِلُ، فَنَحْنُ أَحَقُّ أَنْ نَسْجُدَ لَكَ. فَقَالَ: (لا يَصْلُحُ لِبَشَرٍ أَنْ يَسْجُدَ لِبَشَرٍ) رواه أحمد في مسنده.

رحمته صلى الله عليه وسلم، بطائر الحُمَّرة:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم في سَفَرٍ فَانْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ فَرَأَيْنَا حُمَّرَةً مَعَهَا فَرْخَانِ فَأَخَذْنَا فَرْخَيْهَا، فَجَاءَتْ الْحُمَّرَةُ فَجَعَلَتْ تَفْرُشُ جَاءَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فقال: مَنْ فَجَّعَ هذِهِ بِوَلَدِهَا ؟ رُدُّوا وَلَدَهَا إِلَيْهَا، وَرَأَى قَرْيَةَ نَمْلٍ قَدْ حَرَّقْنَاهَا فقال: مَنْ

حَرَّقَ هذِهِ ؟ قُلْنَا: نَحْنُ، قال: إِنَّهُ لاَ يَنْبَغِي أَنْ يُعَذِّبَ بالنَّارِ إلاَّ رَبُّ النَّارِ). رواه أبو داود بسند صحيح، ورواه أحمد، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

سرور الفرس بركوب النبي صلى الله عليه وسلم عليه :

عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ فَزِعَ النَّاسُ فَرَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَسًا لِأَبِي طَلْحَةَ بَطِيئًا ثُمَّ خَرَجَ يَرْكُضُ وَحْدَهُ..فَرَكِبَ النَّاسُ يَرْكُضُونَ خَلْفَهُ .فَقَالَ (لَمْ تُرَاعُوا إِنَّهُ لَبَحْرٌ)..(فَمَا سُبِقَ بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمِ) رواه البخاري واللفظ له ورواه مسلم .

حصول البركة لفرس جعيل الأشجعي بضرب النبي صلى الله عليه وسلم لها :

عن جعيل الأشجعي قال : غزوت مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في بعض غزواته، وأنا على فرس لي عجفاء ضعيفة ، فكنت في آخر الناس فلحقني فقال : (سر يا صاحب الفرس) فقلت : يا رسول الله عجفاء ضعيفة . فرفع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مخفقة كانت معه فضربها بها وقال : (اللهم بارك له فيها) قال : (فلقد رأيتني ما أمسك رأسها ، أتقدم الناس قال : ولقد بعت من بطنها باثني عشر ألفا). أخرجه فيمجمع الزوائد ومنبع الفوائد– كتاب الجهاد – باب الدعاء للخيل وقال :(رواه الطبراني ورجاله ثقات) .

الوحش يتأدب عند دخول النبي صلى الله عليه وسلم بيته:

عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها (أنه كان لآلِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم وَحْشٌ، فكان يُقبِلُ ويُدبِرُ، فإذا دخَل رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ربَض – جلس – فلَمْ يَتَرَمْرَمْ – يتحرك – كراهيةَ أنْ يُؤذِيَ رسولَ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم). رواه أحمد والطبراني.

قال السندي: "قولها: وحش، أي: حيوان وحشي، ولعله كان قبل تحريم المدينة، وكان قد صيد من الحل"، ومعنى الحديث: أن هناك حيواناً بريًّا كان في بيت لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان كلما خرج النبي صلى الله عليه وسلم من عندهم كان هذا الحيوان يشتد ويلعب ويكثر الحركة، وإذا دخل عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سكن؛ توقيراً له وتأدباً معه".

الرسالة العاشرة

لَوْ عَلِمْتَ كَمالَ صِفاتِهِ ﷺ

لأَحبَبْتَه مِنْ سُوَيداءِ قَلْبِكَ

وستقرأ فيها:

- كمال صفاته الظاهرة ﷺ.
- كمال أخلاقه العظيمة ﷺ.
- كمال أقواله ﷺ.
- كمال أفعاله ﷺ.
- قبس من همزية شوقي في وصف المكارم النبوية.

كمال صفاته الظاهرة ﷺ

إن شئت تحدثتَ عن جمال خُلقه، وإن شئت تحدثتَ عن جمال خَلقه، وأن شئت تحدثتَ عن صلة جمال خَلقه بحال خُلقه، وإن شئتَ تحدثت عن جمال ثمرة خَلقه وخُلقه في جمال عشرته وصلته بجمال صحابته وأهل بيته في جمال أمته في جمال الوجود به صلى الله عليه وسلم.

سئل البراء رضي الله عنه هل كان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم كالسيف؟ فقال بل كالقمر، وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول: إذا نظرت الى وجه رسول الله فكأن الشمس تجري في وجهه (من شدة بريق وجهه)عليه الصلاة والسلام.

قال جابر بن سمرة رضي الله عنه: (رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة إضحيان (مضيئة مقمرة) وعليه حُلَّة حمراء، فجعلت أنظر إليه وإلي القمر، فلهو عندي أحسن من القمر).

وفي صحيح البخاري: (كان صلى الله عليه وسلم إذا سر –أي: فرح– استنار وجهه كأنه قطعة قمر).

وأما قامته فلم يكن بالطويل الممتد ولا بالقصير المغط – يعني كأنه مضغوط – ربعة بين الرجال.

كان إذا مشى أسرع من غير خبب – بدون رجة ولا ارتباك – حتى أصحابه كانوا يقولون إنا لنهرول لندركه وهو يمشي مشيته الاعتيادية.

كان معتدلا في جلسته فكان إذا جلس يجلس باعتدال وإذا احتاج الى الإتكاء اتكأ، كان صلى الله عليه وسلم معتدل الشعر، فليس بالسبط ولا بالجعد ليس ناعم مسترسل ولا بالخشن، والترجل يظهر في شعره، وإذا طال وصل الى كتفه ويقصره الى شحمة أذنه– بين الجمة والوفرة – فإذا حج أو اعتمر حلقه كله.

حاجباه مقوسان جميلا الهيئة، بعض الروايات تقول كان بينها من الاتصال بالشعر وبعضهم يقول لا.

عيناه واسعتان مع طول في آخرهما يزينهما، أدعج العينين شديد بياض البياض شديد سواد السواد، وكان طويل الأهداب رموشه طويلة، وكان بين عينيه عِرق يدر بالغضب، إذا غضب انتفخ هذا العرق.

لونه الى البياض أميل، ليس بالأبيض الأمهق ولا بالأسمر الشديد، الى البياض أقرب مشرب بحمرة، أزهري اللون.

وجنتاه فيهما انسياب، واسع الفم فصيحا إذا نطق، شديد بياض الأسنان كأنها حبات اللؤلؤ، في ثنيتيه فلج، يعني في الثنيتين اللتين في المقدمة فراغ.

لحيته ﷺ كثة كان يسرحها ويطيبها، قال أحد الصحابة نظرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل إحرامه فإذا وبيص الطيب(لمعان الطيب) يظهر من مفرق رأسه ولحيته، كان عنقه مستقيما، وكان في صفاء الفضة.

في رأسه ﷺ كِبَر فهناك تناسق بين رأسه وجسمه لأنه بعيد ما بين المنكبين، ضخم الكتفين واسع الصدر، مهابا إذا أقبل قال من رآه: كأنه يقبل في جيش، وصفوه فقالوا من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة أحبه.

إذا التفت ﷺ لمن يحدثه التفت بكله احتراما وأدبا، وإذا تكلم أصغت الآذان والأسماع مهابة، إذا تكلم أحد عنده لا يقطع حديثه.

كان ﷺ له مسربة خيط دقيق من الشعر من لبته – من تحت نحره – الى سرته، كان مستوي الصدر والبطن.

كان ﷺ إذا مر بطريق عرف أنه مر منه من طيب ريح الطريق وإن لم يتطيب ومع ذلك كان يحب الطيب غاية المحبة.

وقد ذكر الماوردي رحمه الله أن من كمال خلقه ﷺ بعد اعتدال صورته يكون بأربع أوصاف:

الوصف الأول : السكينة الباعثة علي الهيبة والتعظيم الداعية إلى التقديم والتسليم : وكان أعظم مهيب في النفوس حتى ارتاعت رسل كسري من هيبته حين أتوه مع اعتيادهم لصولة الأكاسرة ومكاثرة

الملوك الجبابرة فكان صلى الله عليه و سلم في نفوسهم أهيب وفي أعينهم أعظم , وإن لم يتعاظم بأبهة ولم يتطاول بسطوة بل كان بالتواضع موصوفا وبالوطأة–أي السهولة – معروفاً.

الوصف الثاني : في الطلاقة الموجبة للإخلاص والمحبة الباعثة علي المصافاة والمودة: وقد كان صلوات الله عليه محبوباً استحكمت محبة طلاقته في النفوس حتى لم يَقْلِه – أي لم يبغضه أو يجافه – مصاحب ولم يتباعد منه مقارب وكان أحب إلي أصحابه من الآباء والأبناء وشرب الماء البارد علي الظمأ.

الوصف الثالث : حسن القبول الجالب لمايلة القلوب حتى تسرع إلي طاعته وتذعن بموافقته , وقد كان قبول منظره صلى الله عليه و سلم مستوليا على القلوب ولذلك استحكمت مصاحبته في النفوس حتى لم ينفر منه معاند ولا استوحش منه مباعد إلا من ساقه الحسد إلي شقوته وقاده الحرمان إلي مخالفته.

الوصف الرابع : ميل النفوس إلي متابعته وانقيادها لوافقته وثباته علي شدائده ومصابرته فما شذ عنه معها من أخلص ولا ند عنها فيها إلا من حرم الخير كله.وهذه الأربعة من دواعي السعادة وقوانين الرسالة قد تكاملت فيه فكمل لما يوازيها واستحق ما يقتضيها.

فأكثروا من الصلاة عليه وكل واحد منا ليعزم في نفسه قبل أن يخرج من هذا المسجد أن يجعل وردا يوميا للصلاة عليه فقد قال: (من صلى عليّ صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشرا).

كمال أخلاقه العظيمة ﷺ

ذكر الماوردي رحمه الله في ذكر خصائص الرسول ﷺ وفضائله وشرف أخلاقه وشمائله المؤيدة لنبوته والمبرهنة علي عموم رسالته: فالكمال المعتبر في البشر يكون من أربع أوجه : كمال الخَلْق (ذكرته سابقا) وكمال الخُلُق وفضائل الأقوال وفضائل الأعمال ؛ (وهذه الثلاثة سأذكرها تباعاً):

كمال الخُلق : أما كمال أخلاقه ﷺ فيكون بست خصال :

الخصلة الأولي : رجاحة عقله وصدق فراسته وقد دل علي وفور ذلك فيه صحة رأيه وصواب تدبيره وحسن تألفه علي الناس وأنه ما استغفل في مكيدة ولا استعجز في شديدة بل كان يلحظ الإعجاز في المبادئ فيكشف عيوبها ويحل خطوبها وهذا لا ينتظم إلا بأصدق حدس وأوضح رؤية.

الخصلة الثانية : ثباته في الشدائد وهو مطلوب وصبره علي البأساء و الضراء وهو مكروب ومحروب – المحروب من فقد ماله – ونفسه في اختلاف الأحوال ساكنة لا يخور في شديدة ولا يستكين لعظيمة وقد لقي بمكة من قريش ما يشيب النواصي ويهد الصياصي وهو مع الضعف يصابر صبر المستعلي ويثبت ثبات المستولي أي الممسك بمقاليد الأمور المسيطر عليها.

الخصلة الثالثة : زهده في الدنيا وإعراضه عنها وقناعته منها فلم يمل إلي غضارتها ولم يله لحلاوتها وقد ملك من أقصي الحجاز إلي عذار العراق ومن أقصي اليمن إلي شحر عمان وهو أزهد الناس فيها يقتني ويدخر وأعرضهم عما يستفاد ويحتكر , لم يخلف عينا ولا دينا ولا حفر نهرا ولا شيد قصرا ولم يورث ولده وأهله متاعا ولا مالا ليصرفهم عن الرغبة في الدنيا كما صرف نفسه عنها فيكونوا علي مثل حاله في الزهد فيها ؛وحقيق بمن كان في الدنيا بهذه الزهادة أن لا يتهم بطلبها أو يكذب علي الله تعالي في ادعاء الآخرة ويقنع في العاجل وقد سلب الآجل بالميسور النزر ويرضي بالعيش الكدر

الخصلة الرابعة : تواضعه للناس وهم اتباع ؛ وخفض جناحه لهم وهو مطاع يمشي في الأسواق ويجلس علي التراب ويمتزج بأصحابه وجلسائه فلا يتميز عنهم إلا بإطراقه وحيائه فصار بالتواضع متميزا وبالتذلل متعززاً ؛ ولقد دخل عليه بعض الأعراب فارتاع من هيبته فقال خفض عليك فإنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة وهذا من شرف أخلاقه وكريم شيمه فهي غريزة فطر عليها وجبلة طبع بها لم تندر فتعد ولم تحصر فتحد.

الخصلة الخامسة : حلمه ووقاره فقد كان أحلم في النفار من كل حليم وأسلم في الخصام من كل سليم وقد مني بجفوة الأعراب فلم يوجد منه نادرة ولم يحفظ عليه بادرة , ولا حليم غيره إلا ذو عثرة ولا وقور سواه إلا ذو هفوة فإن الله تعالي عصمه من نزع الهوى وطيش القدرة – النفار أو المنافرة – ليكون بأمته رؤوفا وعلي الخلق عطوفا لقد تناولته قريش بكل كبيرة وقصدته بكل جريرة وهو صبور عليهم ومعرض عنهم.

وما تفرد بذلك سفهاؤهم عن حلمائهم ولا أراذلهم دون عظمائهم , بل تمالأ عليه الجلة والدون فكلما كانوا عليه ألح كان عنهم أعرض وأصفح حتى قدر فعفا وأمكنه الله منهم فغفر.

وقال لهم حين ظفر بهم عام الفتح وقد اجتمعوا إليه : ما ظنكم بي قالوا ابن عم كريم , فإن تعف فذلك الظن بك وإن تنتقم فقد أسأنا فقال : بل أقول كما قال يوسف لأخوته (قَالَ لاَ تَثْرَيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) سورة يوسف آية (92).

وقال ﷺ : (اللَّهمَّ أذقتَ أولَ قريشٍ نكالًا فأذِقْ آخرَهم نوالًا) وأتته هند بنت عتبة , وقد بقرت بكن عمه حمزة , ولاكت كبده فصفح عنها وأعطاها يده لبيعتها.

فإن قيل : فقد ضرب رقاب بني قريظة صبرا في يوم واحد وهم نمو سبعمائة , فأين موضع العفو والصفح قيل : إنما فعل ذلك في حقوق الله تعالى.

وقد كانت بني قريظة رضوا بتحكيم سعد بن معاذ عليهم فحكم أن من جرت عليه الموسى أي بلغ مبلغ الرجال فحلق ذقنه – قتل ومن لم تجر عليه استرق فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: (هذا حكم الله من فوق سبعة أرقعة) يعني من فوق سبع سنوات فلم يجز أن يعفو عن حق وجب لله تعالي عليهم وإنما يختص عفوه بحق نفسه

الخصلة السادسة : حفظه للعهد ووفاؤه بالوعد فإنه ما نقض لمحافظ عهدا ولا اخلف لمراقب وعدا يري الغدر من كبائر الذنوب والأخلاق من مساوئ الشيم فيلتزم فيهما الأغلظ ويرتكب فيهما الأصعب حفظا لعهده ووفاء بوعده حتى يبتدئ معاهدوه بنقضه فيجعل الله تعالي له مخرجا كفعل اليهود من بني قريظة وبني النضير وكفعل قريش بصلح الحديبية إذ جعل الله تعالي له في نكثهم الخيرة.

فهذه ست خصال تكاملت في خلقه ﷺ فضله الله تعالي علي جميع خلقه.

كمال أقواله ﷺ

قال الماوردي : في فضائل أقواله صلى الله عليه وسلم خصال عديدة ؛ منها:

الخصلة الأولي : ما أوتي من الحكمة البالغة وأعطي من العلوم من الجمة الباهرة , وهو أمي من أمة أمية لم يقرأ كتابا ولا درس علما ولا صحب عالماً ولا معلماً فأتي بما بهر العقول وأذهل الفطن من إتقان ما أبان وإحكام ما أظهر ولم يتعثر فيه بزلل في قول أو عمل ؛ وقد شرع من تقدم من علماء الفلاسفة سننا حملوا الناس على التدين بها حين علموا انه لا صلاح للعالم إلا بدين ينقادون له ويعملون به فما راق لها أثر ولا فاق لها خبر.

الخصلة الثانية : حفظه لما أطلعه الله تعالي عليه من قصص الأنبياء مع الأمم وأخبار العالم في الزمن الأقدم حتى لم يعرب عنه منها صغير ولا كبير ولا شذ عنه منها قليل ولا كثير.

وهو لا يضبطها بكتاب يدرسه ولا يحفظها بعين تحرسه وما ذاك إلا من ذهن صحيح وصدر فسيح وقلب شريح وهذه الثلاثة آله ما استودع من الرسالة وحمل من أعباء النبوة فجدير أن يكون بها مبعوثا وعلي القيام بها محثوثاً.

الخصلة الثالثة : إحكامه لما شرع بأظهر دليل وبيانه بأوضح تعليل حتى لم يخرج منه ما يوجبه معقول ولا دخل فيه ما تدفعه العقول؛ ولذلك قال صلى الله عليه و سلم : أوتيت جوامع الكلم واختصرت لي الحكمة اختصارا ؛لأنه نبه بالقليل على الكثير فكف عن الإطالة وكشف عن الجهالة وما تيسر ذلك إلا وهو عليه معان وإليه مقاد.

الخصلة الرابعة : ما أمر به من محاسن الأخلاق ودعا إليه من مستحسن الآداب وحث عليه من صله الأرحام وندب إليه من التعاطف على الفقراء و الأيتام ثم ما نهي عنه من التباغض و التحاسد وكف عنه من التقاطع والتباعد لتكون الفضائل فيهم اكثر ومحاسن الأخلاق بينهم أنشر ومستحسن الآداب عليهم اظهر وتكون إلي الخير أسرع ومن الشر امنع فيتحقق فيه قول الله تعالي : (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ) فلزموا أمره واتقوا زواجره فتكامل بهم صلاح دينهم ودنياهم حتى عز بهم الإسلام بعد ضعفه وذل بهم الشرك بعد عزه فصاروا أئمة أبرارا وقادة أخياراً.

الخصلة الخامسة : وضوح جوابه إذا سئل وظهور حجاجه إذا جادل لا يحصره عي و ولا يقطعه عجز ولا يعارضه خصم في جدال إلا كان جوابه أوضح وحجاجه أرجح.

الخصلة السادسة : انه محفوظ اللسان من تحريف في قول واسترسال في خبر يكون إلي الكذب منسوبا وللصدق مجانبا فأنه لم يزل مشهورا بالصدق في خبره كان فاشيا وكثيرا حتى صار بالصدق مرقوما وبالأمانة موسوماً.

وكانت قريش بأسرها تتيقن صدقه قبل الإسلام فجهروا بتكذيبه في استدعاءهم إليه فمنهم من كذبه حسدا ومنهم من كذبه عنادا من كذبه استبعادا أن يكون نبيا أو رسولاً ؛ولو حفظوا عليه كذبه نادرة في غير الرسالة لجعلوها دليلا على تكذيبه في الرسالة ومن لزم الصدق في صغره كان له في الكبر الزم ومن عصم منه في حق نفسه كان في حقوق الله تعالي أعصم وحسبك بهذا دفعا لجاحد وردا لمعاند

الخصلة السابعة: تحرير كلامه في التوخي به إبان حاجته و الاقتصار منه على قدر كفايته فلا يسترسل فيه هذرا ولا يحجم عنه حصرا وهو فيما عدا حالتي الحاجة و الكفاية اجمل الناس صمتا وأحسنهم

سمتا ؛ ولذلك حفظ كلامه حتى لم يختل و ظهر رونقه حتى لم يعتل واستعذبته الأفواه حتى بقي محفوظا في القلوب مدونا في الكتاب فلن يسلم الإكثار من الزلل ولا الهذر من الملل.

الخصلة الثامنة : أنه أفصح الناس لسانا وأوضحهم بيانا وأوجزهم كلاما وأجزلهم ألفاظا وأصحهم معاني لا يظهر فيه هجنة التكلف ولا يتخلله فيهقة التعسف وقد دون كثير من جوامع كلمه ومن كلامه الذي لا يشاكل في فصاحته وبلاغته ومع ذلك فلا يأتي عليه إحصاء ولا يبلغه استقصاء.

ولو مزج كلامه بغيره لتميز بأسلوبه ولظهر فيه آثار التنافر فلم يلتبس حقه من باطله ولبان صدقه من كذبه هذا ولم يكن متعاطياً للبلاغة ولا مخالطا لأهلها من خطباء أو شعراء أو فصحاء وإنما هو من غرائز طبعه وبداية جبلته وما ذاك إلا لغاية تراد وحادثة تشاد.

كمال أفعاله ﷺ

قال الماوردي : فضائل الأعمال في فضائل أفعاله صلى الله عليه و سلم فمختبر بثماني خصال:

الخصلة الأولي :حسن سيرته وصحة سياسته في دين نقل به مألوف وصرفهم به عن معروف إلي غير معروف فأذعنت به النفوس طوعا , وانقادت خوفا وطمعاً.

الخصلة الثانية :أن جمع بين رغبة من استمال ورهبة من استطاع حتى اجتمع الفريقان علي نصرته وقاموا بحقوق دعوته رغبا في عاجل وآجل , ورهبا من زائل ونازل لاختلاف الشيم والطباع في الانقياد الذي لا ينتظم بأحدهما , ولا يستديم إلا بهما فلذلك صار الدين بهما مستقراً والصلاح بهما مستمراً.

الخصلة الثالثة : أنه عدل فيما شرعه من الدين عن اللغو و التقصير إلي التوسط , وخير الأمور أوسطها , وليس لما جاوز العدل حظ من رشد , ولا نصيب من سداد.

الخصلة الرابعة : أنه لم يمل بأصحابه إلي الدنيا ولا إلي رفضها وأمدهم فيها بالاعتدال ؛ عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : (أَخَذَ رَسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بمَنْكِبِي، فَقَالَ: كُنْ في الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أوْ عَابِرُ سَبِيلٍ. وكانَ ابنُ عُمَرَ يقولُ: إذَا أمْسَيْتَ فلا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وإذَا أصْبَحْتَ فلا تَنْتَظِرِ المَسَاءَ، وخُذْ مِن صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، ومِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ) رواه البخاري ؛ لأن الانقطاع إلي أحدهما اختلال والجمع بينهما اعتدال ؛ وجاء في الأثر : (نعم المطية الدنيا فارتحلوها تبلغكم الآخرة) وإنما كان كذلك لآن من يتزود لآخرته ويستكثر فيها من طاعته وأنه لا يخلو تاركها من أن يكون محروما مضاعا أو مرحوما مراعي وهو في الأول كل وفي الثاني مستذل.

الخصلة الخامسة : تصديه لمعالم الدين ونوازل الأحكام حتى أوضح للأمة ما كلفوه من العبادات , وبين لهم ما يحل وما يحرم من مباحات و محظورات , وفصل لهم ما يجوز ويمتنع من عقود ومناكح ومعاملات حتى احتاج أهل الكتاب في كثي من معاملتهم ومواريثهم لشرعه ولم يحتج شرعه إلي شرع غيره ثم مهد لشرعه أصولا تدل على الحوادث المغفلة ويستنبط لها الأحكام المعللة فأغنى عن نص بعد ارتفاعه وعن التباس بعد إغفاله ثم أمر الشاهد أن يبلغ الغائب ليعلم بإنذاره ويحتج بإظهاره فقال صلى الله عليه و سلم : بلغوا عني ولا تكذبوا علي فرب مبلغ أوعى من سامع ورب حامل فقه ألي من هو أفقه منه.

الخصلة السادسة : انتصابه لجهاد الأعداء وقد أحاطوا بجهاته وأحدقوا بجنباته وهو في قطب مهجور وعدد محقور فزاد به من قل وعز به من ذل وصار بإثخانه في الأعداء محذورا وبالرعب منه منصورا فجمع بين التصدي لشرع الدين حتى ظهر وانتشر وبين الانتصاب لجهاد العدو حتى قهر وانتصر

الخصلة السابعة : ما خُصَّ به من الشجاعة في حروبه والنجدة في مثابرة عدوه فإنه لم يشهد حرباً في فزاع إلا صابر حتى انجلت عن ظفر أو دفاع وهو في موقفه لم يزل عنه هرباً ولا حاز فيه رغباً

بل ثبت بقلب آمن وجأش ساكن قد ولى عنه أصحابه يوم حنين حتى بقى بإزاء جمع كثير وجم غفير في تسعة من أهل بيته وأصحابه على بغلة مسبوقة إن طلبت غير مستعدة لهرب ولا طلب وهو ينادي أصحابه ويظهر نفسه ويقول إلي عباد الله (أنا النبي لا أكذب أنا ابن عبد المطلب) فعادوا أشذاذاً وأرسالاً وهو ازن تراه وتحجم عنه فما هاب حرب من كاثره ولا انكفأ عن مصاولة من صابره

الخصلة الثامنة : ما منح من السخاء والجود حتى جاد بكل موجود وآثر بكل مطلوب ومحبوب ومات ودرعه مرهونة عند يهودي على آصع من شعير لطعام أهله ؛ وقد ملك جزيرة العرب وكان فيها ملوك وأقيال لهم خزائن وأموال يقتنوها ذخراً ويتباهون بها فخراً ويستمتعون بها أشراً وبطراً وقد حاز ملك

جميعهم فما اقتنى دينارا ولا درهماً , لا يأكل إلا الخشن ولا يلبس إلا الخشن , وكان يقول : أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم فمن ترك ديناً أو ضياعا فعلي ومن ترك مالاً فلورثته فهل مثل هذا الكرم والجود كرم وجود ؟ أم هل لمثل هذا الأعراض والزهادة إعراض وزهد ؟ هيهات

أنا لم نرى ولم نسمع لأحد قط كصبره ولا كحلمه ولا كوفائه ولا كزهده ولا كجوده ولا كنجدته ولا كصدق لهجته ولا ككرم عشرته ولا كتواضعه ولا كحفظه ولا كصمته إذا صمت ولا كقوله إذا قال ولا كعجيب منشئه ولا كعفوه ولا كدوام طريقته وقله امتنانه.

ويكفي في هذا المقام قول الله الملك العلام : (وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ):

يقول الأستاذ صالح الشامي : ذلكم قول الله سبحانه وتعالى : "ويعجز كل قلم، ويعجز كل تصور، عن وصف قيمة هذه الكلمة العظيمة من رب الوجود، وهي شهادة من الله، في ميزان الله، لعبدالله، يقول له فيها: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ومدلول الخلق العظيم، هو ما هو عند الله، مما لا يبلغ إلى إدراك مداه أحد من العالمين.

ودلالة هذه الكلمة العظيمة على عظمة محمد صلى الله عليه وسلم تبرز من نواحٍ شتى:

تبرز من كونها كلمة من الله الكبير المتعال، يسجلها ضمير الكون، وتثبت في كيانه، وتتردد في الملأ الأعلى إلى ما شاء الله.

وتبرز من جانب آخر، من جانب إطاقة محمد صلى الله عليه وسلم لتلقيها، وهو يعلم من ربه هذا، قائل هذه الكلمة، ما هو؟ ما عظمته؟ ما دلالة كلماته؟ ما مداها؟ ما صداها؟ ويعلم من هو إلى جانب هذه العظمة المطلقة، التي يدرك هو منها، ما لا يدركه أحد من العالمين.

إن إطاقة محمد صلى الله عليه وسلم لتلقي هذه الكلمة، من هذا المصدر، وهو ثابت، لا ينسحق تحت ضغطها الهائل – ولو أنها ثناء – ولا تتأرجح شخصيته تحت وقعها وتضطرب.. تلقيه لها في طمأنينة وفي تماسك، وفي توازن.. هو ذاته دليل على عظمة شخصيته فوق كل دليل.

ولقد رويت عن عظمة خلقه في السيرة، وعلى لسان أصحابه روايات منوعة كثيرة، وكان واقع سيرته أعظم شهادة من كل ما روي عنه، ولكن هذه الكلمة أعظم بدلالتها من كل شيء آخر:(أعظم بصدورها من العلي الكبير).

وأعظم بتلقي محمد لها، وهو يعلم من هو العلي الكبير، وبقائه بعدها ثابتًا راسخًا مطمئنًا. لا يتكبر على العباد، ولا ينتفخ، ولا يتعاظم، وهو الذي سمع ما سمع من العلي الكبير.

لقد كان صلى الله عليه وسلم – وهو بشر – يثني على أحد من أصحابه، فيهتز كيان صاحبه هذا وأصحابه من وقع هذا الثناء العظيم، وهو بشر، وصاحبه يعلم أنه بشر، وأصحابه يدركون أنه بشر، إنه نبي، نعم، ولكن في الدائرة المعلومة الحدود، دائرة البشرية ذات الحدود. فأما هو فيتلقى هذه الكلمة من الله، وهو يعلم من هو الله.. هو يعلم منه ما لا يعلمه سواه، ثم يصطبر ويتماسك ويتلقى ويسير.. إنه أمر فوق كل تصور، وفوق كل تقدير..".

وقال أيمن الشعبان :

يا من له الأخلاق ما تهوى العلا منها وما يتعشق الكبراء

زانتك في الخلق العظيم شمائل يغرى بهن ويولع الكرماء

صلى عليك الله ما صحب الدجى حاد وحنت بالفلاء وجناء

جبل الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم على كل خلق فاضل كريم : قال تعالى: (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) فخلقه بأكرم السجايا، وجميل الأخلاق، وحسن الطوية وصفات الخير جميعها، كما نزهه عن كل ما يحط من قدره وينقص من منزلته.

فمن كان الله عز وجل متوليه بالأخلاق الشريفة، فليس بعده ولا قبله مثله في شرف الأخلاق .

يتميّز الأنبياء عادة بالاتّصاف بأكرم الصفات وأسمى الآداب والأخلاق، لينشروا دين الله ودعوة التوحيد في الأرض، ويتحمّلوا صنوف المواجهة والمعارضة، ويحلموا على الناس ويتوسّعوا فيهم، ونبيّنا صلّى الله عليه وسلّم هو في قمة الخلق والأدب، وصفوة الناس في مكارم الأخلاق والآداب، لأنه خاتم النّبيين، والرسول إلى الناس كافة وإلى العرب خاصة، وسمة هؤلاء: القسوة والجفاء، والشدة والغلظة، والنجاح في الدعوة إلى الله يتطلب إلانة القلوب القاسية، وإزالة جفاء النفوس، لذا وصف الله تعالى نبيّه محمدا صلّى الله عليه وسلّم بالخلق العظيم .

مَحَاسِنُ أَصْنَافِ النَّبِيِّينِ جَمَّةٌ وَمَا قَصَبَاتُ السَّبْقِ إِلا لأَحْمَد

كان ﷺ سهلا لينا، قريبًا من الناس، مجيبًا لدعوة من دعاه، قاضيًا لحاجة من استقضاه، جابرًا لقلب من سأله، لا يحرمه، ولا يرده خائبًا، وإذا أراد أصحابه منه أمرًا وافقهم عليه، وتابعهم فيه إذا لم يكن فيه محذور، وإن عزم على أمر لم يستبد به دونهم، بل يشاورهم ويؤامرهم، وكان يقبل من محسنهم، ويعفو عن مسيئهم، ولم يكن يعاشر جليسًا له إلا أتم عشرة وأحسنها، فكان لا يعبس في وجهه، ولا يغلظ عليه في مقاله، ولا يطوي عنه بشره، ولا يمسك عليه فلتات لسانه، ولا يؤاخذه بما يصدر منه من جفوة، بل يحسن إلى عشيره غاية الإحسان، ويحتمله غاية الاحتمال ﷺ.

يقول مهاتما غاندي عن النبي صلى الله عليه وسلم: أردت أن أعرف صفات الرجل الذي يملك بدون نزاع قلوب ملايين البشر .. لقد أصبحت مقتنعا كل الاقتناع أن السيف لم يكن الوسيلة التي من خلالها اكتسب الإسلام مكانته، بل كان ذلك من خلال بساطة الرسول، مع دقته وصدقه في الوعود، وتفانيه وإخلاصه لأصدقائه وأتباعه وشجاعته، مع ثقته المطلقة في ربه وفي رسالته.

شَهِدَ الأَنَامُ بِفضْلِهِ حتى الْعِدَا وَالْفَضْلُ مَا شَهِدَتْ به الأَعْدَاءُ

فمن أوتي الخلق الحسن فقد أوتي أعظم المقامات، لأن ما دونه من المقامات ارتباط بالعامة، والخلق الحسن ارتباط بالصفات والنعوت.

ويقال : معنى (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) أي لا بالبلاءِ تنحرف، ولا بالعطاءِ تنصرِف؛ احتمل صلوات الله عليه في الأذى شَجَّ رأسِه وثَغْرِه، وكان يقول: (اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون) وغداً كلٌّ يقول: نفسي نفسي وهو صلوات الله عليه يقول : (أمتي أمتي).

يا له من شرف رفيع، وقدر منيع؛ لم يخطر على قلب بشر، ولم يطمح لإدراكه إنسان، ولم يدرك شأوه مخلوق: رب العزة يصف محمد بن عبد الله بأنه على خلق عظيم فأي فضل شمل الله تعالى به نبيه وأي مقام رفع إليه عبده، ورسوله، وصفيه وخليله؟

وقد كان من خلقه: العلم، والحلم، والعدل، والصبر، والشكر، والزهد، والعفو، والتواضع، والعفة، والجود، والشجاعة، والحياء، والمروءة، والرحمة، والوقار، وحسن الأدب والمعاشرة؛ إلى ما لا حد له من الأخلاق المرضية، والخلال العلية؛ التي اختصه بها خالقه جل شأنه، وحقاً إن المادحين مهما وصفوا وبالغوا في مدح الرسول؛ صلوات الله تعالى وسلامه عليه؛ فلن يصلوا إلى بعض ما بلغه من شرف مدح الله تعالى له .

وكيف يستطيع الواصف أن يصف أخلاق من آذاه قومه بأقسى ضروب الإيذاء، وابتلوه بأشنع أنواع الابتلاء؛ فلم يقابل أذاهم بالدعاء عليهم؛ بل بالدعاء لهم:«اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون» وقديماً أصيب نوح عليه السلام ببعض ما أصيب به محمد، فقال: (رَّبِّ لاَ تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً) فتبارك من خصنا ببعثته، وشرفنا برسالته.

قبس من الهمزية في وصف المكارم النبوية

لأمير الشعراء أحمد شوقي رحمه الله تعالى

(ولد الهدى فالكائنات ضياء)

نِعمَ اليَتيمُ بَدَت مَخايِلُ فَضلِهِ ... وَاليُتمُ رِزقٌ بَعضُهُ وَذَكاءُ

في المَهدِ يُستَسقى الحَيا بِرَجائِهِ ... وَبِقَصدِهِ تُستَدفَعُ البَأساءُ

بِسِوى الأَمانَةِ في الصِبا وَالصِدقِ لَم ... يَعرِفهُ أَهلُ الصِدقِ وَالأُمَناءُ

يا مَن لَهُ الأَخلاقُ ما تَهوى العُلا ... مِنها وَما يَتَعَشَّقُ الكُبَراءُ

لَو لَم تُقِم دينًا لَقامَت وَحدَها ... دينًا تُضيءُ بِنورِهِ الآناءُ

زانَتكَ في الخُلُقِ العَظيمِ شَمائِلٌ ... يُغرى بِهِنَّ وَيولَعُ الكُرَماءُ

أَمّا الجَمالُ فَأَنتَ شَمسُ سَمائِهِ ... وَمَلاحَةُ الصِدّيقِ مِنكَ أَياءُ

وَالحُسنُ مِن كَرَمِ الوُجوهِ وَخَيرُهُ ... ما أوتِيَ القُوّادُ وَالزُعَماءُ

فَإِذا سَخَوتَ بَلَغتَ بِالجودِ المَدى ... وَفَعَلتَ ما لا تَفعَلُ الأَنواءُ

وَإِذا عَفَوتَ فَقادِرًا وَمُقَدَّرًا ... لا يَستَهينُ بِعَفوِكَ الجُهَلاءُ

وَإِذا رَحِمتَ فَأَنتَ أُمٌّ أَو أَبٌ ... هَذانِ في الدُنيا هُما الرُحَماءُ

وَإِذا غَضِبتَ فَإِنَّما هِيَ غَضبَةٌ ... في الحَقِّ لا ضِغنٌ وَلا بَغضاءُ

وَإِذا رَضيتَ فَذاكَ في مَرضاتِهِ ... وَرِضا الكَثيرِ تَحَلُّمٌ وَرِياءُ

وَإِذا خَطَبتَ فَلِلمَنابِرِ هِزَّةٌ ... تَعرو النَدِيَّ وَلِلقُلوبِ بُكاءُ

وَإِذا قَضَيتَ فَلا ارتِيابَ كَأَنَّما ... جاءَ الخُصومَ مِنَ السَماءِ قَضاءُ

وَإِذا حَمَيتَ الماءَ لَم يورَد وَلَو ... أَنَّ القَياصِرَ وَالمُلوكَ ظِماءُ

وَإِذا أَجَرتَ فَأَنتَ بَيتُ اللهِ لَم ... يَدخُل عَلَيهِ المُستَجيرَ عَداءُ

وَإِذا مَلَكتَ النَفسَ قُمتَ بِبِرِّها ... وَلَوَ اَنَّ ما مَلَكَت يَداكَ الشاءُ

وَإِذا بَنَيتَ فَخَيرُ زَوجٍ عِشرَةً ... وَإِذا ابتَنَيتَ فَدونَكَ الآباءُ

وَإِذا صَحِبتَ رَأى الوَفاءَ مُجَسَّمًا ... في بُردِكَ الأَصحابُ وَالخُلَطاءُ

وَإِذا أَخَذتَ العَهدَ أَو أَعطَيتَهُ ... فَجَميعُ عَهدِكَ ذِمَّةٌ وَوَفاءُ

وَإِذا مَشَيتَ إِلى العِدا فَغَضَنفَرٌ ... وَإِذا جَرَيتَ فَإِنَّكَ النَكباءُ

وَتَمُدُّ حِلمَكَ لِلسَفيهِ مُدارِيًا ... حَتّى يَضيقَ بِعَرضِكَ السُفَهاءُ

في كُلِّ نَفسٍ مِن سُطاكَ مَهابَةٌ ... وَلِكُلِّ نَفسٍ في نَداكَ رَجاءُ

وَالرَأيُ لَم يُنضَ المُهَنَّدُ دونَهُ ... كَالسَيفِ لَم تَضرِب بِهِ الآراءُ

يأَيُّها الأُمِيُّ حَسبُكَ رُتبَةً ... في العِلمِ أَن دانَت بِكَ العُلَماءُ

وَالبِرُّ عِندَكَ ذِمَّةٌ وَفَريضَةٌ ... لا مِنَّةٌ مَمنونَةٌ وَجَباءُ

في كُلِّ مِنطَقَةٍ حَواشي نورُها ... نونٌ وَأَنتَ النُقطَةُ الزَهراءُ

أَنتَ الجَمالُ بِها وَأَنتَ المُجتَلى ... وَالكَفُّ وَالمِرآةُ وَالحَسناءُ

الخَيلُ تَأبى غَيرَ أَحمَدَ حامِيًا ... وَبِها إِذا ذُكِرَ اسمُهُ خُيَلاءُ

شَيخُ الفَوارِسِ يَعلَمونَ مَكانَهُ إِن هَيَّجَت آسادَها الهَيجاءُ

وَإِذا تَصَدّى لِلظُبا فَمُهَنَّدٌ أَو لِلرِماحِ فَصَعدَةٌ سَمراءُ

وَإِذا رَمى عَن قَوسِهِ فَيَمينُهُ قَدَرٌ وَما تُرمى اليَمينُ قَضاءُ

مِن كُلِّ داعي الحَقِّ هِمَّةُ سَيفِهِ فَلِسَيفِهِ في الراسِياتِ مَضاءُ

ساقي الجَريحِ وَمُطعِمُ الأَسرى وَمَن أَمِنَت سَنابِكَ خَيلِهِ الأَشلاءُ

إِنَّ الشَجاعَةَ في الرِجالِ غَلاظَةٌ ما لَم تَزِنها رَأفَةٌ وَسَخاءُ

الرسالة الحادية عشرة

أَحبَّتْهُ جَمِيعُ الكَائِناتِ

فَكَيفَ لَا تُحبُّه أَيُّها المؤْمنُ ولَا تَشْتاقُ إِلَيْهِ ﷺ

وستجد فيها :

- محبة الملائكة له ﷺ.

- محبة الشجر له واشتياقها لرؤيته والقرب منه ﷺ.
- محبة الجبال له واهتزازها فرحاً بصعوده ﷺ عليها.
- طاعة جملة الجمادات له ﷺ وفرحها به ﷺ.
- مما قاله الشعراء في معجزات خاتم الأنبياء ﷺ.

محبة الملائكة له ﷺ

أولاً : المحبة التي بين سيدنا جبريل عليه السلام وسيدنا النبي ﷺ :

1/ صور لقاء النبي صلى الله عليه وسلم بجبريل:

رأى النبي صلى الله عليه وسلم جبريل مرتين على صورته الحقيقية، ورآه مرات بصورة بشرية، وغالبا ما كان يأتي بصورة الصحابي الجليل دِحية الكلبي.

رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل على صورته الحقيقية مرتين:

رأى النبي صلى الله عليه وسلم جبريل على صورته الحقيقية مرتين؛ مرة في أجياد، ومرة عند سِدرة المنتهى عند عروجه إلى السماء. وقد ورد ذلك في صحيح مسلم، فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله عز وجل: (ولقد رآه بالأفق المُبين) التكوير 23 (ولقد رآه نزلة أخرى) النجم 13، فقال: " إنما هو جبريل لم أره على صورته التي خُلق عليها غير هاتين المرتين رأيته منهبطا من السماء سادا(أي مالئا) عظم خلقه ما بين السماء والأرض"[رواه مسلم].

وفيما يلي تفصيل لكلا الرؤيتين:

الرؤية الأولى: وكانت عندما فتر الوحي؛ ففي صحيح مسلم عن جابر قال: قال رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وهو يُحدِّث عن فترة الوحي: "فبينما أنا أمشي سمِعت صوتا من السماء فرفعت رأسي، فإذا المَلَك الذي جاءني بِحراء جالِسا بين السماء والأرض... فجُئِثت منه فَرقا، فرجعت فقلت: زمِّلوني زملوني، فدثروني فأنزل الله تعالى: (يا أيها المدثر قم فأنذر) قال: ثم تتابع الوحي"[رواه مسلم]..

وقد وردت هذه الرؤية في قوله عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴾ [التكوير: 23]. وذهب المفسرون إلى أن وصف الأفق بالمبين أي الواضح البين للدلالة على أن رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام رؤية حقيقية وليست خيالا.

كما قالوا بأن النبي صلى الله عليه وسلم رأى جبريل له ست مائة جناح قد سد الأفق، وذلك بمكة من جهة جبل أجياد من شرقيه.

وقد تكرر ذكر هذه الرؤية في قوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى * وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ [النجم: 5 – 9].

ومعنى الدنو والتدلي في الآية: "أن جبريل عليه السلام مع عِظم خلقه وكثرة أجزائه دنا من النبي صلى الله عليه وسلم هذا الدنو"[شرح النووي على صحيح مسلم 3 /9.].

الرؤية الثانية: كانت ليلة الإسراء والمعراج، وذُكرت في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾ [النجم: 13، 14]، وجاء عن ابن مسعود أنه قال: قال رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: (رأيت جبريل له ستمائة جناح ينتثِر من ريشه التهاويل: الدر والياقوت) [رواه الإمام أحمد].

وعن عبد الله قال: "رأى رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم جبريل في صورته وله ستمائة جناح، كل جناح منها قد سد الأفق يسقط من جناحه من التهاويل والدر والياقوت ما الله به عليم"[ابن كثير، (النجم 13) وقال: إسناده حسن].

2/ شوقه عليه الصلاة والسلام لجبريل:

فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يا جبريل ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا" فنزلت: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا ﴾ [مريم: 64][رواه البخاري] وعن قتادة رضي الله عنه: " ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴾ قال: هذا قول جبريل، احتبس جبريل في بعض الوحي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (ما جئتَ حتى اشتقتُ إليك) فقال له جبريل: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا ﴾[تفسير الطبري].

ثانياً : قد يأتي بالوحي غير جبريل – وهذا قليل:

كما في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (بينما جبريل قاعد عند النبي –صلى الله عليه وسلم– سمع نقيضاً من فوقه، فرفع رأسه، فقال: هذا باب من السماء فُتح اليوم، لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك، فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قطُّ إلا اليوم، فسلَّم وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته) رواه مسلم .

وفي مسند أحمد والترمذي والنسائي عن حذيفة رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال: (أما رأيت العارض الذي عرض لي قبل؟ هو ملك من الملائكة لم يهبط إلى الأرض قط قبل هذه الليلة، استأذن ربه – عزوجل– أن يسلم عليَّ، ويبشرني أن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنَّة، وأن فاطمة سيّدة نساء أهل الجنة). صححه الألباني في " صحيح الجامع " (1/ 419).

ثالثاً : رحبت الملائكة به ﷺ في ليلة المعراج فرحا بقدومه :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه – في حيث المعراج – قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح ، فقيل : من هذا ؟ قال جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد .قيل : وقد أرسل إليه قال : نعم . قيل مرحباً به ، فنعم المجيء جاء ففتح) وهكذا في جميع أبواب السموات الأخر . رواه البخاري .

قلت : وسؤال كل الملك في كل سماء : (وقد أرسل إليه ؟) يدل على أنهم كانوا يعرفونه وهم في انتظار عروجه إلى السموات لكي يتشرفوا بلقائه والنظر إليه ﷺ.

رابعاً : ملك الجبال يزور النبي ﷺ :

فقد روى البخاري تفصيل القصة. بسنده – عن عروة بن الزبير، أن عائشة –رضي الله عنها– حدثته أنها قالت للنبي ﷺ هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد؟ قال: لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن كلال فلم يجبني إلى ما أرت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب– وهو المسمى بقرن المنازل – فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك. وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم. فناداني ملك الجبال، فسلم علي، ثم قال: يا محمد، ذلك. مما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين، أي لفعلت والأخشبان: هما جبلا مكة أبو قبيس والذي يقابله وهو قعيقان– قال ﷺ (بل أرجو أن يخرج الله عزوجل من أصلابهم من يعبد الله عزوجل وحده لا يشرك به شيئاً) البخاري

خامساً : استأذن ملك القَطر ربه ليسلم على النبي صلى الله عليه وسلم:

عن عامر بن واثلة أبو الطفيل رضي الله عنه قال: (استأذن ملك القطر أن يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم في بيت أم سلمة، فقال: لا يدخل علينا أحد، فجاء الحسين بن علي رضي الله عنهما، فدخل فقالت أم سلمة: هو الحسين، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: دعيه فجعل يعلو رقبة النبي

صلى الله عليه وسلم، ويعبث به والملك ينظر، فقال الملك: أتُحبه يا محمد؟ قال: إي والله، إني لأُحبه، قال: أما إن أمتك ستقتله، وإن شئت أريتك المكان، فقال بيده، فتناول كفًّا من تراب، فأخذت أم سلمة التراب، فصرَّته في خمارها، فكانوا يرون أن ذلك التراب من كربلاء)؛ رواه الطبراني وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (15115): إسناده حسن.

محبة الشجر له

واشتياقها لرؤيته والقرب منه ﷺ

1/عن يعلى بن مرة الثقفي رضي الله عنه قال: بينا نحن نسير مع رسول الله ﷺ ، فنزلنا منزلاً، فنام النبي صلى الله عليه وسلم فجاءت شجرة تشق الأرض، حتى غشيته، ثم رجعت إلى مكانها، فلما أستيقظ ذكرت له ذلك، فقال: (هي شجرة استأذنت ربها عز وجل في أن تسلِّم عليّ، فأذن لها) رواه أحمد والطبراني وأبو نعيم والبيهقي، ورجال أحمد وأبي نعيم البيهقي رجال الصحيح، وللحديث شواهد.

2/ وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال :(كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خطب استند إلى جذع نخلة من سواري المسجد ، فلما صنع له المنبر فاستوى عليه ، صاحت النخلة التي كان يخطب عليها حتى كادت أن تنشق ، فنزل النبي صلى الله عليه وسلم حتى أخذها فضمها إليه ، فجعلت تئن أنين الصبي الذي يسكت حتى استقرت ، قال : (بكت على ما كانت تسمع من الذكر) رواه البخاري.

وعنه رضي الله عنهما : أن النبي ﷺ كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة ، فقالت امرأةٌ من الأنصار – أو رجلٌ – : يا رسول الله ، ألا نجعل لك منبراً ؟ قال : (إن شئتم) فجعلوا له منبراً . فلما كان يوم الجمعة دُفع إلى المنبر ، فصاحت النخلةُ صياح الصبي! ، ثم نزل النبيُّ صلى الله عليه وسلم فضمَّه إليه ، تئن أنينَ الصبيِّ الذي يُسكَّن ، قال : (كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر عندها) رواه البخاري.

وروى أبو حاتم الرازي عن شيخه عمرو بن سواد قال : قال لي الشافعي: (ما أعطى الله تعالي نبيا ما أعطي محمّدًا أعطي عيسى إحياء الموتى فقال : أعطى محمّدًا حنين الجذع فهي أكبر من ذاك).

وكان الحسن البصري يقول: "يا معشر المسلمين الخشبة تحنُّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقاً إليه، أفليس الرجال الذين يرجون لقاءه أحق أن يشتاقوا إليه؟!".

وكان الحسنُ البصريُّ رحمه الله تعالى إذا حدّث بحديثِ حنين الجِذْع، يقولُ : (يا معشرَ المُسلمين ، الخشبةُ تحنُّ إلى رسول الله– صلى الله عليه وسلم– شوقاً إلى لقائه فأنتم أحقُّ أن تشتاقوا إليه ؟) .

ورحم الله القائل :

يحن الجذع من شوق إليك ويذرف دمعه حزناً عليك

ويجهش بالبكاء و بالنحيب لفقد حديثكم و كذا يديك

وقال آخر:

حنَّ جذع إليك وهو جماد فعجيب أن يجْمَدَ الأحياءُ

3/ وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه قال: سِرنا مع رسول الله ﷺ حتى نزلنا واديًا أفيح – أي: متَّسِع – فذهب رسول الله ﷺ يقضي حاجته، فاتبعتُه بإداوة من ماء، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ير شيئًا يَستتِر به، فإذا شجرتان بشاطئ الوادي، فانطلق رسول الله – صلى الله عليه

وسلم – إلى إحداهما فأخذ بغصن من أغصانها، فقال: (انقادي عليَّ بإذن الله) فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يُصانِع قائده حتى أتى الشجرة الأخرى، فأخذ بغصن من أغصانها، فقال: (انقادي عليَّ بإذن الله) فانقادت معه كذلك، حتى إذا كان بالمنصف مما بينهما – أي في المنتصَف – لأم بينهما – يعني: جمَعهما – فقال: (التَئِما عليَّ بإذن الله ... فالتأمتا) رواه مسلم .

4/ وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: جاء أعرابيٌّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: بم أعرف أنك رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: (أرأيتَ إنْ دعوتُ هذا العذقَ من هذه النخلة، أتشهد أني رسول الله). قال: نعم، فدعا العذقَ، فجعل العذق ينزل من النخلة حتى سقط على الأرض، فأقبل إليه، وهو يسجد ويرفع، ويسجد ويرفع، حتى انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال له: (ارجع) فرجع إلى مكانه، فقال: والله لا أكذبك بشيء تقوله بعد أبداً، أشهد أنك رسول الله وآمن) الحاكم في المستدرك (676/2) رقم (4237).

5/ وعن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود قال: (سألت مسروقاً من آذن النبي صلى الله عليه سلم بالجن ليلة استمعوا القرآن فقال: حدَّثني أبوك، قال: آذنته بهم شجرةٌ) رواه مسلم.

ولوْ لمْ يكن في القلب حبُّ محمدٍ لعمّت بك البلوى و دام الضلالُ

فائدة : قال أحد العلماء :

إن النبي صلى الله عليه سلم له مواقف مع الجمادات وأحداث كثيرة، فالجذع يحن على فراقه، والحصى يُسبّح في كفه، والشجر تخط الأرض استجابة لطلبه، الماء ينبع من بين أصابعه، والحجر يُسلِّم عليه، والجبل يثبت من الاضطراب به وبصاحبيه، فهي معجزات، لصاحب الرسالة، وأدلة واضحة على صدق نبوته.

إن الرسول صلى الله عليه سلم كان له الخلق السامي الرفيع في التعامل مع جميع البشر والحيوانات، ولم يكتفِ بذلك بل أحسن الخُلق مع الجمادات، ونقل لنا السلفُ الصالح هذه الأحداث والروايات للنبي عليه أفضل الصلاة والسلام مع الجمادات.

محبة الجبال له ﷺ

واهتزازها فرحاً بصعوده ﷺ عليها

أولاً :جبل أحد:

1- هو جبل من جبال الجنة كما أخبر بذلك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وقال: أحد جبل من جبال الجنة. وقال أيضًا: أحد جبل يحبنا ونحبه كما في حديث أبي حميد رضي الله عنه، قال: خرجنا مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في غزوة تبوك، ثم أقبلنا حتى قدمنا وادي القرى (العلا) فقال

رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: (إني مسرع، فمن شاء منكم فليسرع معي، ومن شاء فليمكث). فخرجنا حتى أشرفنا على المدينة، فقال: (هذه طابة، وهذا أحد، وهو جبل يحبنا ونحبه) رواه مسلم .

لا تلوموا أُحُدَاً لاضطراب إذ علاه فالوَجْد داءُ

أحُدٌ لا يُلام فهو محبٌ ولَكَمْ أطرب المحبَّ لقاءُ

2- وعن سيدنا أنس بن مالك الأنصاري رضي الله عنه: حدثهم أن نبي الله ﷺ صعد أحدًا، فتبعه أبوبكر وعمر وعثمان، فرجف بهم، فضربه نبي الله صلّى الله عليه وسلّم برجله، وقال: (اثبت أحد، نبي وصديق وشهيدان) رواه أبو داود.

3- وعن أنس بن مالك أيضاً رضي الله عنه أنه حدثهم: أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم صعد أحدًا، وأبو بكر وعمر وعثمان، فرجف بهم، فقال رسول الله ﷺ: (اثبت أحد، فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان). رواه الترمذي وقال :هذا حديث حسن صحيح.

ثانياً : جبل حراء (جبل النور) وهو بمكة شرفها الله :

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كان على حراء، هو وأبوبكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير، فتحركت الصخرة، فقال رسول الله ﷺ: (اهدأ، فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد). رواه مسلم والترمذي .

ثالثاً : جبل ثبير :

عن ثمامة بن حزن القشيري قال شهدت الدار حين أشرف عليهم عثمان فقال ائتوني بصاحبيكم اللذين ألباكم علي قال فجيء بهما فكأنهما جملان أو كأنهما حماران قال فأشرف عليهم عثمان فقال أنشدكم بالله والإسلام هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة فقال من يشتري بئر رومة فيجعل دلوه مع دلاء المسلمين بخير له منها في الجنة فاشتريتها من صلب مالي فأنتم اليوم تمنعوني أن أشرب حتى أشرب من ماء البحر قالوا اللهم نعم قال

أنشدكم بالله والإسلام هل تعلمون أن المسجد ضاق بأهله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يشتري بقعة آل فلان فيزيدها في المسجد بخير منها في الجنة فاشتريتها من صلب مالي فأنتم اليوم تمنعوني أن أصلي فيها ركعتين قالوا اللهم نعم قال أنشدكم بالله والإسلام هل تعلمون أني جهزت جيش العسرة من مالي قالوا اللهم نعم ثم قال (أنشدكم بالله والإسلام هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على ثبير مكة ومعه أبو بكر وعمر وأنا فتحرك الجبل حتى تساقطت حجارته بالحضيض قال فركضه برجله وقال :(اسكن ثبير فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان قالوا: اللهم نعم قال الله أكبر شهدوا لي ورب الكعبة أني شهيد ؛ ثلاثا) رواه الترمذي وقال : هذا حديث حسن .وقد روي من غير وجه عن عثمان.

طاعة عدد من الجمادات

الأخرى له ﷺ وفرحها به ﷺ

1/ اهتزاز المنبر فرحا بسماع الذكر منه ﷺ:

عن عبيد بن مقسم ، أنه نظر إلى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كيف يحكي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (يَأْخُذُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ سَمَاوَاتِهِ وَأَرَضِيهِ بِيَدَيْهِ ، فَيَقُولُ : أَنَا اللهُ – وَيَقْبِضُ أَصَابِعَهُ

وَيَبْسُطُهَا – أَنَا الْمَلِكُ ؛ حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى الْمِنْبَرِ يَتَحَرَّكُ مِنْ أَسْفَلِ شَيْءٍ مِنْهُ ، حَتَّى إِنِّي لَأَقُولُ : أَسَاقِطٌ هُوَ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟) رواه مسلم.

وعن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى الْمِنْبَرِ : (وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) ، وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ هَكَذَا بِيَدِهِ، وَيُحَرِّكُهَا، يُقْبِلُ بِهَا وَيُدْبِرُ (يُمَجِّدُ الرَّبُّ نَفْسَهُ : أَنَا الْجَبَّارُ ، أَنَا الْمُتَكَبِّرُ ، أَنَا الْمَلِكُ ، أَنَا الْعَزِيزُ ، أَنَا الْكَرِيمُ فَرَجَفَ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمِنْبَرُ حَتَّى قُلْنَا : لَيَخِرَّنَّ بِهِ) رواه الإمام أحمد وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة.

2/ طاعة السحاب له ﷺ:

عن أنس رضي الله عنه في حديث استسقاء النبي صلَّى الله عليه وسلَّم على المنبر يومَ الجمعة – وفيه: "ثم دخل رجل من ذلك الباب في يوم الجمعة المقبلة، ورسول الله قائم يَخطب، فاستقبله قائمًا، فقال: يا رسولَ الله، هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فادعُ الله أن يُمسكها، قال: فرفع رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يديه، ثم قال: (اللهم حَوَالَيْنَا، ولا علينا، اللهم على الآكام والظِّرَاب وبطون الأودية، ومنابت الشجر) متفق عليه.

3/انشق القمر طاعة له ﷺ:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه : (أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما) رواه الشيخان وغيرهما.

وعن ابن مسعود – رضي الله عنه – قال : "انشق القمر علي عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه ، فقال رسول الله عليه وآله وسلم :(اشهدوا) متفق عليه.

قال الإمام الخطابي رحمه الله : "انشقاق القمر آية عظيمة لا يكاد يعدلها شيءٌ من آيات الأنبياء، وذلك أنه ظهر في ملكوت السماء خارجاً من جملة طباع ما في هذا العالم المركب من الطبائع، فليس مما يطمع في الوصول إليه بحيلة، فلذلك صار البرهان به أظهر".

4/ تسبيح الحصى بين يديه ﷺ:

عن أبي ذر قال: "إني انطلقتُ ألتَمِس رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في بعض حوائط المدينة، فإذا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قاعد، فأقبلتُ إليه حتى سلمتُ عليه، وحصيات موضوعة بين يديه فأخذهنَّ في يده فسبَّحنَ في يده، ثم وضعهنَّ في الأرض فسكتنَ، ثم أخذهنَّ فوضعهنَّ في يد أبي بكر فسبَّحنَ في يده، ثم أخذهنَّ فوضعهنَّ في الأرض فخَرِسنَ – أي: سكتْنَ – ثم أخذهنَّ فوضعهنَّ في يد عمر فسبَّحنَ في يده، ثم أخذهنَّ فوضعهن في الأرض فخَرِسنَ، ثمَّ أخذهنَّ فوضعهنَّ في يد عثمان فسبَّحنَ، ثم أخذهنَّ فوضعهنَّ في الأرض فخرسن". أخرجه البزار والطبراني في الأوسط، وصحَّحه الألباني في ظلال الجنة (1146).

5/ في تنكيس الأصنام حين أشار إليها طاعة له ﷺ:

عن ابن مسعود قال: دخل النبي ﷺ مكة وحول الكعبة ثلاثمائة وستون نصباً فجعل يطعنها بعود بيده ويقول: {جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا} (81) سورة الإسراء. {قُلْ جَاء الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ}(49) سورة سبأ) رواه مسلم.

6/ في تشرف الأحجار بسلامها عليه ﷺ:

عن جابر بن سمرة، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه سلم): (إني لأعرفُ حجراً كان يُسلِّم عليَّ قبل أن أبُعث، إني لأعرفه الآن) رواه مسلم .

وعن علي رضي الله عنه قال: (كنا مع رسول الله صلى الله عليه سلم بمكة فخرجنا في بعض نواحيها، فما استقبله شجر ولا حجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله) مستدرك الحاكم وقال حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

7/ فرحت المدينة النورة بقدومه حتى أضاء منها كل شي وحزنت لفراقه حتى أظلم منها كل شئ:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه : (كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أضاء منها كل شيء) رواه أحمد والترمذي والحاكم وصححه ،وأخرجه الدارمي بلفظ : (ما رأيت يوما قط كان أحسن ولا أضوء من يوم دخل علينا به رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وما رأيت يوما كان أقبح ولا أظلم من يوم مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم).

قال الطيبي رحمه الله تعالى : الضمير راجع إلى المدينة ، وهذا يدل على أن الإضاءة كانت محسوسة.

مما قاله الشعراء

في معجزات خاتم الأنبياء ﷺ

نذكر هنا ما ذكره الشعراء حول معجزات حبِّ الكائنات لحبيب الله تعالى، وطاعتها له –صلى الله عليه وسلم– مثل حنين الجذع، وإسراع الأشجار إليه، وتكليم الذئب، ونطق الحصى.. وغير هذه المعجزات الشريفة التي تناقلتها كتب السيرة الشريفة، ومنها أبيات الشاعر الأندلسي محمد بن جابر الهواري يقول فيها[9] :

ألم يعلموا علـمَ اليقين بصدقِه ولـكنهـم لا يـرجعون لـمعقلِ
أليس الذي في كفه سبح الحصى وأروى جميع الجيش من نبع أنملِ
أليس انشقاق البـدر كان لأجله فشقَّ على نـفس الشقيِّ المذللِ
ألم ينظروا للدوح تسعى لقصدِه ألم يبصروا فعلَ الغمام المظـللِ
أليس الذي قد آلـمَ الجذعَ فقدُه فأنَّ أنـينَ الـشيِّـقِ المتملـملِ
أليس الذي أعطى الغزالة عهدَه فعادتْ ولـم تـخلفْ ولم تتمهـَّلِ
أليس بعيـرُ القومِ لاذَ بعدلِه فأنجاه مـن جـوع وتثقيلِ محملِ
أما الجملُ الصعب القياد أطاعَه وأهوى لوجْهِ الأرض فعلَ المقبِّلِ
ألم ترَ أنَّ الوحشَ والدوحَ سلمَّتْ عليه وما يلـقاه من كلِّ جـندلِ
أليس الذي قد كلَّمَ الضبَّ سائلا فقال مُجيبا أنـتَ آخـرُ مُرسلِ

وأسلوب الاستفهام التقريري الذي ابتدأ به الشاعر أبياته وكرره بهذا الشكل لهو خير دليل على اندفاع العاطفة الإيمانية لدى الشاعر وامتزاجها بحالته الشعورية لحظة إبداع قصيدته.

وممن أطال في وصف معجزة القرآن الكريم البوصيري في ميميته الخالدة حيث يقول:

دَعْنِي وَوَصْفِي آياتٍ لهُ ظَهَرَتْ ظُهورَ نارِ القِرَى لَيْلاً عَلَى عَلَمِ

[9] – معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم في المدائح النبوية – موقع رابطة الأدب الأدب الإسلامي العالمية.

فالدُّرُّ يَزدادُ حُسْناً وَهْوَ مَنْـتَظِمٌ وَليسَ يَنْقُصُ قَدْراً غيرَ مَنْتَظِمِ

فما تَطَاوَلُ آمالُ المَدِيـحِ إلى ما فيهِ مِنْ كَرَمِ الأخلاقِ والشِّيَمِ

آياتُ حَقٍّ مِنَ الرَّحْمنِ مُحْدَثَةٌ قَدِيمَةٌ صِفَةُ المَوصوفِ بالـقِدَمِ

لَمْ تَقْتَرِنْ بِزمانٍ وَهْيَ تُخْبِرُنا عَنِ المعادِ وعَنْ عادٍ وعَنْ إرَمِ

دامَتْ لَدَيْنا فَفاقَتْ كلَّ مُعْجِزَةٍ مِنَ النَّبِيّينَ إذ جاءَتْ ولَمْ تَدُمِ

مُحَكَّماتٌ فما تُبْقِينَ مِنْ شُبَهٍ لذِي شِـقاقٍ وما تَبْغِينَ مِنْ حَكَمِ

ما حُورِبَتْ قَطُّ إلاَّعادَ مِنْ حَرَبٍ أَعْدَى الأعادي إليها مُلْقِيَ السَّلَمِ

رَدَّتْ بَلاغَتُها دَعْوَى مُعارِضِها رَدَّ الغَيُورِ يَدَ الجَاني عَنِ الحُرَمِ

لها مَعانٍ كَمَوْجِ البَحْرِ في مَدَدٍ وفَوْقَ جَوْهَرِهِ فِـي الحُسْنِ والقِيَمِ

فما تُعَدُّ وَلا تُحْصى عَجَائِبُها ولا تُسامُ عَـلَى الإكثارِ بالسَّأَمِ

قَرَّتْ بها عَيْنُ قارِيها فَقُلْتُ لهُ: لقد ظَفِرتَ بِحَبـْلِ اللهِ فاعْتَـصِمِ

إنْ تَتْلُها خِيفَةً مِنْ حَرِّ نارِ لَظىً أَطْفَأْتَ نارَ لَظىً مِنْ وِرْدِها الشَّبِمِ

كَأَنَّها الحَوْضُ تَبْيَضُّ الوجوهُ به مِنَ العُصاةِ وقد جاءُوهُ كَالحُمَـمِ

وَكَالصَراطِ وكالمِيزانِ مَعْدِلَةً فالقِسْطُ مِنْ غَيرِها في الناسِ لَمْ يَقُمِ

لا تَعْجَبَنْ لِحَسُودٍ راحَ يُنْكِرُها تَجاهُلاً وهْوَ عَيْنُ الحاذِقِ الفـَهِمِ

قد تُنْكِرُ العيْنُ ضَوْءَ الشّمْسِ من رَمَدٍ ويُنْكِرُ الفَـمُ طَعْمَ الماءِ مـن سَقَمِ

وقال ابن زمرك آخر فحول الشعراء في الأندلس :

تاج الرسالة خَتمِها وقِـوامِهـا وعِمادِها السامي على النظراءِ

ذو المعجزاتِ الغرِّ والآي الألى أُكْبِرْنَ عن عَـدٍّ وعن إحصاءِ

وكفاكَ ردُّ الشمسِ بـعد مغيبها وكفاكَ ما قدْ جاءَ في الإسراءِ

والبدرُ شُقَّ لَـهُ وكم مـن آيـةٍ كأَنـاملِ جاءتْ بنبع الـماءِ

وبليلةِ الميلاد كم مـن رحمـةٍ نـشرَ الإِلَهُ بـها ومن نعماءِ

الرسالة الثانية عشرة

اطِّلاعُكَ عَلَى قَصَصِ المُكْثِرِينَ مِن الصَّلاةِ عَلَيْه ﷺ يُشْعِرُكَ بِضَعفِ اشْتِياقِك إِليهِ ﷺ

ستقرأ فيها:

- مدخل.
- قصص واقعية في شفاء المرضى ببركة الإكثار من الصلاة عليه ﷺ.
- قصص واقعية في تفريج الهموم ببركة الإكثار من الصلاة عليه ﷺ.
- قصص واقعية في رؤية النبي ﷺ في المنام.

مدخل

عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه قَالَ: "قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي؟ فَقَالَ: مَا شِئْتَ.قُلْتُ الرُبُعَ؟ قَالَ : مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ.

قُلْتُ: النِّصْفَ؟ قَالَ: مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ.قُلْتُ: فَالثُّلُثَيْنِ؟قَالَ: مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ.قُلْتُ: أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا؟ قَالَ: (إِذًا تُكْفَى هَمَّكَ وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُك) أخرجه الترمذي.

قال الملا علي القاري رحمه الله تعالى:"(أجعل لك صلاتي كلها): أي أصرف بصلاتي عليك جميع الزمن الذي كنت أدعو فيه لنفسي .

قال الأبهري رحمه الله تعالى : أي إذا صرفت جميع زمان دعائك في الصلاة عليّ كُفيت ما يهمّك. فقال: (إِذًا تُكفى همّك) أي ما أهمّك من أمر دينك ودنياك؛ وذلك لأن الصلاة عليه مشتملة على ذكر الله وتعظيم الرسول، والاشتغال بأداء حقه عن أداء مقاصد نفسه."

وقال ابن علان البكري رحمه الله: "ووجه كفاية المهمّات بصرف ذلك الزمن إلى الصلاة عليه ﷺ أنها مشتملة على امتثال أمر الله تعالى، وعلى ذكره وتعظيمه، وتعظيم رسوله؛ ففي الحقيقة لم يفُت بذلك الصرف شيء على المصلّي، بل حصل له بتعرضه بذلك الثناء الأعظم أفضل مما كان يدعو به لنفسه، وحصل له مع ذلك صلاة الله وملائكته عليه عشراً، مع ما انضم لذلك من الثواب الذي لا يوازيه ثواب. فأيّ فوائد أعظم من هذه الفوائد؟ ومتى يظفر المتعبد بمثلها، فضلا عن أنفَسَ منها؟ وكيف يوازي دعاؤه لنفسه واحدة من تلك الفضائل التي ليس لها مماثل؟".

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني : إنّ الصلاة على حضرة سيدنا النبي ﷺ تفتح من كيمياء السعادة أبواباً لا يفتحها غيرها، وتفتح من مزايا الزيادة ما لا ينقطع على المُصلي سيرها، وأنها توصل إلى كافة المؤنة الدنيوية والأخروية، وتمنح اللحظات المحمدية والتجليات الإستفاضية."

لماذا نكثر من الصلاة على النبي ﷺ ليلة الجمعة ويومها !؟

قال ابن القيم رحمه الله:(كل خيرٍ نالَتْه أمَّتُه في الدنيا والآخرة فإنَّما نالَتْه على يده، فجمَع الله لأمَّته به من خيري الدنيا والآخرة، فأعظَم كرامةٍ تَحصل لهم فإنما تَحصل يوم الجمعة؛ فإنَّ فيه بَعْثهم إلى منازلهم وقصورِهم في الجنَّة، وهو يوم المزيد لهم إذا دَخلوا الجنَّةَ، وهو عيدٌ لهم في الدنيا، ويوم فيه يسعفهم الله تعالى بطلباتهم وحوائجِهم، ولا يرد سائلَهم، وهذا كله إنَّما عرَفوه وحصَّلوه بسببه، وعلى يده عليه الصلاة والسَّلام، فمِن شُكرِه وحمْدِه وأداء القليل من حقِّه أن نُكثِر من الصلاة عليه في هذا اليوم وليلته). [زاد المعاد ١ / ٣٦٤].

صلاة العبد على سيدنا رسول الله ﷺ شرفٌ له، وتشريف لقلبه، وتزكية لنفسه، وترقية لروحه، وسفرٌ من أنوار بدايته الهداية، ونهايته الفردوس.

وكم من إنسان استعصت عليه طاعة، فتيسرت بديمومة الصلاة على النبي ﷺ !

وكم من قلب تحجر في صحراء الغفلة، تفجرت منه ينابيع الحياة بكثرة الصلاة على النبي ﷺ !

وكم من شارد أطال الغياب، آب في ثياب المتاب ببركة الصلاة على النبي ﷺ !

تصبغ بالنور، وتكشف حجب الران، وتُذهب غشاوة النفس، وكدر الحياة، وتجعلك دائما في ظلال صحبته، وأنوار محبته!

وصدق الشاعر إذ يقول :

إذا كنت في ضيق وهم وفاقة وأمسيت مكروبا وأصبحت في حرج

فصل على المختار من آل هاشم كثيرًا فإن الله يأتيك بالفرج

قصص واقعية في شفاء المرضى

ببركة الإكثار من الصلاة عليه ﷺ

1/ شفى الله زوجته ببركة كثرة الصلاة عليه ﷺ :

قال رجل كانت زوجتي حامل وقد فوجئنا في نهاية فترة حملها أن ابننا ليس لديه شريان تاجي هذا الذي يغذي القلب لكن لديه بعض الشعيرات الدموية التي تغذي قلبه، وقد قال لنا الطبيب أن الطفل الموجود في أحشاء زوجتي لا يمكن له أن يحيا أكثر من ثلاث ساعات بأحسن الأحوال، وبالفعل ولدت زوجتي، وجاء الطفل أزرق اللون؛ فأخذته الممرضات إلى الحضّانة ووضعوا له الأكسجين والمفاجئ أن الطفل بقي حيًّا لمدة ثلاثة أيام.

ولمّا رأوا ذلك قالوا: لمَ لا نجرّب وننزع عنه الأكسجين، ووفق كلام الطبيب قال إن الإنسان يمكنه أن يعيش إذا بقي لديه إلى حد 70% من الأكسجين أما إن وصلت النسبة إلى دون ذلك يصبح مهدّدًا بخطر الموت. وعند إزالة الأكسجين بدأ الأكسجين يتناقص من الطفل بشكل تدريجي، وما أن بدأ بالتناقص إلى أقل من 70% ألهمني الله تعالى أن أصلي على رسول الله صلى الله عليه، وكلّما كنت أزيد من الصلاة على رسول الله تعالى –صلى الله عليه وسلم– كانت نسبة الأكسجين عند طفلي تزداد بحمد الله تعالى، حتى وصلت إلى أعلى من 80% وزال الخطر عن طفلي بحمد الله تعالى، وبفضل الله –تعالى– عاش طفلي بالفعل واليوم عمره سنة وشهران.

2/ قال أحدهم حدثني والدي .. عن قصة شاب أعرفه جيدا من منطقتنا.. تزوج 5 مرات.. وكل مرة يحدث طلاق بسبب أنه عقيم لا ينجب.. واسودت الدنيا أمامه.. وضاق ذرعا بسبب ذلك ..!

المهم جاء هو منذ وقت قريب إلى والدي يشتكي حاله.. فأرشده والدي إلى أن يصلي على النبي بنية تفريج كربه..!وما هي إلا أيام .. إلا وكانت المفاجأة :حيث إن هذا الرجل بعدما لزم الصلاة على النبي.. جاء إلى والدي وبشره أن زوجته رزقت بالحمل..!

3/ قصة شفاء رجل من المرض الخبيث بفضل الصلاة على النبي ﷺ:

رجل مصاب بمرض السرطان في رأسه ، قالوا له الأطباء أن حياتك منتهية والأمل في النجاة قليل .. يذهب هذا الرجل إلى بيته ويتطهر ويجلس يصلي على النبي صلى الله عليه سلم وهو يقول : " اللهم صلي على سيدنا محمد طب القلوب ودوائها وعافية الابدان وشفاءها ونور الأبصار وضيائها " قال فأحسست ببرد يده الشريفة على رأسي وسمع هاتفاً يقول : قل وروح الارواح وسر بقائها.

فشفي الرجل بفضل الصلاة على النبي وذهب إلى الأطباء فتعجبوا حتى قال الراوي كان منهم رجل على غير دين الاسلام فأسلم مما رأى من الكرامة ، فقالوا له ماذا فعلت يا رجل ، قال : أكثرت الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

4/ قصة الأعرابي الضرير الذي شفي بفضل الصلاة على النبي ﷺ :

رجل ضرير ذهب إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله : ادع الله أن يرد إلى بصري قال ان شئت دعوت وان صبرت كان خير لك .. فلماذا خيره النبي بأن يصبر أو يدعو له فيشفى ؟ لأن من فقد إحدى حبيبتيه أي عينيه كان حقاً على الله أن يدخله الجنة. قال أدع لي. فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يتضوأ فيحسن الوضوء ، ثم توجه إلى الحق بنبيه الرحمة بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا : " يا رسول الله إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي لتقضى ، اللهم اقضي لي حاجتي بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقام وقد أبصر وأصبح يرى بعينيه بفضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

5/ قصة امرأة حرمت الانجاب مع الصلاة على النبي ﷺ:

تقول القصة أن هناك سيدة كانت لها أخت متزوجة رزقها الله وحملت لكن لم يتم الحمل، فأجهضت ومرت مدة قصيرة وحملت من جديد وكبر الجنين في بطنها ، ولكن للأسف تبين للطبيب أن الجنين مصاب بورم في رأسه ، وأخبرها الطبيب بأنه يجب أن ينزل الجنين لأنه سيعاني كثيراً من مرضه إذا خرج للحياة. وسيعاني الوالدين معه ولابد من إخراجه وإجراء عملية التفريغ ، وبالفعل تم اخراج الجنين والصدمة الكبرى أن الطبيب أخبرها بأنها لا يمكن أن تنجب مرة أخرى. تقول الأخت : إن أختي حزنت حزناً كبيراً مما أدى بها إلى حالة إكتئاب فضلت على هذا الحال وهي في حالة يرثى لها ، وفي يوم من الأيام زارها أخي وقال لها ناصحاً : يا أختي عليك بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، فعلا أختي تقبلت نصيحة أخي وداومت على الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم تقريباً 3 شهور. سبحان الله بعد مداومتها للصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم تم الفرج بإذنه تعالى. بعدها أحست بأعراض الحمل فذهبت إلى الطبيب فأخبرها أنها حامل. سبحان الله ! لم تصدق من الفرحة ، وكل العائلة لم يصدقوا ذلك ولكنه أمر الله سبحانه وتعالى ، فخرجت أختي من حالة الاكتئاب التي كانت عليها والحزن أصبح فرحاً ، والرحم الذي كان قد أفرغ ملئ بجنين بفضل الله اولاً ثم بفضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

6/ يروي الشيخ الدكتور رياض باز حفظه الله قصة واقعية في الصلاة على النبي ﷺ، كان الشيخ في المدينة المنورة عند بعض أشراف المدينة فتكلم بعض أعيانهم عن ما حصل ما أحد معارفه ، كان يصلي على الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم في كل يوم 1000 مرة ، ويمرض هذا الرجل، ويدخل هذا الرجل مستشفى الملك عبد العزيز في المدينة المنورة وبعد فحصه ثبت أن المرض الخبيث قد غزاه ، يأتي إلى البيت يبكي .. ماذا يفعل ؟ فيرفع يديه ويقول : يارب إني أصلي على حبيبك المصطفى صلى الله عليه وسلم في كل يوم 1000 مرة ، اللهم أرني فضلها في شفائي.

قالها بصدق ونام الرجل وهو يبكي ، وإذ به يرى الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم في منامه يقول له يا فلان أين الألم ؟ فيدله على مكان الألم ، فيضع الرسول صلى الله عليه وسلم يده الشريفة على صدره ويدعو له ، ثم استفاق الرجل وقد غرق في العرق وجعل يشعر بخفة في جسده ، في صباح يذهب إلى المستشفى حتى يعيد الفحوصات مرة ثانية فلا أثر للمرض ، فاستغرب الطبيب وقال له هل أنت نفس الشخص الذي أتيت إلي سابقاً ، فرد عليه الرجل نعم ! وهذه تذكرتي، فيقول له الطبيب من أجرى لك العملية ؟ قال : الحبيب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

7/ قصة الأخ الذي كان عنده مرض القلب : منذ حوالي ١٠ سنوات .. كنت أصلي مع والدي صلاة الظهر ... وإذ بأحد الإخوة من قريتنا ب (القلمون) يصلي معنا ... وبعد الصلاة سلم على الوالد .. وقال له : إنه أتى من (القلمون) ليجري عملية قلب هنا في (القاهرة) .. لأن الأطباء قالوا له : إن حالتك تحتاج إلى إجراء عملية ... وقد حددوا له موعد العملية ... بعد يومين من مجيئه إلى (القاهرة).

فنظر إليه الوالد ... وأخبره بحديث أبيّ بن كعب الذي قال فيه للنبي ﷺ : (أجعل صلاتي كلها عليك !!) ... فقال له النبي ﷺ : (إذن تُكفى همك ويُغفر لك ذنبك) [حديث صحيح – رواه الترمذي].

وأنها سبب في تفريج الكربات .. وأن أفضل طريقة للصلاة عليه ﷺ .. هي الصلاة الإبراهيمية (كما في آخر التشهد) :(اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ) رواه البخاري .

ثم قال له الوالد : (أقسم لك بالله ... لو لزمت الصلاة على النبي ... فلن تحتاج إلى إجراء عملية !!)

المهم !! أخذ الرجل في هذين اليومين ... يصلي على النبي بكثرة ... ويوم إجراء العملية ذهب إلى المستشفى ... وقبل أن يدخلوه إلى غرفة العمليات ... أجروا له الفحوصات ..(وهنا كانت المفاجأة !!) أنهم قالوا له : إنك لا تحتاج إلى عملية !! بل تحتاج إلى بعض الأدوية فقط !!

كل هذا حدث بفضل الله .... ثم ببركة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

8/ يتابع الأخ قائلا : الأغرب من هذه القصة : أنه حدث شيء لا يستوعبه عقل !! ... أن هذا الرجل بعدما ذاق حلاوة الصلاة على النبي ... فوجئ بعد ذلك بفترة أن ابن اخته قد أصيب بمرض (فيروس c) .. واكتشفوا ذلك بعد أن أجروا له التحليلات في (القلمون) ... والتحليلات لا تكذب ...وكان هذا الشاب ابن اخته شابا خلوقا ... فكان الخبر على الأسرة كالصاعقة ... وكان هذا الشاب قد أصيب بصدمة بسبب ذلك .

فجاء خال هذا الشاب – والذي كان مصابا بمرض القلب – فأخذه إلى (أسيوط) .. كي يجروا التحليل ليتأكدوا من نتيجته ... وعندما أجروا التحليل في (أسيوط) ... ظهرت النتيجة للمرة الثانية أن الشاب مصاب ب (فيروس c) .

وهنا أوشك الشاب على الانهيار ... فقال له خاله : تعال نذهب إلى (القاهرة) ... لنجري التحليل للمرة الثالثة ... ثم قال له : وهيا بنا نصلي على رسول الله طول الطريق ... حتى يكشف الله الكرب – وكان قد حكى له قصته عندما كانوا سيجرون له عملية القلب ، وعافاه الله ببركة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم –

ومكث هذا الرجل وابن أخته ٥ ساعات طول الطريق من (أسيوط) إلى (القاهرة) يصلون على رسول الله ... وعندما وصلوا إلى معمل التحليل في (القاهرة) أجروا الفحوصات للمرة الثالثة ... (وهنا كانت المفاجأة الغير متوقعة !!!! أن التحاليل كشفت لهم أن الشاب سليم ليس به شيء !!!!

قصص واقعية في تفريج الهموم

ببركة الإكثار من الصلاة عليه ﷺ

1/ يقول أحد الشباب : أنه في وقت ما كان يمر بفترة صعبة من الابتلاءات المختلفة والتي مررت بها في وقت واحد، وكان ما يخطر في بالي أن المصائب لا تأتي فردية، فكلما اقتربت من التخلص من البلاء أجد نفسي أقع في بلاء أخر، وكنت أعاني من الديون بشكل كبير، ولم أعرف إن كان هذا الابتلاء هو اختبار من الله عز وجل حتى يرى قوة إيماني وصبري، أم هو عقاب على شيء فعلته، وقد كان الشيطان معي بكل لحظة ويجعلني أشعر بالإحباط واليأس من رحمة الله عز وجل، ومن كثرة ما كنت أمر به كنت أفكر في الانتحار كثيرًا حتى اتصلت بصديق لي حتى أتحدث معه، وأخبرته أن تجارتي الرابحة تحولت إلى خسارة كبيرة في وقت قصير للغاية، ولم أذكر له كل ابتلاءاتي ونصحني أن أقوم في الثلث الأخير من الليل وأصلي ركعتين لله أو أكثر، واجلس بعدها أصلي على النبي صلى الله عليه وسلم حتى أذان الفجر، وطلب مني أن استخدم الصيغة الإبراهيمية، مع الحرص على المداومة على ذلك، وبالفعل فعلت ذلك وقد تمكنت من التخلص من كل الابتلاء في وقت قصير والحمد والشكر لله.

2/ يقول شاب آخر :أن حياته بدأت بالتنقل من كل لآخر دون المحافظة على الصلاة أو الدعاء أو الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام، وفي أحد الأيام تكاثرت عليه الهموم والأحزان، وأصبحت حياتي مدمرة بشكل كبير بعد أن كنت لا أبالي لأي شيء، وكان صديقي ينصحني في كل وقت بالتقرب من الله عز وجل ولكنني كنت لا أبالي له، وعندما وصلت لهذا المرحلة نصحني أن أداوم على الصلاة واحرص على الصلاة على النبي في كل وقت وحين، وعندما بدأت بفعل ذلك شعرت براحة كبيرة وسكينة لم أشعر بها من قبل، وتمكنت بعد فترة من المواظبة على ذلك أن أتخلص من كل ما أعاني به في حياتي، لذلك أنصح الجميع بالحرص على المواظبة على ذلك، حتى يتمكنوا من الشعور بالراحة والسكينة وتحقيق ما يريدون.

3/ تقول إحدى السيدات : أنها كان لها صديقة تعيش مع زوجها في المملكة العربية السعودية وكانوا حريصين أشد الحرص على المداومة على الصلاة، مع ترديد الصلاة على النبي، دون أن يقوم بالتركيز على عدد معين في الصلاة على النبي، وكانت الزوجة تتمنى أن تذهب إلى الحج هي وزجها ولكن دخل زوجها كان ضعيف للغاية لا يمكنهم من الذهاب إلى الحج، وبعد فترة بسيطة تفاجأت بأن والدها ذهب إليها وأعطاها 10 آلاف ريال، وكانت صدمة لها ولزوجها لأن والدها لم يقم بإعطائها في السابق أكثر من 2000 ريال، وبالفعل تمكنت من أداء فريضة الحج، وهذا يرجع إلى فضل الدعاء على النبي عليه الصلاة والسلام، ومن ذلك الوقت لم أترك الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام.

4/ قال أحد موظفي البنك : وانا في البنك إمبارح في ضغط شغل الخميس وكل الناس عايزه تصرف وتقفل شغل الاسبوع جالي شاب على الكونتر عايز يصرف شيك بمبلغ المهم اخدت الشيك وخلصت إجراءات الإئتمان وخلافه وأثناء ما أنا بنفذ الصرف على السيستم لقيت نفسي من الإرهاق قولت بصوت عالي " اللهم صل على سيدنا ﷺ " فكل الناس صلت على سيدنا ﷺ وصمتت إلا الشاب اللي قدامي أخذ يصلي كثيرا دون توقف وكأنه كان ينتظرها مني فكرت أسأله السر ولكني " إلتزمت

الأدب مع السر " وقمت لأعطيه المال قيمة الشيك فأخذها ونظر لي وقال عارف يا أستاذ : الصلاة على النبي ﷺ في يوم من الأيام سددت عني دين قدره ٢٠٠ الف جم كان بلغ بي الامر إني أوشكت أسجن فحكيت لحد من أحبابي فقال لي " صلي على سيدنا ﷺ كتير " فسمعت كلامه وفعلت فربنا كرمنا بأكبر شركة مقاولات أشتغل معاها وتسدد عني الدين .... قولتله " يابني ملناش غير شفاعته ﷺ بالصلاه عليه "

5/ قال أحدهم : قصة صديقي العجيبة .. في ذهابه إلى مدينة رسول الله ﷺ أعرف صديقا لي اسمه (عاصم !!) ... كان يحضر عند والدي منذ زمن !! المهم قابلته منذ سنتين !! فسألته عن حاله وعن عمله ؟ !! فقال لي : يا أخ سيف !! أنا قصة عملي هنا ووجودي في (مدينة رسول الله ﷺ !!) عجيبة لا يستوعبها العقل !! وهذه القصة سأحكيها لك حتى تحكيها للناس ويأخذوها عبرة وتذكرة !!

فقلت له : تفضل !! قال لي : أنت كما تعلم أنني كنت أشتغل في المستشفى (الفلاني ...) في مصر .. كنت أعمل فيها موظفا (فني تكييفات !!) ... وكانوا في العمل يضايقونني كثيرا من أجل اللحية ... وقد ضقت ذرعا من كثرة المضايقات التي يفعلوها معي بسبب التزامي بالدين !!

وسمعت محاضرة والدك : (الصلاة على خير الأنبياء عوضا عن الدعاء !!) ... وسمعت القصص الواقعية التي فيها ... وسمعت فيها حديث أبي بن كعب الذي قال فيه للنبي ﷺ : (أجعل صلاتي كلها عليك !!) ... فقال له النبي ﷺ : (إذن تكفى همك !! .. ويغفر لك ذنبك !!) [حديث صحيح – رواه الترمذي] .

وأنها سبب في تفريج الكربات .. وأن أفضل طريقة للصلاة عليه .. هي الصلاة الإبراهيمية قال : وكان عندي في الشغل وقت فراغ كبير ... لأنني أظل جالسا في المكتب حتى يتعطل أحد المكيفات في المستشفى !! ..فأصلحه ثم أرجع أجلس كما كنت في المكتب !! ...

قال : فلما أكثروا من مضايقاتي المتكررة ... جئت بقلم وورقة ... وأخذت أصلي على النبي ﷺ كل يوم بكثرة ... وكل 10 مرات أضع شرطة على الورقة ... وظللت هكذا فترة ... أصلي على النبي ﷺ كل يوم حدود 3 ساعات حتى يفرج الله كربي !! ويجعل لي في عملي هذا مخرجا !!

ثم قال لي : وفي يوم فوجئت برقم غريب يتصل بي من (السعودية !!) .... فاستغربت لأنني لا أعرف أحدا في السعودية ... فأجبت على الهاتف ... فإذ برجل يقول لي : (هو حضرتك مهندس تكييفات ؟ !) ... فقلت له : (لا ... أنا أعمل فني تكييفات .. ولست مهندسا !!) .

فقال له : (أريدك أن تعمل عندي في السعودية !!) .المهم اتفقوا على المرتب بعد مفاوضات بينهما !! وتم عمل إجراءات السفر !!المهم !! هذا الرجل السعودي كان قد تعاقد مع بعض الناس في مصر حتى يعملوا معه في (السعودية !!) .. لأن شركته لها فروع في جميع أنحاء المملكة !!

وقبل السفر عقد هذا الرجل اجتماعا مع الناس قبل سفرهم في أحد الفنادق !! وأخذ كل واحد من الحاضرين يحكي قصته أمام الآخرين وأمام هذا السعودي : كيف تعرف على هذا العمل !!

ثم التفت هذا السعودي للجميع وقال لهم : (كل هؤلاء أعرف قصتهم وكيفية مجيئهم للعمل عندي إلا (عاصم !!) ... فلا أعرف كيف جاء ليعمل عندي ؟ !!) .

فحكى (عاصم !!) قصته له ... في أنه كان يتعرض في العمل لمضايقات بسبب لحيته ... وكيف أنه كان يصلي على النبي ﷺ بكثرة حتى يفرج الله عنه هذا الكرب !!! وبعدما حكى (عاصم !!) قصته للجميع ... التفت الى السعودي وقال له : (وأنا أريد أن أسألك سؤالا : كيف تعرفت على رقمي ومن أين جئت به ؟ ! لأنني إلى الآن لا أعرف كيف توصلت إلى ؟ !).

فقال له السعودي : (إنني كل فترة أنزل إلى مصر لبعض الأعمال !! وكثيرا ما أؤجر شقة لأسكن فيها ومعظم الشقق التي كنت أنزل فيها ... كان التكييف فيها يتعطل في أقرب وقت .. وذات مرة نزلت في شقة .. ومكثت فيها فترة .. ولم يتعطل فيها التكييف .. فأعجبت بذلك ... ووجدت رقما

مكتوبا على التكييف ... فكتبته .. واحتفظت به منذ 3 سنوات ..... ولما احتجنا إلى رجل لتصليح التكييفات في شركتي ... اتصلت بالرقم المكتوب .. وأنا لا أعرفك !!) .

ثم التفت الرجل إلى (عاصم !!) وقال له : كل هؤلاء الذين أمامك الآن يا (عاصم !!) .. سيتم توزيعهم في مناطق مختلفة من المملكة ... ولن يجلسوا في مكة ولا المدينة ... وأنت من المفروض أن تكون معهم .... ولكن لكثرة حبك وصلاتك على الرسول ﷺ ... فسأعينك في شركتي في [فرع المدينة المنورة – بجانب مسجد رسول الله ﷺ !] حتى تتنعم بالصلاة في مسجده !! ثم التفت نحوي (عاصم !!) .... وقال لي بعد أن ذكر قصته العجيبة هذه : (فأنا الآن يا أخي سيف !! أجلس هنا في مدينة رسول الله ﷺ !! وآتي للصلاة في مسجده دوما !! وأتشرف بالسلام عليه عندما أدخل مسجده !! وهذا كله بفضل الله ؛ ثم ببركة الصلاة على رسول الله ﷺ !! فهي التي جعلها الله سببا في الإتيان بي إلى هنا !!).

قصص واقعية في رؤية النبي ﷺ في المنام

1/ عجوز مصرية ترى النبي ﷺ كل ليلة :

قصة يخشع لها القلب و يحن الفؤاد لرؤية الحبيب حدثت للشيخ محمد حسان و سأكتب القصة باللهجة المصرية نقلا عن لسان الشيخ، قال الشيخ:

في ام بعتتلي ابنها في درسي في المنصورة و قلي يا شيخ معلش سامحني أنا مكلف بكلمات أنقلهالك كده بنصها، قلتلو اتفضل يا ابني ، قلي أمي قُلتلي روح لمحمد حسان و قلو يا محمد يا حسان أمي منتظراك تيجي تزرها اليلة دي

قلتلو اتفضل و ذهبنا الى قرية متواضعة جدا و الى بيت مبني بالطوب اللبن

فوجدت امرأة تجاوزت 70 من عمرها ماشاء الله لا تغفل ثانية عن الصلاة على رسول الله صلى الله عليه و سلم تنظر اليك و ترحب بك ثم تعود الى الصلاة على رسول الله و تغيب في الصلاة على رسول الله فشعرت بضآلة شديدة الى جوار هذه الام الغالية الفاضلة فأنا بقلها يا امي انت بعتيلي و انا جيت قوليلي بقى ايه الي تاعبك ؟

و أنا انشاء الله بوعدك الأسبوع القادم أجيب اخ من اخواننا الاطباء في التخصص الي انت عاوزاه يجي يكشف عليكي و انت هنا

فنظرت كده و ابتسمت ابتسامة جميلة و قالتلي يا ابني أنا عارفه دائي و دوائي

فقلتلها ازاي فقالتلي أصلو سدنا النبي ماجانيش بقالو 3 ليالي، يا الله ،قلتلها ماجالكيش بقالو 3 ليالي؟هو بيجيلك كل ليلة؟قالت والله لو فات ليلة ماشفته أمرض ،فأنا بقالي 3 ليالي مريضة ماشفتش النبي صلى الله عليه و سلم.

2/ قال أحدهم : شفته جالس على جبل عارفه وكان لابس جلباب ابيض ووجه نور مكنتش عارفه ومن شدة النور سألت مين الي قاعد قالو الرسول صلى الله عليه وسلم رجعت أقول له ادعيلي يا رسول الله لقيته بيدعيلي واختفى بعدها وربنا أكرمني بعدها بالحج والعمره اللهم لك الحمد والشكر".

3/ قالت إحدى الفتيات : بنات أنا قبل كم سنة رأيت النبي محمد صلى الله عليه وسلم في منامي وكنا في حرب وكان الرسول هو قائد المعركة وأنا والصحابة رضوان الله عليهم خلفه نمشي وكنت أمشي متحمسة وبقوة أبغى أجاهد والمعركة كان لها اسم بس نسيته وقاتلنا الكفار وكان معاية سهم ارميه على الكفار وقعدنا نمشي واشوف الرسول عليه افضل الصلاة والتسليم قدامي ماشفت وجهه وانا والصحابة صف واحد وانا المرأة الوحيدة بينهم والله كان للجهاد سعادةغير طبيعية وبعدها الكفار واقفين على اثنين من اقاربي وكأنهم أموات وانا والرسول خلف صخرة نشوفهم اقول يارسول الله

شوفهم ماتوا قتلوهم الكفار قال ولاتحسبن الذين قتلوا في سبيل الله اموات وقعد يقولي احياء وانا اشوفهم اموات كنت احس بسعادة كبيرة وبعدها صحيت وانا اضحك من قوة السرور اللي فيني وتمنيت اكمل الرؤيا وحاولت ارجع انام اااه اجمل

4/ جاء في موقع الشبكة الإسلامية:

أنا امرأة في الثلاثين من عمري رأيت رسول الله عليه الصلاة والسلام خمس مرات في المنام في فترات متفاوتة، في المرة الأولى رأيته من الخلف وأعطيته سجادتي ليصلي عليها، في المرة.

الثانية رأيته : وجلست معه وتحدثنا طويلا وكنت أضع يدي على ركبته ووعدني بالجنة، وقال أنت في الجنة وذكر لي عددا لا يفوق المائة على يمينه وقبل أن يغادر قدم لي فتاة طويلة بثوب أبيض وقال هذه صاحبتك، ثم أشار إلى جدتي وقال هذه زوجتي.

وفي المرة الأخرى : كنت أجلس في مكان عرفت أنه الجنة وكنت أراه صلى الله عليه وسلم من الخلف.

ومرة أخرى : قابلته في قمة الجبل وأجلسني على كرسي من حجر الجبل وكنت خائفة لكنه طمأنني وقال لي هذا الكرسي لك .علما وأن هذه اللقاءات كانت مع الرسول عليه الصلاة والسلام منذ سنوات قبل أن أتزوج وأنجب بنتا وولدا، وكثيرا ما أحس ان ابنتي تشبه الفتاة التي قدمها لي رسول الله كصاحبة، وبيت الزوجية بني من حجارة الجبل وقرب الجبل .

صدقوني رأيت وجه رسول الله بكل دقة وأتذكره جيدا وأتذكر صفاته بكل دقة وأفرح كثيرا بهذه الصورة النبيلة التي حفرت في ذاكرتي حفرا.

5/ قال الشيخ محمود القلعاوي : قصة واقعية حدثتْ مع رجل في الكويت[10]؛ حيث يقول: بينما أنا نائم، إذ رأيت الرسول يقول لي: أخبر فلان بن فلان الفلاني أنه من أهل الجنة، فلما استيقظت وقد حفر اسم الرجل في ذاكرتي، لكني تعجبتُ من الأمر؛ لأني لا أعرف رجلاً بهذا الاسم، ولم أفعل

[10] – رفيق النبي في الجنة – محمود القلعاوي – شبكة الألوكة.

شيئًا لعدم معرفتي بالرجل، لكني كنتُ في ضيق؛ كوني لم أجدْ طريقة لتنفيذ أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم لأني أعلم أن رؤياه حق.

وفي ليلة تالية رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثانية، ورَدَّدَ عليَّ ما قال في الرؤيا الأولى: أخبر فلان بن فلان الفلاني أنه من أهل الجنة، استيقظتُ وبدأت أسأل وأتحرَّى أمر الرجل، بحثْتُ في دليل الهاتف، وسألْتُ الاستعلامات، بل طلبْتُ مِن بعض الإخوة في دوائر الأحوال المدنية أن يستطلعوا لي هذا الأمر، وكل محاولاتي باءت بالفشل.

ومرت أيام وأنا أُكْثِرُ من دعاء الله أن يعرفني بهذا الرجل، وكنت أُكثِر من الصلاة على النبي محمد صلى الله عليه وسلم ومرتْ أيام وأنا على هذا الحال، حتى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في رؤيا ثالثة يقول لي: أخبر فلان بن فلان الفلاني في مدينة الرياض وعنوانه كذا، أنه من أهل الجنة، لقد سرت عني هذه الرؤيا، ولم أَتَرَدَّد في السفر إلى الرياض؛ للبحث عن هذا الرجل المبارَك، ولما وصلْتُ العنوان، وسألت عن الرجل في حيِّه، دلَّني جيرانه عليه، طرقتُ بابه، ففتح لي رجل عادي المظهر، فسألتُه: أين أجد فلان بن فلان الفلاني؟ قال: أنا هو تفضل، قصصتُ على الرجل القصة، فأجْهَشَ في البكاء، وأَعْلَنَ توبة إلى الله مِن كلِّ الذنوب والمعاصي.

سألته: بالله عليك أخبرني بسرِّك، هل تقوم بعمل معين حتى تكون من أهل الجنة؟ فأطرق الرجل وقال بعد تردد: أقول لك على شرط: ألا تذكر اسمي بين الناس، فإنه لا يعلم سري إلا الله، فوافقت دون تردُّد.

قال لي: كان لي جارٌ له زوجةٌ وعيالٌ وتوفاه الله، وأنا رجلٌ موظفٌ لكني أشعر بحاجة هذه العائلة، فأُقَسِّم راتبي إلى نصفين، أعطيهم نصفه دون أن يعرفوا مَن الذي ينفق عليهم، ولا يعلم أحدٌ بهذا، حتى زوجتي.

عندها عرفت السرَّ، فإن هذا الرجل كان مخلصًا وصادقًا في كفالة هؤلاء الأيتام، وأنفق مِن أعز مالِه مع قِلَّتِه، فاستحق أن يكون رفيق رسول الله في الجنة.

الرسالة الثالثة عشرة

مِمَّا يُشوِّقُكَ إِلِيهِ ﷺ عِلمُكَ

أنَّ مَحبَّتَه ﷺ سعادةَ الدُّنيا ونجاةَ الآخرةِ

وستقرأ فيها:

- قبس من الشعر.
- مفهوم محبة رسول الله ﷺ ؟
- ما هي دلائل محبته صلى الله عليه وسلم ؟
- من ثمار محبته صلى الله عليه وسلم.

قبس من الشعر

قال شاعر محب:

بأبي وأمي أنت يا خير الوَرى وصلاة ربي والسلام مُعطرا

يا خاتمَ الرسل الكِرام محمد بالوحي والقرآن كنتَ مُطهرَا

لك يا رسول الله صدق محبة وبفيضها شهِد اللسان وعبَّرا

لك يا رسول الله صِدق محبة فاقت محبة من على وجه الثَّرى

لك يا رسول الله صدق محبة لا تنتهي أبدًا ولن تتغيَّرا

وقال محب آخر :

أعميت عيني عن الدنيا وزينتها فأنت والروح شيء غير مفترق

إذا ذكرتك وافى مقلتي أرق من أول الليل حتى مطلع الفلق

وما تطابقت الأجفان عن سنةٍ إلا وإنك بين الجفن والحدق

مفهوم محبة رسول الله ﷺ[11]

إن ذلك المفهوم يعني أن يميل قلب المسلم إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ميلاً يتجلَّى فيه إيثاره – صلى الله عليه وسلم – على كل محبوب من نفس ووالد وولدٍ، والناس أجمعين؛ وذلك لما

[11] – محبة النبي صلى الله عليه وسلم (سعادة الدنيا ونجاة الآخرة) – الشيخ محمد كامل السيد رباح – شبكة الألوكة.

خصه الله من كريم الخصال وعظيم الشمائل، وما أجراه على يديه من صنوف الخير والبركات لأُمته، وما امتنَّ الله على العباد ببعثته ورسالته.

وبالجملة، فأصل المحبة الميل إلى ما يوافق المُحب، ثم الميل قد يكون لما يستلذه الإنسان ويستحسنه؛ كحب الصورة والصوت، والطعام ونحوها، وقد يستلذه بعقله للمعاني الباطنة؛ كحب الصالحين والعلماء، وأهل الفضل مطلقًا، وهذه المعاني كلها موجودة في النبي – صلى الله عليه وسلم – لما جمع من جمال الظاهر والباطن، وكمال خصال الجلال، وأنواع الفضائل، وإحسانه إلى جميع المسلمين بهدايته إيَّاهم إلى الصراط المستقيم، ودوَام النِّعم والإبعاد من الجحيم.

فنحن نتعلق ونرتبط برسول الله – صلى الله عليه وسلم – من جوانب شتى، في جانب العقل معرفةً وعلمًا، نقرأ ونحفظ سيرته وحديثه، وهديه وسنته، والواجب منها والمندوب منها، ونحو ذلك، ومحبة بالقلب، وهي عاطفة مشبوبة، ومشاعر جيَّاشة، ومحبة متدفقة، وميلٌ عاصف تتعلق به النفس والقلب برسول الله – صلى الله عليه وسلم – لما فيه من المعاني الحسية والمعنوية.

ثم محبة بالجوارح تترجم فيها المحبة إلى الاتِّباع لسنته وعمله، وفعله – عليه الصلاة والسلام – فلا يمكن أن نقول: إن المحبة اتِّباعٌ فحسب، فأين مشاعر القلب؟ ولا يصلح أن نقول: إنها الحب والعاطفة الجياشة، فأين صدق الاتِّباع؟ ولا ينفع هذا وهذا! فأين المعرفة والعلم التي يؤسس بها من فقه سيرته وهدْيه وأحواله – عليه الصلاة والسلام؟!

لذا فنحن نرتبط في هذه المحبة بالقلب والنفس، وبالعقل والفكر، وبسائر الجوارح والأحوال والأعمال، فتكمُل حينئذٍ المحبة؛ لتكون هي المحبة الصادقة الخالصة الحقيقية العملية الباطنية، فتكتمل من كل جوانبها؛ لنؤدي بعض حقِّ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – علينا.

وحبُّ المسلم لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – عمل قلبيّ من أجَلِّ أعمال القلوب، وأمر وجداني يجده المسلم في قلبه، وعاطفة طيبة تجيش بها نفسه، وإن تفاوَتت درجة الشعور بهذا الحب؛ تبعًا لقوة الإيمان، أو ضَعفه.

وقال الإمام ابن القيم في نويته:

شرطُ المحبةِ أن توافِقَ مَنْ تحبَّ على محبَّته بلا عِصيانِ

فإذا ادَّعيتَ له المحبةَ مع خلافِكَ ما يُحبُّ فأنت ذو بُهتانِ

أتحبُّ أعداء الحبيب وتدَّعي حُبًّا له ما ذاك في إمكان

وكذا تُعادي جَاهدًا أَحبَابَه أين المحبَّةُ يا أخا الشيطانِ

واعلم أن الله تعالى أوجب علينا محبة نبيه – صلى الله عليه وسلم – وتوعَّد المخالف في ذلك بقوله: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: 24].

وكل هذه المذكورات في الآية جُبِل المرء على محبتها، وليس المراد تحجير هذا أو ذمّ من قام به، وإنما المراد من الآية ذمُّ من قدَّم حبها على حب الله ورسوله والجهاد في سبيله؛ فإن حبَّها مركوز في نفوسنا، ومن الأدلة القرآنية على وجوب تقديم حب النبي صلى الله عليه وسلم على كل محبوب: قول الله تعالى: ﴿النبِي أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ [الأحزاب: 6].

يقول ابن القيم – رحمه الله – في "روضة المحبين" (276/1): "قال الله تعالى: ﴿النبِي أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾، ولا يتم لهم مقام الإيمان، حتى يكون الرسول أحب إليهم من أنفسهم، فضلاً عن أبنائهم وآبائهم".

وأما الأدلة من السنة، فمنها ما رواه أبو هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: (لا يؤمن أحدكم حتى أكونَ أحبَّ إليه من والده وولده، والناس أجمعين).

فهذا الحديث من أوضح الأدلة على وجوب محبة الرسول – صلى الله عليه وسلم – لأن المؤمن لا يستحق اسم الإيمان الكامل، ولا يدخل في عداد الناجين؛ حتى يكون الرسول – صلى الله عليه وسلم – أحبَّ إليه من والده وولده والناس أجمعين، ومعنى ذلك ومن لوازمه أن تكون أوامر الرسول – صلى الله عليه وسلم – ونواهيه مقدمة على كل الأوامر والنواهي، فالحب القلبي يَستلزم الاتباع والانقياد في الظاهر، فإذا كانت هناك محبة فعلية، نتَج عنها محبة كلام النبي – صلى الله عليه وسلم – وتقديمه على كل أحد، وجعل أوامره ونواهيه نُصب عينه طيلة الوقت والعمر، فيعرفه في جميع أوقاته، ويعيش معه في كل حركاته وسكناته، ويرى أن سُنته وهدْيه ألذَّ إليه من كل شيء.

ما هي دلائل محبته صلى الله عليه وسلم ؟

1– تقديم النبي صلى الله عليه وسلم على كل أحد من الخلق، قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: 1].

2- سلوك الأدب معه صلى الله عليه وسلم ويتحقق بأمور؛ منها:

• الثناء عليه؛ والصلاة والسلام عليه؛ لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: 56].

• وأيضًا من الأدب معه صلى الله عليه وسلم التأدبُ عند ذكره؛ بأن لا يذكره مجرد الاسم؛ بل مقرونا بالنبوة أو الرسالة؛ قال تعالى: ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ﴾ [النور: 63] قال سعيد بن جبير ومجاهد: المعنى قولوا: يا رسول الله؛ في رفق ولين، ولا تقولوا يا محمد بتجهم. وقال قتادة: أَمَرَهم أن يُشَرِّفوه ويُفَخِّموه.

• وأيضًا من الأدب معه صلى الله عليه وسلم توقيرُ حديثه؛ والتأدبُ عند سماعه وعند دراسته؛ كما كان يفعل سلفُ الأمة وعلماؤها في إجلال حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهو صلى الله عليه وسلم ما ينطق عن الهوى؛ إن هو إلا وحي يوحى؛ فمقام حديثه مقام عظيم، فالسنة قرينة القرآن في بيان دين الله؛ بل هي المبينة لما أجمل في القرآن، قال صلى الله عليه وسلم : ((ألا إني أوتيت القرآنَ ومثلَه معه)) رواه الإمام أحمد في مسنده.

3- من علامات محبة النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه وتصديقُه صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به وعدمُ التردِدِ في ذلك، وهذا من أصول الإيمان وركائزه العظام، فهو عليه الصلاة والسلام يخبر بما أوحى الله إليه.

4- اتّباعُه صلى الله عليه وسلم وطاعتُه والاهتداءُ بهديه؛ فطاعة الرسول هي العلامة البارزة لمحبته صلى الله عليه وسلم؛ بل ومحبة رب العالمين، ولهذا قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل عمران: 31]، إن الاقتداء به صلى الله عليه وسلم من أكبر العلامات على حبه: قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: 21]؛ فالمؤمنُ الذي يحبُّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم هو الذي

يتأسى به في كل شيء؛ في عبادته وفي أخلاقه وفي سلوكه وآدابه؛ وفي سائر تعاملاته مع الآخرين. ولذلك فنقول: إنّ مَن يحتفل بمولده صلى الله عليه وسلم أو بهجرته أو بإسرائه لم يبرهنوا على دعواهم محبةَ النبي صلى الله عليه وسلم ، بل فعلُهم هذا يثبت ضعفَ محبتهم للنبي صلى الله عليه وسلم ، لأنهم يخالفون سنته وهديه ويبتدعون في دين الله. وعلامة المحبة الصادقة له صلى الله عليه وسلم اتباع هديه وسنته وما جاء به.

وكما قال ابن الجوزي مستشهدًا بقول مجنون ليلى:

إذا قيل للمجنون: ليلى تريد أم الدنيا وما في طواياها

لقال: غبار من تراب نعالها أحبُّ إلى نفسي وأشفى لبلواها

قال ابن الجوزي: "وهذا مذهب المحبين بلا خلاف، فكل محبٍّ يكون أدنى شيء من محبوبة أعظم إليه من كل شيء في دنياه، فكان أدنى شيء من الله، ومن رسوله أعظم وأحب إلى كل مؤمن من كل شيء في دنياه".

5- من علامات محبته صلى الله عليه وسلم : عدم الرضا بالإساءة إليه، حدث ابن عباس – رضي الله عنهما – أن أعمى كانت له أم ولد تشتم النبي – صلى الله عليه وسلم – وتقع فيه، فينهاها، فلا تنتهي، ويزجرها، فلا تنزجر، قال: فلما كانت ذات ليلة جعلت تقع في النبي – صلى الله عليه وسلم – وتشتمه، فأخذ المغول فوضعه في بطنها، واتّكأ عليها فقتَلها، فوقع بين رجليها طفلٌ، فلطخت ما هناك بالدم، فلما أصبح ذكر ذلك لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – فجمع الناس، فقال: ((أنشد الله رجلا فعل ما فعل لي عليه حق، إلا قام))، فقام الأعمى يتخطى الناس وهو يتزلزل حتى قعد بين يدي النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال: يا رسول الله، أنا صاحبها، كانت تشتمك وتقع فيك، فأنهاها فلا تنتهي، وأزجرها فلا تنزجر، ولي منها ابنان مثل اللؤلؤتين، وكانت بي رفيقةً، فلما

كان البارحة، جعلت تشتمك وتقع فيك، فأخذت المغول فوضعته في بطنها واتَّكأت عليها حتى قتلتها، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم –: ((ألا اشهدوا أن دمها هدرٌ))؛ رواه أبو داود، والنسائي.

6– الدفاع عنه صلى الله عليه وسلم ونصرتُه، وقد سطَّر الصحابةُ أروعَ الأمثلةِ وأصدقَ الأعمالِ في الدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفدائه بالأموال والأولاد والأنفس. والدفاع عن النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته أنواع؛ نذكر منها:

1– نصرة دعوتِه ورسالتِه بكل ما يملك المرء من مال ونفس وجهد ووقت....

2– بالدفاع عن سنته صلى الله عليه وسلم : بحفظها وتنقيحها وحمايتها ورد الشبهات عنها.

3– بنشر سنته صلى الله عليه وسلم وتبليغها. قال صلى الله عليه وسلم : (نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها)، وقال صلى الله عليه وسلم : (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثلُ أجور من تبعه)؛ ولا شك أن خير الهدي هدي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . أقول ما سمعتم وأستغفر الله..

7/ محبة أصحابه وأهل بيته وإعمال وصيَّته – صلى الله عليه وسلم – فيهم، وليس من شك أن الطعن فيهم والنيل منهم، نيلٌ وطعن في النبي – صلى الله عليه وسلم – فالمرء على دين خليله؛ ولذا فإن العقل لا يمكن أن يتصور محبًّا صادقًا للنبي – صلى الله عليه وسلم – قاليًا مبغضًا لأصحابه وآل بيته.

وآل بيته هم آل علي، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل عباس هؤلاء حرموا الصدقة بعد النبي – صلى الله عليه وسلم – فهم آله، والحديث أخرجه مسلم في صحيحه، والأحاديث في هذا كثيرة، ولها دلالات عظيمة؛ ولذلك ذكر أهل العلم في هذا المعنى أقوالاً كثيرةً، وقال ابن تيمية – رحمه الله –: وآل محمد – صلى الله عليه وسلم – هم الذين حُرِّمت عليهم الصدقة"، وهكذا قال الشافعي وأحمد بن حنبل، وغيره من العلماء، والأحاديث في فضله مبسوطة؛ كما هو في نساء النبي في آله؛

كما في قوله – جل وعلا –: ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ [الأحزاب: 32]، وكما في قوله: ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾ [الأحزاب: 6]، وكما في قوله – عز وجل –: ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا ﴾ [الأحزاب: 53].

فال أبو زرعة الرازي في وصفه وكلامه على معتقد أهل السنة والجماعة: إذا رأيت الرجل ينتقص أحدًا من أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول حق، والقرآن حق، وما جاء به حق، وإنما أدَّى إلينا ذلك كله الصحابة، وهؤلاء يريدون أن يجرحوا شهودنا؛ ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة.

ومن دلائل محبَّته تمنِّي رؤيته – صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ – والشوق إلى لقائِه، وسؤال الله اللَّحاق به على الإيمان، وأن يجمَعَ الله بينه وبين حبيبِه ونبيِّه – صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ – في مُستقَر رحمته.

أخرج مسلمٌ في "صحيحه" عن أبي هريرة – رضي الله عنه –، أن رسول الله – صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ – قال: «مِن أشدِّ أمَّتي لي حبًّا: ناسٌ يَكونونَ بَعدي، يودُّ أحدُهُم لَو رآني بأَهْلِهِ ومالِهِ».

من ثمار محبته صلى الله عليه وسلم

يا حادِيَ العِيسِ يَمِّمْ حَيَّ ذِي سَلَمِ وَاهدِ القَوَافِيْ إلى مَنْ حُبُّهمْ بدَمِي

إنْ ضاعَ دَرْبُ الهَوى والعَينُ في سَقَمِ فاركَبْ نَسِيماً أتى منْ رَوضَةِ الحَرَمِ

أَرضٌ بِها مِنْ رِياضِ الخلدِ مُقتطَفٌ بِالنُّورِ يَزهُو، وحُسنٌ طابَ مِنْ أَكَمِ

هلْ تَسأَلُونِيْ عَنِ الأَشواقِ وَالعَلَمِ؟ أمْ عَنْ دُموعِيْ وَمَدحِي سَيِّد الأُمَمِ؟

ما أُشرِكَتْ في مَدِيحِ المُصطَفَى مُهَجٌ بَلْ لا إلهَ سِوَى الرَّحمنِ في النُّظُمِ

لكِنَّ ربِّي أَحبَّ المُصطفى وَدَعا صَلُّوا وَأَثنُوا، وَحُبُّ اللهِ ذُو قِدَمِ

محبته صلى الله عليه وسلم سبب لدخول الجنة ومرافقة النبي – صلى الله عليه وسلم – فقد سأل النبي صلى الله عليه وسلم رجلٌ فقال: متى الساعة؟ قال: (وماذا أعددتَ لها؟)، قال: لا شيء، إلا أني أحب الله ورسوله، فقال: (أنت مع مَن أحببت)؛ متفق عليه.

فهل من ثواب أرجى من أن يُحشر المرء مع من أحب، خاصة إذا كان المحبوب هو المصطفى – صلى الله عليه وسلم؟!

قال شهاب الدين الخفاجي – رحمه الله تعالى –:

وحق المصطفى لي فيه حب إذا مرض الرجاء يكون طبَّا

ولا أرضى سوى الفردوس مأوى إذا كان الفتى مع مَن أحبَّا

محبته صلى الله عليه وسلم وذكره سبب في تفريج للهموم والكروب وصلاح للحال، وغفران للذنوب، وتكفير للسيئات، ففي حديث أبي بن كعب: أجعل صلاتي لك كلها – (أي: اجعل الدعاء كله صلاة عليك) – فقال له النبي – صلى الله عليه وسلم –: (إذًا تُكفى همَّك، ويُغفر ذنبك)؛ رواه الترمذي.

المحبة تبعث في النفس السكينة، وتُعمق الاحساس بالرضا، وتعين في مواصلة الدعوة وتحمُّل الصعاب والشدائد في سبيلها؛ وذلك اقتداءً بالمحبوب – عليه الصلاة والسلام – فمحبة النبي – صلى الله عليه وسلم – تُورث الحياة الطيبة؛ لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: 24].

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: 157].

ومن ثمرات محبة النبي صلى الله عليه وسلم، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يبادلك حباً بحب، وذلك لقوله تعالى: {هَلْ جَزَاء الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَان}. فرسول الله صلى الله عليه وسلم من وفائه أن يبادل الحب بالحب، حتى لو كان المحب جماداً.

يقول زيد بن ثابت: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ– يَوْمَ أُحُدٍ لِطَلَبِ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ، وَقَالَ لِي: " إِنْ رَأَيْتَهُ فَأَقْرِئْهُ مِنِّي السَّلامَ، وَقُلْ لَهُ: يَقُولُ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ: كَيْفَ تَجِدُكَ؟" قَالَ: فَجَعَلْتُ أَطُوفُ بَيْنَ الْقَتْلَى فَأَصَبْتُهُ وَهُوَ فِي آخِرِ رَمَقٍ وَبِهِ سَبْعُونَ ضَرْبَةً مَا بَيْنَ طَعْنَةٍ بِرُمْحٍ وَضَرْبَةٍ بِسَيْفٍ وَرَمْيَةٍ بِسَهْمٍ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا سَعْدُ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلامَ، وَيَقُولُ لَكَ: "خَبِّرْنِي كَيْفَ تَجِدُكَ؟" قَالَ: عَلَى رَسُولِ اللَّهِ السَّلامُ، وَعَلَيْكَ السَّلامُ، قُلْ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَجِدُنِي

أَجِدُ رِيحَ الْجَنَّةِ، وَقُلْ لِقَوْمِي الأَنْصَارِ: (لا عُذْرَ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْ يَخْلُصَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ– وَفِيكُمْ شُفْرٌ يَطْرِفُ)، قَالَ: وَفَاضَتْ نَفْسُهُ –رَحِمَهُ اللَّهُ ورضي الله عنه وأرضاه–.

فانظروا بارك الله فيكم كيف لم يبقَ بينه وبين الحياة إلا لحظات ففيما فكَّر وشغل باله وبماذا أوصى قومه ودار في خياله.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنهما قَالَ: (أَقْبَلْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ سَفَرٍ مِنْ بَعْضِ أَسْفَارِهِ فَلَمَّا بَدَا لَنَا أُحُدٌ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ) رواه مسلم. فإذا كان الجماد أحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبادله رسول الله صلى الله عليه وسلم حباً بحبٍّ، فكيف بالإنسان المكرَّم عند الله عز وجل، وخاصة المؤمن إذا أحب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ لا شك يبادله رسول الله صلى الله عليه وسلم حباً بحب، وأثر المحبة سوف يكون ظاهراً على المؤمن.

ومن ثمرات محبته صلى الله عليه وسلم أن تكون محبوباً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن كان محبوباً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم كان محبوباً عند الله عز وجل، ومن أحبه الله تعالى لا يعذبه الله تعالى ؛ ويستأنس لذلك من خلال قوله تعالى عن اليهود والنصارى: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاء اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاء وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاء وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِير). فالمحبوب ذنبه مغفور بإذن الله تعالى.

ومن ثمرات محبته صلى الله عليه وسلم أنك تذوق حلاوة الإيمان، كما جاء في الحديث الصحيح المتفق عليه عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلاوَةَ الإِيمَانِ، مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لا يُحِبُّهُ إِلا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ) رواه مسلم.

ومن ذاق حلاوة الإيمان هان عليه فعل الطاعات وصعب عليه فعل المعاصي والمنكرات، ومن ذاق حلاوة الإيمان كان شاكراً عند الرخاء صابراً عند البلاء راضياً بِمُرِّ القضاء، ومن ذاق حلاوة الإيمان علم أن كلَّ قضاء وقدر من الله تعالى هو لمصلحة العبد، وعندها يعرف حقيقة قولِ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ) رواه مسلم. وهذا هو أسعد الناس بإذن الله تعالى.

ومن ثمرات محبة النبي صلى الله عليه وسلم أن تكون في معيته يوم القيامة، كما جاء في الحديث الصحيح عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: (بَيْنَمَا أَنَا وَرَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَارِجَيْنِ مِنْ الْمَسْجِدِ فَلَقِينَا رَجُلاً عِنْدَ سُدَّةِ الْمَسْجِدِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟ قَالَ: فَكَأَنَّ الرَّجُلَ اسْتَكَانَ ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ الله مَا أَعْدَدْتُ لَهَا كَبِيرَ صَلَاةٍ وَلا صِيَامٍ وَلا صَدَقَةٍ، وَلَكِنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، قَالَ: فَأَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ) رواه مسلم.

وقد أحسن الشاعر[12]:

حُبُّ الحَبِيبِ وَنُورِهِ أَغْرَانِي ... وَانْسَابَ يَغْمُرُ بِالرِّضَا وِجْدَانِي

نَشَرَ الضِّيَاءَ عَلَى الحُرُوفِ فَأَيْنَعَتْ ... وَتَأَلَّقَتْ فِي ثَوْبِهَا الفَتَّانِ

هَبَّتْ عَلَيْهَا نَفْحَةٌ مِنْ عِطْرِهِ ... فَاقَتْ أَرِيجَ المِسْكِ وَالرَّيْحَانِ

ذِكْرَاهُ فَيْضُ جَلالِهَا أَهْدَى لَهَا ... تَاجًا مِنَ اليَاقُوتِ وَالمَرْجَانِ

فَهَتَفْتُ مِنْ فَرْطِ انْتِشَاءِ جَوَارِحِي: ... يَا مُلْهِمَ الأَشْعَارِ وَالأَوْزَانِ

لَوْلاكَ مَا طَافَ القَرِيضُ بِخَاطِرِي ... زِدْنِي وَزَيِّنْ بِالسَّنَا أَلْحَانِي

[12] – جزء من قصيدة بعنوان : لمحات من حياة الرسول (سيرة شعرية) – للشاعر : وحيد حامد الدهشان.

حَتَّى أَطُوفَ عَلَى رِيَاضِ المُصْطَفَى أَسْتَافُ عِطْرَ الزَّهْرِ فِي البُسْتَانِ

وَأَبُثُّ أَبْيَاتَ القَصِيدِ مَشَاعِرِي وَخَوَاطِرِي فِي سِيرَةِ العَدْنَانِ

فَالشِّعْرُ فِيهِ عِبَادَةٌ وَأَنَا الَّذِي أَحْبَبْتُ فِيهِ يَرَاعَتِي وَبَيَانِي

مِنْ أَيْنَ تَلْتَقِطُ القَصِيدَةُ خَيْطَهَا وَلأَيِّ أَوْجٍ تَنْتَهِي وَمَعَانِ

يَا يَوْمَ أَنْ وُلِدَ الحَبِيبُ فَأَشْرَقَتْ شَمْسُ الهِدَايَةِ فِي ذُرَا الأَكْوَانِ

وَتَفَجَّرَتْ فِي الكَوْنِ آيَاتٌ تَشِي بِقُدُومِهِ فَلْيَشْهَدِ الثَّقَلانِ

غَاضَتْ بُحَيْرَةُ (سَاوَةٍ) وَتَرَنَّحَتْ حَوْلَ البُحَيْرَةِ دَوْلَةُ الصُّلْبَانِ

أَمَّا المَجُوسُ فَنَارُهُمْ قَدْ أُخْمِدَتْ كِسْرَى غَدَا مُتَصَدِّعَ الإِيوَانِ

لِلحَقِّ نُورٌ لا يُقَاوَمُ فَانْظُرِي وَتَعَلَّمِي يَا أُمَّةَ القُرْآنِ

وَإِذَا تَبَاشِيرُ الضِّيَاءِ تَبَسَّمَتْ سَقَطَ الدُّجَى مُتَهَدِّمَ الجُدْرَانِ

ثم قال في ختامها :

يَا سَيِّدِي هَذِي خَوَاطِرُ شَاعِرٍ يَحْيَا بِعَصْرِ الزُّورِ وَالبُهْتَانِ

يَا سَيِّدِي أَنَا وَاحِدٌ مِنْ أُمَّةٍ تَسْعَى إِلَى دَوَّامَةِ النِّسْيَانِ

وَرَأَيْتُ سِيرَتَكَ الزَّكِيَّةَ قِمَّةً يَحْبُو عَلَى أَعْتَابِهَا تِبْيَانِي

فَرَجَوْتُ أَنْ أُجْزَى بِخَالِصِ نِيَّتِي يَوْمَ الوُقُوفِ بِسَاحَةِ الدَّيَّانِ

يَا رَبِّ فَاجْعَلْهَا لَدَيْكَ وَدِيعَةً مَذْخُورَةً لِلشَّاعِرِ الدَّهْشَانِ

يَا رَبِّ وَاجْعَلْنِي بِقُرْبِ حَبِيبِنَا مُتَنَعِّمًا بِالحُورِ وَالوِلْدَانِ

وَانْصُرْ بِفَضْلِكَ أُمَّتِي وَارْفَعْ بِنَا فِي كُلِّ وَادٍ رَايَةَ القُرْآنِ

الرسالة الرابعة عشرة

اطَّلاعُكَ على تَفضِيلِ اللهِ لَه ﷺ على الْعَالمينَ

سَيمْلَأُ قلبَكَ حبّاً وشَوقاً لرؤيتِهِ ﷺ

ستقرأ فيها.

- **مدخل.**
- **إشارات طفيفة في تفضيل الله تعالى النبي ﷺ على جميع الأنبياء والمرسلين عليهم السلام.**

- مما فضل الله به نبيه ﷺ على سيدنا إبراهيم الخليل ﷺ.
- مما فضل الله به نبيه ﷺ على سيدنا موسى عليه السلام.
- مما فضل الله به نبيه ﷺ على سيدنا موسى عليه السلام.
- لا أحد يطيق حصر فضائله ولا عد مناقبه ﷺ.
- وما أجمله من شعر في هذا المقام للبرعي اليماني.

مدخل[13]

اعلم أن التفضيل إنما يكون إذا ثبت للفاضل من الخصائص ما لا يوجد للمفضول مثلُه, فإذا استويا في أسباب الفضل وانفرد أحدهما بخصائص لم يَشْرَكْه فيها الآخر كان أفضل منه, وأمَّا ما كان مشتركاً بين الرجل وغيره من المحاسن فتلك مناقب وفضائل ومآثر لكن لا تُوجب تفضيله على غيره إذا كانت مشتركة ليست من خصائصه, وإذا اتَّحدت الفضيلتان فكانتا من جنسٍ واحد لكن كانت إحداهما أكمل من الأخرى وأعظم أو أعجب أو أبلغ فلا ريب أنَّ صاحب ذلك أفضل في ذلك, والنبي ﷺ قد امتاز عن غيره بأمور لم يشركه فيها غيرُه وشارك غيرَه في أمور كثيرة على الوجه الأكمل فظهرت مزيَّته على مزية غيره وفضيلتُه على مَن عداه.... هذه ناحية.

والناحية الأخرى :إنّ الله عظّم شأن النبي – صلى الله عليه وسلم – في آيتين أعلمه فيهما رضاه عنه وأعطاه سؤله ومناه من غير سؤال منه ولا رغبة تقدمت منه فقال تعالى: (قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا) [البقرة ١٤٤] .

[13] – جميع ما في هذه الرسالة مقتبس من كتاب : خصائص سيد العالمين وما له من المناقب العجائب على جميع الأنبياء عليهم السلام – تأليف العلامة جمال الدين يوسف بن محمد بن مسعود بن محمد بن علي السُّرَّمَرِّي – (بتصرف).

وقال تعالى في الآية الأخرى: (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى) [الضُّحى: ٥] فمنحه رضاه وأعطاه مُناه في جميع ما يهواه ويتمنّاه, وغيرُه من الأنبياء عليهم السلام سألوا وطلبوا رضى مولاهم؛ وفي حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (لما أنزلت هذه الآية: (تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ) [الأحزاب ٥١] قلتُ: ما أرى ربّك إلا يسارع في هواك).

وخصه مع الرضى بالرحمة والرأفة فقال: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ) [آل عمران: ١٥٩] وكان رقيق القلب, وأمر الله تعالى موسى – عليه السلام – بالملاينة لفرعون لما كان فيه من الفظاظة والغلظة وقال له ولأخيه: {فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا} [طه ٤٤] , وذكر عن محمّد – صلى الله عليه وسلم – الملاينة والرأفة وأمره بضدّها فقال: {وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ} [التوبة ٧٣] وإنّ لكلّ مقام مقالاً, والذي اشتهر من حال موسى عليه الصلاة والسلام الحدّة وقلة التماسك عند ورود الملمات عليه كما فعل في إلقاء الألواح وفي أخذه برأس أخيه ولحيته وجرّه إليه ؛ ومحمد – صلى الله عليه وسلم – بُولغ في أذاه وفي خِلافه وعداوته حتى ألقوا على ظهره السَّلا والفرث والدّم وهو ساجد, وضربوه حتّى أدموه إلى غير ذلك من أصناف الأذى فعلاً وقولاً, فقال: (اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون) فكان عاقبة الصّبر النصر وأثنى الله تعالى عليه – صلى الله عليه وسلم – في سَعَةِ خُلقه وحسن سيرته وجميل صبره فقال: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم: ٤] ؛ وأما شوقهُ – صلى الله عليه وسلم – إلى ربّه تعالى ولقائه فإنّه حين جاءه نصر الله والفتح ودخل الناس في دين الله أفواجاً, وأكمل له الدّين وأتم عليه النعمة وكان العيش عند ذلك مطلوباً وطول البقاء في الدنيا محبوباً مَرِض فَخُيّر بين الحياة وبين لقاء رَبّه, فاختار لقاء ربّه ولم يزل يقول: الرفيق الأعلى حتى قُبض صلى الله عليه وسلم.

إشارات طفيفة في تفضيل الله تعالى

النبي ﷺ على جميع الأنبياء والمرسلين عليهم السلام

من خصائصه ﷺ التي فُضِّل بها على جميع الأنبياء والمرسلين عليهم السلام أنه أُرسِل إلى جميع الخلق أسودهم وأحمرهم وجنّهم وإنسهم.

وأن الله تعالى أخذ العهد على جميع النبيين لئن بُعث وهم أحياء ليؤمننَّ به ولينصرنَّه، وخَتم به النَّبيّين وجعل أمَّته خير أمة أُخرجت للناس وآتاه السبعَ المثاني والقرآن العظيم وأُسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم عُرج به إلى فوق سبع سماوات وإلى سدرة المنتهى وإلى ما شاء الله تعالى مما فوق ذلك.

وآتاه الله تعالى من الكرامات والمزايا الكريمة والعطايا العظيمة ممَّا فاق به عليهم من الآيات البيّنات والمفاخر الظاهرات؛ فمن ذلك: أولو العزم من الرسل وهم خمسة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم ومحمد صلى الله عليهم وسلم, فسيدنا محمد ﷺ آخرهم بعْثاً وأوّلهم في الذّكْر والفضيلة قال الله تعالى: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا) [الأحزاب: ٧] .

ولهذا قال بعض العلماء : كل معجزة وفضيلة ومنقبة حصلت للأنبياء فبكمال نبوّتهم, وكمال نبوتهم كان بالإيمان به ﷺ والإقرار برسالته والعزم على نصره لو خرج وهم أحياء, وبذلك أخَذ الله عليهم الميثاق والعهد في قوله تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ) [آل عمران: ٨١].

ومِمّا فضله الله تعالى به ﷺ على سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام:

فمن ذلك ما روى البخاري من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنّ النبي ﷺ قال: (أُعطيتُ خمساً لم يُعطَهُن أحد قبلي: نُصرت بالرعب مسيرة شهر, وجُعلَتْ لي الأرضُ مسجداً وطَهُوراً فأيّما رجلٍ من أُمّتي أدركَتْه الصَّلاة فليُصلّ, وأُحِلَّتْ لي الغنائم ولم تحلّ لأحد قبلي, وأُعطِيتُ الشّفاعةَ, وكان النّبيّ يُبعث إلى قومه خاصّةً وبُعِثتُ إلى النّاس عامّة).

وروى البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أنا سيد الناس يوم القيامة, وهل تدرون لم ذلك؟ يجمع الله الأوّلين والآخرين في صعيد واحد وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون فيقول بعضهم لبعض: ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم – عز وجل –؟ فيقولون: آدم – فذكر حديث الشفاعة وتدافع الأنبياء عليهم السلام أمرها وكلٌ يقول: لست لها – حتى يأتوني فأقول: أنا لها) والحديث مشهور معروف في الصحاح وغيرها.

ففي هذا الحديث احتياج الخلق كلّهم إليه يوم القيامة, وتقدمه على جميع الأنبياء صلى الله عليهم وسلم وأنه إذا قام يشفع فيقال له: (سل تعط واشفع تشفع) وليست هذه الرتبة لغيره.

وروى الترمذي من حديث أنس – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: (أنا أوّل الناس خروجاً إذا بُعثوا وأنا خطيبهم إذا وفدوا وأنا مبشّرهم إذا يَئسوا وأنا أكرم ولد على آدم على ربّي ولا فخر» وفي روايةٍ له أنه قال: «أنا أكرم الأوّلين والآخرين على الله – عز وجل – ولا فخر).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (جَلَسَ ناسٌ مِن أصْحابِ النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يَنْتَظِرونَه فخَرَجَ، حتَّى إذا دَنا مِنهم سَمِعَهم يَتَذاكَرونَ، فتَسَمَّعَ حَديثَهم، فإذا بعضُهم يقولُ: عَجَبًا، إنَّ اللهَ اتَّخَذَ مِن خَلْقِه خَليلًا، فإبْراهيمُ خَليلُه، وقالَ آخَرُ: ماذا بأَعجَبَ مِن أن كَلَّمَ اللهُ موسى تَكْليمًا، وقالَ آخَرُ: فعيسى كَلِمةُ اللهِ ورُوحُه، وقالَ آخَرُ: وآدَمُ اصْطَفاه اللهُ، فخَرَجَ عليهم فسلَّمَ، وقالَ: قد سَمِعْتُ كَلامَكم وعَجَبَكم، إنَّ إبْراهيمَ خَليلُ اللهِ وهو كذلك، وموسى نَجِيُّه وهو كذلك، وعيسى رُوحُه وكَلِمتُه وهو كذلك، وآدَمُ اصْطَفاه اللهُ وهو كذلك، أَلَا وأنا حَبيبُ اللهِ ولا فَخْرَ، وأنا حامِلُ لَواءِ الحَمْدِ يَوْمَ القِيامةِ، تحتَه آدَمُ ومَن دونَه ولا فَخْرَ، وأنا أوَّلُ شافِعٍ وأوَّلُ مُشَفَّعٍ يَوْمَ القِيامةِ ولا فَخْرَ، وأنا أوَّلُ مَن يُحَرِّكُ حَلَقَ الجَنَّةِ ولا فَخْرَ، فيَفتَحُ اللهُ لي فيُدخِلُنيها ومعي فُقَراءُ المُؤمِنينَ ولا فَخْرَ، وأنا أَكرَمُ الأوَّلينَ والآخِرينَ على اللهِ ولا فَخْرَ) أخرجه الترمذي (3616)، والدارمي وأورده في المختارة وقال في المقدمة [هذه أحاديث اخترتها مما ليس في البخاري ومسلم].

مما فضل الله به نبيه ﷺ على سيدنا إبراهيم الخليل ﷺ

قال الله تعالى : (وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ) البقرة (١٢٤).

الشاهد قول الله تعالى: (إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا) [البقرة ١٢٤] ففي الحديث أن نبينا – صلى الله عليه وسلم – قال: (إذا كان يومُ القيامةِ كنتُ إمامَ النَّبيِّينَ و خطيبَهم، و صاحبَ شفاعتِهم، غيرَ فَخْرٍ) وقد صلى بإبراهيم وغيره من الأنبياء ليلة الإسراء وشريعته داخلة في شريعة محمد صلى الله عليهما وسلم وشريعة محمد – صلى الله عليه وسلم – أتم وأكمل من شريعة إبراهيم صلى الله عليه وسلم كما هو معروف.

وقال تعالى: (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا) [النحل ١٢٠] ومعنى الأمة أنه كان معلماً للخير وداعياً إليه, ولا ريب أنَّ علم نبينا ﷺ وتعليمَه وما ظهر من الخير على يديه في زمانه وبعد موته بسببه أمر لا يكاد يرتاب فيه عاقل, فإنَّ علمَه وشريعته متداولة بين أمته إلى يوم القيامة, وسنَّة إبراهيم ﷺ من بعض ماهو من سننه ﷺ التي دعا إليها وأمر بالاستنان بها وقنوته ﷺ كان أعظم فإنه ﷺ لما نزل

عليه: (لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ) [الفتح ٢] قام فصلى حتى تفطرت قدماه فقيل له: قد غُفر لك من ذنبك ما تقدم وما تأخر, فقال: (أفلا أكون عبداً شكوراً) وصلّى حتى أنزل عليه ﷺ: (طه * مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى * إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى) [طه: ١ – ٣] .

وقال تعالى: (وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا) سورة النساء: (١٢٥) .

فأما إبراهيم عليه الصلاة والسلام فهو خليل الله وناهيك بها فضيلة قد جمع الله تعالى له بين النُّبوة والرِّسالة والخلَّة والعزيمة, لكن قد أُعطي نبينا ﷺ ذلك وزاد, فهو نبي رسول خليل حبيب ففيه ما في إبراهيم والزيادة التي لم تتحصَّل لغيره من الرسل, فإبراهيم ﷺ خليل الله وسيدنا محمد ﷺ أيضاً خليل الله, ولكنه ﷺ ففي الصحيح أنه ﷺ قال: (لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن صاحبكم خليل الله).

وإن قيل: إن الله تعالى سمَّى إبراهيم عليه السلام حليماً ومنيباً وأوَّاهاً؟ في قوله تعالى : (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ) التوبة (٧٥).

قيل: هذه كلّها من بعض خصال سيدنا محمد ﷺ وله من الخصال الحميدة أضعافُ أضعاف هذه كما هو مبسوط في كتب مناقبه, فكان في الحلم آيةً كما قال أنس رضي الله عنه: (خدَمتُه عشر سنين وليس كلّ شأني كما يَرضى صاحبي, فما قال لي يوماً قط لشيء صنعته لم صنعت هذا هكذا, ولا لشيء لم أصنعه لِمَ لم تصنع هذا هكذا).

وكان ﷺ من الإنابة إلى ربّه سبحانه بالموضع الذي لايخفى فإنه كان من دعائه: (اللهم بك أُقاتِل وبك أصول وبك أحول) إلى غير ذلك من الإنابة في جِلّ الأمور ودِقّها.

وكان من تأوهه وخوفه من ربه أنه ﷺ يقول: (لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً ولضحكتم قليلاً وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم إلى الصّعدات تجأرون إلى ربكم) إلى غير ذلك من أخباره عن حلمه وإنابته وتأوّهه .

وبالجملة يكفي قول الله تعالى في الثناء عليه ﷺ (وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ) (القلم – 4) .

قال السعدي رحمه الله تعالى : أي: عاليًا به، مستعليًا بخلقك الذي من الله عليك به، وحاصل خلقه العظيم، ما فسرته به أم المؤمنين، [عائشة –رضي الله عنها–] لمن سألها عنه، فقالت: "كان خلقه القرآن"، وذلك نحو قوله تعالى له: (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ) [الآية]، (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ) وما أشبه ذلك من الآيات الدالات على اتصافه صلى الله عليه وسلم بمكارم الأخلاق، [والآيات] الحاثات على الخلق العظيم فكان له منها أكملها وأجلها، وهو في كل خصلة منها، في الذروة العليا، فكان صلى الله عليه وسلم سهلًا لينا، قريبًا من الناس، مجيبًا لدعوة من دعاه، قاضيًا لحاجة من استقضاه، جابرًا لقلب من سأله، لا يحرمه، ولا يرده خائبًا، وإذا أراد أصحابه منه أمرًا وافقهم عليه، وتابعهم فيه إذا لم يكن فيه محذور، وإن عزم على أمر لم يستبد به دونهم، بل يشاورهم ويؤامرهم، وكان يقبل من محسنهم، ويعفو عن مسيئهم، ولم يكن يعاشر جليسًا له إلا أتم عشرة وأحسنها، فكان لا يعبس في وجهه، ولا يغلظ عليه في مقاله، ولا يطوي عنه بشره، ولا يمسك عليه فلتات لسانه، ولا يؤاخذه بما يصدر منه من جفوة، بل يحسن إلي عشيره غاية الإحسان، ويحتمله غاية الاحتمال صلى الله عليه وسلم.

مما فضل الله به نبيه ﷺ على سيدنا موسى عليه السلام

معلوم لديك أيها القارئ الكريم : أن موسى عليه الصلاة والسلام فهو صفي الله تعالى ونجيّه وكليمه ونبيّه ورسوله, ففضله ليس يخفى, ونور جلاله قدره لا يَطفا, عالج القبط وبني إسرائيل وقاسى شدائد منهم شرحُها طويل, وجاهد أعداء الله تعالى ونصر كلمته, وصابر وثابر لله تعالى وبلّغ رسالته فصلوات الله عليه ما كان أصبره, وبمُداراة القوم ومُدارأتهم ما أخبره.

وقد أُعطي سيدنا محمّد ﷺ من ذلك ما تُعقد عليه البنان الخمس, وسار في الآفاق مسير القمر والشّمس, فكل فضيلة أوتيها موسى, وكل قضيّة لقيها نعمى وبؤسى فلمحمّد – صلى الله عليه

وسلم – نظيرتها وأكبر, وأوضح منها لمن تأمّلها وأظهر وكلٌّ كان عند الله وجيهاً, وكل منهما قد كان نبيّاً نبيهاً.

قال الله تعالى : (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا) سورة النساء (١٦٤) وأما تكليم الله لموسى – عليه السلام – ففضيلة عظيمة، ولسيدنا محمّد ﷺ مثلها وأعظم منها فإن موسى عليه الصلاة والسلام قد كلّمه الله تعالى وموسى في الأرض وهو ﷺ كلّمه الله تعالى وهو في مقام قاب قوسين أو أدنى من فوق سبع سماوات بما الله به عليم من العلوّكما هو معلوم من معجزة الإسراء والمعراج.

ومن ذلك معجز موسى عليه الصلاة والسلام في العصا واليد وانفجار الماء من الحجر في التّيه, فإن الله تعالى أعطى سيدنا محمّد ﷺ مثل ذلك أو أعجب وأعظم فإن العصا لموسى عليه الصلاة والسلام كانت من خشب يجعلها الله تعالى له ثعباناً حيّاً يتلقف ما يأفك سحرة فرعون ثم تعود إلى خاصيتها وسيرتها الأولى, وكان لموسى عليه الصلاة والسلام فيها مآرب أخرى فما ذاك بأعجب من جذع يابس كان محمد – صلى الله عليه وسلم – يخطب عليه, فلما عمل المنبر وتحوّل إليه حنّ ذلك الجذع إليه كحنين العشار إلى أولادها, وجعل يَخُور كما يخور الثور حتى سمع أهل المسجد ذلك, فلم يزل كذلك يحنّ ويئنّ حتى جاءه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فاحتضنه وضمّه إليه فسكن وقال: (والذي نفسي بيده لو لم ألتزمه لما زال كذلك حتى تقوم الساعة جزعاً على رسول الله – صلى الله عليه وسلم) .

وأعجب من ذلك أنه دعا شجرةً من أقصى الوادي فجاءت تَخُدّ الأرض حتى وقفت بين يديه ثم أمرها فرجعت إلى منبتها فقامت كما كانت, ونحو ذلك دعاؤه للعذق من رأس النخلة فانْحَدَرَ وجاءه يَنقُزُ حتى صار بين يديه ثم أمره أن يعود حيث كان فصعد كذلك, وأعجب من ذلك أنه كان بالحَجون وهو كثيب حزين فقال – صلى الله عليه وسلم :

(اللهم أرني اليوم آيةً لا أبالي من كذّبني بعدها من قومي فأُمِر أن ينادي شجرةً من عقبة المدينة فناداها فجاءت تَشُق الأرض حتى انتهت إليه فسلّمت عليه ثم أمَرها فذهبت فقال: ما أبالي من كذّبني بعدها من قومي)

وأعجب من هذا أو أبلغ أنه كان حين بُعث لا يمرّ بحجر ولا شجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله وقال: (كان حجر بمكة يسلّم عليّ قبل أن أُبعث إني لأعرفه الآن).

قال الله تعالى : (وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) سورة البقرة (٥٧) .

فإن قيل: إن موسى عليه السلام أنزل الله عليه وعلى قومه المن والسلوى وظلّل عليهم الغمام, قلنا: لمحمّد – صلى الله عليه وسلم – أفضل من ذلك فإنّ المنّ والسلوى رزق رزقهم الله تعالى كُفُوا فيه السّعي والاكتساب على ما كانوا قد منعوا منه من الطيبات كما قال الله تعالى: (فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ) [النساء ١٦٠] وكانوا لما أنزل الله تعالى عليهم المن والسلوى محصورين في التّيه يتيهون, فهي نعمة في طيّ نَقِمَةٍ تفضّلاً من الله تعالى عليهم, فإنه ذو مغفرة للناس على ظلمهم ولا يمنع عاصياً رزقَه المكتوب له لأجل معصيته, فإنه لابدّ له من القوت أيّام حياته مطيعاً وعاصياً .

فأما سيدنا محمّد ﷺ فإنه ما أملق أصحابه أو عطشوا إلا دعا لهم بالبركة في الطعام والشراب حتى يكتفوا ويفضل عنهم وكان في ذلك فضيلة أخرى وهي جعل البركة في القليل حتى يكفي النفر الجليل, فقد كان يصيب أصحابَه الفاقَةُ في غزواتهم ويَقلّ عليهم الطعام والماء فيدعو بما يكون قد بقي معهم من ذلك, فيوجَد الشيء اليسير فيدعو فيه فيبارَك فيه حتى يأكلوا ويشربوا ويكتفوا ويفضل منهم كما هو مستفيض في المنقول, وأحلّ لهم الغنائم ولم يحلّ لأحد كان قبلهم رحمةً لهم ولطفاً بهم لأنّه رأى ضعفهم فأحلّها لهم وقوّاهم بها على عدوّهم وعلى أمور دينهم ودنياهم, فأدّوا الأمانة فيما أمروا به

من اجتناب الغلول وحمل ما يحصل من الغنائم إلى الإمام ورضاهم بما يحصل لهم بالقسمة كما ذكرنا من خبر قيس بن سعد حين وَجَدَ الحُقَّ الذي فيه من الأموال ما تستغني به عِدَةُ أهل أبياتٍ غِنَى الأبد فردَّهُ وقال لهم: (لولا الله ما رأيتموه) .

وأما دعاؤه ﷺ لآحاد من الناس بالبركة ونحو ذلك فيضيق الوقت عن حصْرِه كَعُكّة أم سُلَيم التي أهدت له فيها سمناً فردّها ولم يعصرها فكانت كلّما أرادت سَمْناً أخذت منها حتى عصَرتها ففني فقال – صلى الله عليه وسلم: «لو لم تَعصرها لأخذَتْ منها وقام لها أدم بيتها ... » الحديث .

وكجراب أبي هريرة – رضي الله عنه – الذي كان فيه دون عشرين تمرة فدعا فيه بالبركة فأكل وجهّز في سبيل الله كذا وكذا وسقا وبقي يأكل منه ويطعم إلى أن قتل عثمان بن عفّان – رضي الله عنه – ففقد الجراب في تلك الواقعة, وكشعير عائشة رضي الله عنها الذي دعا فيه فكانت تأكل منه حتى كالته ففني وهذا باب واسع .

مما فضل الله به نبيه ﷺ على سيدنا موسى عليه السلام

إن قيل: إن عيسى عليه السلام قد كان في حياطة وحرز من ربّه تعالى أن يعدوَ عليه ظالم وأن يُنال بسوء كما قال تعالى: (وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ) الآية [المائدة ١١٠] وأيّده بروح القدس فكان يمسي ويُصبح آمناً ساكن القلب ثابت الجأش لما كان الله يتولّاه؟

قيل: قد كان لمحمد – صلى الله عليه وسلم – أبلغ من ذلك, فإن العجم والعرب انتصبت لمعاداته والجن والإنس استعدّوا لمناصبته فأيده الله بروح منه ونصره عليهم وأنزل عليه: {وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ} [المائدة ٦٧] .

وأنزل عليه المعوّذات والقرآن الذي كان يقرأه فيجعل الله بينه وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً, وقصدوه بالأذى عوداً على بدْءٍ ويردّ الله كيدهم في نحورهم ويحفظه من شرورهم كما هو معلوم من قصة أبي جهل وما أراده سُراقة في سفر الهجرة وأشباه ذلك كثير.

واعترض عليه شيطان في المحراب وهو يصلي فأمكنه الله تعالى منه فخنقه وأراد أن يربطه بسارية من سواري المسجد فذكر دعوة سليمان فأطلقه ولولا ذلك لأصبح مُوثَقاً يلعب به الغلمان. وهذا باب واسع لا يمكن استيفاء ما ورد فيه لكثرته على أن أعداء نبيّنا صلى الله عليه وسلم كانوا أشدّ شكيمة وأعظم عداوة, وأكبر حقْداً وأكثر عَدداً وعُدَداً أهل جاهليّة جهلاء حتّى رمته العرب عن قوسٍ واحدة حتى أهْلُه وبنو عمّه وعشيرته, وهو مع ذلك من قوّة القلب وثبوت الجأش بالمنزلة التي لا يَجهلها من وقف على سيرته.

وتدبّر أحواله مع قومه بما ألقى الله في قلوب أعدائه من الرهبة والجَزَع أن يهجموا عليه, ولقد تَمالَأ عليه القبائل ليقتلوه كما قال الله تعالى مخبراً عنهم: (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) [الأنفال: ٣٠] فقد كان الله سبحانه يحفظه ويصونه ويصرف عنه من أراده بالسّوء من كفّار قريش حتى صرف عنه شتمهم وسبّهم ؛ كما أخبر صلى الله

عليه وسلم – في قوله: (ألا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش وسبهم ولعنهم فإنهم يشتمون مذمماً ويلعنون مذمماً وأنا محمّد.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن الملأ من قريش اجتمعوا في الحجر, فتعاقدوا باللات والعزى, ومناة الثالثة الأخرى وإسافَ ونائلة: لو رأينا محمّداً قمنا إليه قيام رجل واحد, فلم نفارقه حتى نقتله, فدخلت فاطمة عليها السلام على أبيها – صلى الله عليه وسلم – وهي تبكي فقالت له: إن الملأ من قومك اجتمعوا في الحجْر فتعاقدوا على أن لو رأوك قاموا إليك فقتلوك, وقد عرف كل رجل منهم نصيبه من دمك, فقال: (يا بُنَيَّة أدْنِي وَضُوءاً) فتوضّأ ثم دخل عليهم المسجد فلمّا رأوه قالوا هاهو هذا, فَعَقِروا في مجالسهم, وخفضوا رؤسهم, ولم يقم إليه منهم رجل واحد, فأقبل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حتى قام على رؤسهم فأخذ قبضة من التراب فحصَبَهُ عليهم وقال: «شاهت الوجوه» فما أصابت رجلاً منهم حصاة إلا قتله الله يوم بدر كافراً.

لا أحد يطيق حصر فضائله ولا عد مناقبه ﷺ

قال العلامة جمال الدين يوسف بن محمد بن مسعود بن محمد بن علي السُّرَّمَرِّي[14]:

هو النبي المصطفى والصفي المرتضى أصفى الخلائق سرّاً وأعلاهم قدراً وأنقاهم صدراً وأنورهم وجهاً ولوناً؛ وأحسنهم عرنيناً وعيناً, وجبيناً وجفناً وأجملهم هامة وخدّاً وأكملهم قامة وقدّاً, وأرجحهم ميزاناً وأوضحهم بياناً وأفصحهم لساناً وأنورهم برهاناً وأوفرهم إحساناً وأعظمهم إيماناً له الأسماء المعروفة بالجمال والأفعال الموصوفة بالكمال والحركات المبنية على العدل.

كما أنّ أسماءه أحسن أسماء المخلوقين وأسماها, فهو مذكور في السماوات والأرض بالتبجيل, معروف في التوارة والزبور والإنجيل, محمد وحامد ومحمود وفاتح وخاتم وهادي ومهتدي وصفي وخليل وكليم وحبيب ومختار وناصر وقائم وحافظ وعدل وحليم وحجة وبيان ومهيمن وبرهان ومطيع وواعظ وأمين ومكين وناطق وصادق أمّي عربيّ هاشميّ قرشي مضريّ أبطحيّ تهاميّ مكّيّ مدنيّ عائل غني جواد سخي طيب طاهر زكيّ خطيب أريب فصيح صبيح سيد إمام بَطَلٌ هُمَامٌ بارٌّ سابق مقتصد أول آخر شفيع مشفَّع محلّل محَرِّم آمِرٌ ناهٍ مبلّغ ناصح مؤدّي وليّ متوكّل.

صاحب اللّواء والتّاج, والإسراء والمعراج, الكريم المنتجب, سيد العجم والعرب, المبعوث بالتوحيد والشهادة والصلاة والزهد والعبادة والدّين الحنيف والهداية, والدعوة العامة والرعاية المنعوت بالقوّة والشجاعة الموصوف بالنجدة والبراعة, صاحب الحوض المورود, والمقام المحمود والكرم والجود.

وهو خير والد وأشرف مولود وأفضل موجود في الخلق وأعز مفقود ذو الأصل اللُباب والدعاء المستجاب الناطق بالصواب الخاشع الأوّاب, قامع الأباطيل وموضح الدليل الإسلام ملّته والكعبة قبلته والحنيفيّة السمحة شريعته وخير أمّة أخرجت للناس أمّته.

---

[14] – نقلا من كتابه : خصائص سيد العالمين وما له من المناقب العجائب على جميع الأنبياء عليهم السلام – باختصار.

عند ذكره ترتاح الأرواح,وعند رؤيته تحدث الأفراح وبمجالسته تنزل الرحمة وبمحادثته تتمّ النّعمة,وبمتابعته تكمل العبادة وبطاعته تحصل السّعادة, والأمن كُلُّه في جنابه, واليمن جميعه في انتآبه, والسلامة في التّمسّك بهديه, والهلاك في مخالفة أمره ونهيه, رسالته عامّة, وإيالته تامّة ودعوته شاملة, ومرتبته كاملة, وأموره كلّها على النّظام, وشؤونه جميعها على التّمام, أحكامه قاطعة, وسيوف عدله لامعة, وآراؤه صائبة, وآلاؤه دائبة, وقضاياه مسدّدة, وسراياه مؤيّدة, وعساكره منصورة, ومعاقلة معمورة أخرست فصاحتُه الألسنة وملأت سماحته الأمكنة فآياته باهرة ومعجزاته ظاهرة.

أكبر معجزاته القرآن, الذي عجر عن الإتيان بسورة من مثله الثَّقلان, ثم مسراه ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى, المتضمّن من المفاخر ما لا يُعَدُّ ولا يُحصَى, يكفي من الإشارة فيه والذكرى {لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى} [النجم: ١٨].

سلّمت عليه الأحجار, ولبَّت دعوته الأشجار, وانشقّ له القمر المنير, ونبع من بين أصابعه الماء النمير, وكلمته الشاة المسمومة ونطق البعير, وسلم عليه الضب والظّبي والذئب المغير, وحنَّ الجذع اليابس إليه, وسبَّح الحصى في كفَّيه, وأطعم الجيش الكثير من الطعام اليسير, وروَّى بالماء القليل الحقير الجمَّ العظيم الغفير, وبَركته في تمر جابر ظاهرة, ومعجزته في سمن أمّ سُليم باهرة, تحرّك الجبل لهيبته, وسَكن بإشارته عن حركته, شكى الجمل السانئ إليه فشكَّاه, ورحم تضرَّعه بين يديه وبكاه, ضَرْعُ الشاة الحائلة بيمن يمينه دَرَّ, والبعير الحاسر ببركته سَرى ومَرَّ, ملأ بقبضةٍ من ترابٍ أعينَ الكفرة, وأشار إلى الأصنام فخرَّت منعفرة, أخبر بالغائبات فوقعت كما قال, وضَرب الحجر الصلد الجلمد فانهال, أراد الكفار قتله فما أطاقوا, وقَصَدوا أذَاهُ فاعتاقوا, وعمدوا إلى غرته فمُنعوا, وبَغى السَّاحرون مضرَّتَه فدُفِعوا, وُقي من شرِّ الإنس والجان, وكُفي معرَّة الهوام والحيوان, رَدَّ عين قتادة بعدما قلعت, وعين عليٍّ بعدما رمدت ودمعت, لقد كان يرى في الظلام كما يرى في الضِّياء, وينظر مَن ورائه كما ينظر من تلقاء, وأمَّهات هذه المفاخر قد سبقت, وارتفعت أفنانها في مكانها وبسَقت, وجملة القول في أحواله, وفصل الخطاب في أقواله وأفعاله, أنّه خير من أقلَّت الغبراء, وأشرفُ مَن أظلَّت الخضراء.

ماذا يقول الواصفون له وصفاته جلّت عن الحَصْر

الأنبياء كأنجم زُهُرٍ ومحمّد أبْهى من البدر

سبحان من جَمع المحاسن في هذا النّبيّ الكريم.

سبحان من منحه بالخُلق العظيم.

سبحان من نحله الجمال والجلال.

سبحان من طبعه على أكمل الخلال وأجمل الأحوال.

فلقد كان أكرمَ الناس وأجود الناس وأحلمَ الناس وأعلمَ الناس وأشرفَ الناس, وأطيبَهم نفساً وأحسنهم عشرة, وأعظمهم صفحاً وأكملهم فِطرة, وأحياهم طَرفاً, وأعطرهم عَرْفاً, لم يُؤتَ أحد من الخلق خصلة جميلة إلا وهي فيه أجمل, ولا خُصَّ أحد بخصيصة جليلة إلا وهي عنده أجلُّ وأكمل, مولدُه بمكة, ومهاجَره بطَيْبة.

أُرسِل ليُتمِّم مكارم الأخلاق, ويُبلِّغ الرسالةَ إلى الخلق في جميع الآفاق, فقام بأعْباء الرسالة, ونهض بأثقالها وما هالَه, وبَلَّغ ما أُرسل به كما أُمر, وأدَّى الأمانة إلى الخلق وما حُصِر, ونصح الأمَّة وكشف الغُمَّة, ودعا إلى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة, وعَبَد ربَّه حتى أتاه اليقين.

وقد أكمل الله تعالى له الدّين وأتَمّ عليه النّعمة, حتى استقرّ الإيمان في نِصابه, وحفظ الإسلام في إهابه, وضَرَب الدِّين بِجِرَانِه, وثبت على أركانه, ثم مضى لسبيله طيّباً طاهراً نقيّاً زكيّاً, وترك الخلق على بيضاء نقيّة ليلُها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك, ولا يحيد عنها إلا ملحد, فصلوات الله وسلامه عليه, وتحيّاته وبركاته واصلةً إليه, وإلى صاحبيه, وإلى من جاهد بين يديه, صلاةً دائمة إلى يوم الدين, والحمد لله رب العالمين .

وما أجمله من شعر في هذا المقام للبرعي اليماني

متى ذُكر الحبيبُ فذا حبيبٌ ... عليه الله في التوراةِ أثنى

وبشرنا المسيح به رسولا ... وحقق وصفه وسماً وكنّى

فإن ذَكروا نجيّ الطورِ فاذكر ... نجيّ العرش مفتقرا لتغنى

فإن الله كلم ذاك وحياً ... وكلم ذا مشافهةً وأدنى

وموسى خرّ مغشيا عليه ... وأحمدُ لم يكن ليضيق ذِهنا

ولو قابلتَ لفظةَ (لن تراني) ... ب(ما كذب الفؤادُ) فهمتَ معنى

وإن يك خاطب الأموات عيسى ... فإنّ الجِذعَ حنّ لذا وأنّا

وسلّمت الجمادُ عليه نطقاً ... فأنى يستوي الفتيانِ أنى

وإن يدعو سليماناً بملكٍ ... فذا رفض الكنوز وقد عرضنا

وبطحا مكةٍ ذهباً أباها ... يبيدُ المُلكُ واللذاتُ تفنى

وإن يكُ درع داودٍ لبوسا ... يكونُ من التباسِ البأسِ حِصنا

فدرعُ محمّد القرآن لما ... تلا (واللهُ يعصمك) اطمأنّا

وأهلك قومه في الأرضِ نوحٌ بدعوة(لا تذرأحدا) فأفنى

ودعوةُ أحمدٍ (ربّ اهدِ قومي فهم لا يعلمون) كما علمنا

وقد كان ابنُ آمنةٍ نبيا وآدم لم يزل طيناً مسنّى

وتحتَ لوائه للرسلِ ظِلٌّ غداً يومَ الجبالُ تكونُ عهنا

وكلُّ المرسلين يقول نفسي وأحمدُ أمتي إنساً وجنّا

الرسالة الخامسة عشرة

اطِّلاعُك عَلَى مَا تَحمَّلَه ﷺ

في سَبيلِ الدَّعوةِ يُبْكِيكَ شَوْقاً إليه ﷺ

وستقرأ فيها:

- مدخل.
- نماذج من الإيذاء الجسدي الذي تعرض له بأبي وأمي هو ﷺ .
- نماذج من الإيذاء المعنوي الذي تعرض له بأبي وأمي هو ﷺ .
- صور من ثباته ﷺ على الدعوة والعبادة وحسن الخلق.

مدخل

اقتضت حِكمة الله تعالى أنْ يبتلي أنبياءَه ورسلَه بأنواعٍ شتَّى من الإيذاء على يد أعدائهم؛ ليكونوا قدوة لأتباعهم في الصبر على الإيذاء في سبيل دعوتهم، عن سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ – رضي الله عنه – قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاَءً؟ قَالَ: (الأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ، يُبْتَلَى الْعَبْدُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ)[15].

ولقد تعرَّض النبي صلى الله عليه وسلم للإيذاء المعنوي والجسدي على يد السفهاء من الكفار والمشركين وهو صابر مُحتَسِب، نعم إخوتاه، علينا جميعاً أنْ نفخر بهذا النبي الكريم الذي شرَّفَنا اللهُ تعالى بأن انتسبنا إليه، فمن أجلنا ومن أجل إيصال الدين إلينا تحمَّل أشدَّ أنواع الإيذاء، فليس أقل من أنْ نتَّبعه ونتَّبع هديه وسُنَّته، ونحب مَنْ يُحِبُّه، ونُبغِض مَنْ يُبغضه، صلى اللهُ عليك يا علم الهدى ما هبَّتْ نسائم، وناحت عليك حمائم[16].

---

[15] – رواه الترمذي وابن ماجه، وصححه الألباني في (صحيح الجامع).

[16] – مصادر هذه الرسالة : مقال بعنوان : إيذاء المشركين للنبي صلى الله عليه وسلم – د. محمود بن أحمد الدوسري – شبكة الألوكة – وأجابة عن : ما هي المحن والصعوبات التي واجهت النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه عندما بدأ في دعوة أهل قريش لرسالة التوحيد ؟ – موقع الإسلام سؤال وجواب ومقال بعنوان : نماذج من تضحيات الرسول صلى الله عليه وسلم – الأستاذ جمعة أمين – موقع الشرقية اون لاين (بتصرف).

نماذج من الإيذاء الجسدي

الذي تعرض له بأبي وأمي هو ﷺ

1/ عن عبدِ اللهِ بنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ – رضي الله عنهما – أنه قال: (بَيْنَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يُصَلِّي فِي حِجْرِ الْكَعْبَةِ؛ إِذْ أَقْبَلَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ، فَوَضَعَ ثَوْبَهُ فِي عُنُقِهِ فَخَنَقَهُ خَنْقًا شَدِيدًا، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى أَخَذَ بِمَنْكِبِهِ وَدَفَعَهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، وقَالَ: ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ ﴾ [غافر: 28] رواه البخاري.

2/ وعن عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعودٍ – رضي الله عنه – قَالَ: (بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم سَاجِدٌ وَحَوْلَهُ نَاسٌ مِنْ قُرَيْشٍ؛ إِذْ جَاءَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ بِسَلاَ – الجلد الرَّقيق الذي يَخْرُج فيه الوَلدُ من بطن أُمِّه مَلْفوفاً فيه – جَزُورٍ – بعير – فَقَذَفَهُ عَلَى ظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَلَمْ يَرْفَعْ رَأْسَهُ، فَجَاءَتْ فَاطِمَةُ فَأَخَذَتْهُ عَنْ ظَهْرِهِ، وَدَعَتْ عَلَى مَنْ صَنَعَ ذَلِكَ) رواه مسلم.

وفي هذا الرجل – أعني: عُقبةَ بن أبي مُعَيط – نزل قولُ الله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً * يَا وَيْلَتِى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاَنًا خَلِيلاً * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنْ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً﴾ [الفرقان: 28، 29].

3/ ومن صور إيذائه صلى الله عليه وسلم ما كانت تقوم به امرأة أبي لهب، فقد كانت تحمل الشوك، وتضعه في طريق النبي صلى الله عليه وسلم، وعلى بابه ليلاً، وكانت امرأةً سليطةً تبسط فيه لسانَها، وتطيل عليه الافتراء والدَّس، وتؤجج نار الفتنة، وتثير حربًا شعواء على النبي صلى الله عليه وسلم؛ ولذلك وصفها القرآن بِحمَّالة الحطب وإنما سماها الله بهذا الاسم لأنها كانت تحمل الشوك فتطرحه على

طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يمر ، فأنزل الله تعالى سورة المسد . [تفسير البغوي، (8/583)؛ الرحيق المختوم].

4/ ومن صور الإيذاء التي مارسها مشركو قريشٍ ضد النبي صلى الله عليه وسلم، وهي المقاطعة؛ حيث تحالف المشركون على النبي صلى الله عليه وسلم وبني هاشم، وتعاهدوا على ألاَّ يُبايعوهم ولا يُجالسوهم ولا يُخالطوهم ولا يَدخلوا بيوتهم ولا يُكلِّموهم حتى يُسلِموا إليهم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم للقتل.

فانحاز بنو هاشم وبنو المطَّلب مؤمنهم وكافرهم إلاَّ أبا لهب، وحُبِسوا في شعب أبي طالب، واستمرَّ هذا الحِصار ثلاثة أعوام، واشتدَّ الحصارُ حتى بلغهم الجَهْد، فأكلوا الأوراق والجلود، وكان يُسمع من وراء الشِّعب أصوات نسائهم وصبيانهم من الجوع.

ثلاثة أعوام يعيش فيها النبي صلى الله عليه وسلم ومَنْ معه في مقاطعة تامة؛ من أجل الضغط عليه لتقديم تنازلات ويترك دِينه الحق، ولكنه صبر وثبت بأبي هو وأمي.

5/ ومن صور إيذائه البدني صلى الله عليه وسلم ما قام به أهل الطائف؛ حينما ذهب إليهم يدعوهم إلى الدخول في دين الله تعالى، فعن عائشة – رضي الله عنها – أنها قالت للنبيّ صلى الله عليه وسلم: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ قَالَ: «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدُّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلاَلٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلاَّ وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! فَقَالَ: ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمِ الأَخْشَبَيْنِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا) رواه البخاري.

وكان أهل الطائف قد أغْرَوا به سفهاءهم، فلمَّا أراد الخروج تبعه سفهاؤهم وعبيدهم يسبُّونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس، فوقفوا صَفَّين وجعلوا يرمونه بالحجارة، ورجموا عراقيبه حتى اختضب نعلاه بالدماء.

ونالوا منه ما لم ينله قومه، وكان معه زيد بن حارثة مولاه، فأقام بينهم عشرة أيام لا يَدَعُ أحدًا من أشرافهم إلا جاءه وكلَّمَه، فقالوا:اخرج من بلدنا، وأَغْرَوا به سفهاءهم، فجعلوا يرمونه بالحجارة حتى دَمِيَت قدماه، وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى أصيب في رأسه، فانصرف راجعًا إلى مكة محزونًا، وفي مرجعه ذاك دعا بالدعاء المشهور، دعاء الطائف: (اللَّهمَّ إليك أشكو ضَعْف قوَّتي، وقلَّة حيلتي، وهواني على النَّاس، يا أرحم الرَّاحمين، أنتَ ربُّ المستضعَفِين وأنت ربِّي، إلى من تَكِلُني؟ إلى بعيدٍ يتجهَّمني؟ أم إلى عدوٍّ ملَّكْتَه أمري؟ إن لم يكن بك عليَّ غضبٌ فلا أبالي، ولكنَّ عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الَّذي أشرقَتْ له الظُّلمات، وصلحَ عليه أمر الدُّنيا والآخرة مِن أن تُنْزِل بي غضبك، أو يحلَّ عليَّ سخطك، لك العُتْبَى حتَّى ترضى، ولا حول ولا قوَّة إلا بك).

بأبي أنت وأمي يا رسول الله، يقذفونك بالحجارة، فترد عليهم بالدعاء لهم، وترفض أنْ يُعذِّبهم الله تعالى؛ بأنْ يُطبِق عليهم الأخشبين. أيُّ رحمة هذه؟ إنه الرحمة المهداة من رب العالمين إلى البشرية جمعاء، ولِمَ لا، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: 107].

نماذج من الإيذاء المعنوي

الذي تعرض له بأبي وأمي هو ﷺ

استخدم المشركون السخرية والاستهزاء بالنبي صلى الله عليه وسلم؛ كي يُثنوه عن دعوته، فاتَّهموه بالجنون تارة، وبالسحر تارة، وبالكذب أخرى، وقد عبَّر القرآنُ عن هذه الاتهامات الباطلة، فقال تعالى: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحِجر: 6]، وقال سبحانه: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ [ص: 4].

وكان من وسائلهم في تلك الحرب المعنوية إثارة الشبهات والدعايات الكاذبة والباطلة، فقالوا عن القرآن: ﴿أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ﴾ [الأنبياء: 5]، وقالوا عنه: ﴿ إِنْ هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ ﴾ [الفرقان: 4]، ﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ [الفرقان: 5]، وظلُّوا يُرَوِّجون لهذه الشُّبه وتلك الدَّعاوى الباطلة، ولكن القرآن الكريم كان أعلى سطوة وأقوى حُجَّة في وجه هذه الشُّبه والأباطيل، فظلَّ الناس يدخلون في دين الله تعالى، وظلَّ عدد المسلمين في تزايد.

فما كان منهم إلاَّ أنْ حاولوا – وبكل قوة – أنْ يمنعوا القرآنَ من الوصول إلى الناس، فكانوا يطردون الناسَ ويُثيرون الشَّغَب والضَّوْضاء ويلعبون إذا رأوا النبيَّ صلى الله عليه وسلم يتهيَّأُ للدعوة، قال تعالى: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لاَ تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ)[فصلت: 26]

ومن حربهم المعنوية أيضاً: استقبال الناس وتحذيرهم من النبيّ صلى الله عليه وسلم ودعوته، ومن هؤلاء الطُّفَيل بن عمرو الدَّوْسي، وكان شاعراً لبيباً، رئيس قبيلة دوس، قدم مكة، فاستقبله أهلها قَبْل وصوله إليها، وبذلوا له أجَلَّ تحيَّة وأكرم تقدير، وقالوا له: يا طفيل! إنك قدمتَ بلادَنا، وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أعضل بنا، وقد فرَّق جماعتنا، وشتَّت أمرنا، وإنما قولُه كالسِّحر، يُفرِّق بين الرجل

وأبيه، وبين الرجل وأخيه، وبين الرجل وزوجه، وإنا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا، فلا تُكلمه ولا تسمعنَّ منه شيئًا يقول الطُّفَيل: فواللهِ ما زالوا بي حتى أجمعتُ ألاَّ أسمعَ منه شيئًا، ولا أكلمه، حتى حَشَوتُ أُذني – حين غدوت إلى المسجد – كُرْسُفًا (قُطْناً)؛ فَرَقًا من أنْ يبلغني شيء من قوله قال: فغدوتُ إلى المسجد فإذا هو قائم يُصلِّي عند الكعبة، فقمتُ قريبًا منه، فأبى الله تعالى إلاَّ أنْ يُسمعني بعضَ قولِه، فسمعتُ كلامًا حَسَنًا، إلى أنْ قال: فَعَرَضَ علَيَّ الإسلامَ، وتلا عليَّ القرآنَ. فواللهِ ما سمعتُ قولاً قَطُّ أحسنَ منه، ولا أمرًا أعدلَ منه، فأسلمتُ وشهدتُ شهادةَ الحق.[الرحيق المختوم].

وها هو ضِمادُ الأزْدي، وكان يرقي من هذا الريح، قدم مكة فسمع سفهاءها يقولون: إنَّ محمدًا مجنون، فقال: لو إني أتيتُ هذا الرَّجلَ لعل الله يشفيه على يدي، فلقيه، فقال: يا محمد! إني أرقي من هذا الريح، فهل لك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه، مَنْ يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد».فقال: أعد عليَّ كلماتك هؤلاء، فأعادهُنَّ عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات، فقال: لقد سمعتُ قولَ الكهنة، وقولَ السَّحرة، وقول الشعراء، فما سمعت مِثلَ كلماتك هؤلاء، هاتِ يدَك أبايعك على الإسلام، فبايعه[الرحيق المختوم].

صور من ثباته ﷺ

على الدعوة والعبادة وحسن الخلق

ظن كفار مكة أن الأنبياء يريدون بدعوتهم الدنيا والمناصب، أو الزعامة والرئاسة، ولذلك تقدموا إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بهذه المحاولة، وهي إغراؤه بالمال والملك، والرئاسة والسيادة، ولكنهم فشلوا في ذلك .

1/ ذكر ابن هشام في سيرته عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: (أرسَلَتْ قريشٌ عُتْبَةَ بنَ ربيعةَ – وهو رجلٌ رَزِينٌ هادىءٌ – فذهب إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم – يقول : يا ابن أخي، إنك منا حيث قد علمتَ من المكان في النسب، وقد أَتَيْتَ قومَك بأمرٍ عظيمٍ فَرَّقْتَ به جماعتهم، فاسمَعْ مِنِّي أَعْرِضْ عليك أمورا لعلك تقبل بعضها، إن كنتَ إنما تريد بهذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنتَ تريدُ شَرَفا سَوَّدْناكَ علينا، فلا نقطع أمرا دونك، وإن كنتَ تريدُ مُلْكًا مَلَّكْناكَ علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئْيًا – مس من الجن – تراه لا تستطيع ردّه عن نفسك، طلبنا لك الطِّبَّ، وبَذلنا فيه أموالَنا حتى تبْرأَ ؛ فلما فرَغَ قولُه تلا رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ صَدْرَ سورة فُصِّلَتْ : (حم * تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ * وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ * قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ * الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ)

(فصلت: 1 : 7)، حتى وصل إلى قوله تعالى: (فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ) (فصلت: 13).

2/ انتقل كفار مكة إلى محاولة ثانية وهي ما يسمى بلغة العصر " تقارب الأديان "، ففكرة التقارب بين الأديان ليست بدعة عصرية، وإنما هي قديمة أول من دعى إليها كفار مكة، عندما قالوا لرسول الله – صلى الله عليه وسلم: نعرض عليك خصلة واحدة، فهي لك ولنا فيها صلاح قال: وما هي؟، قالوا: تعبد آلهتنا سنة، ونعبد إلهك سنة.

عن عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – قال : (إن قريشاً وعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعطوه مالاً فيكون أغنى رجل بمكة، ويزوجوه ما أراد من النساء، ويطئوا عقبه – أي: يسوده – فقالوا له: هذا لك عندنا يا محمَّد! وكف عن شتم آلهتنا، فلا تذكرها بسوء، فإن لم تفعل فإنا نعرض عليك خصلة واحدة، فهي لك ولنا فيها صلاح، قال: وما هي؟، قالوا: تعبد آلهتنا سنة: اللات والعزى، ونعبد إلهك سنة! فقال – صلى الله عليه وسلم –: حتى أنظر ما يأتي من عند ربي، فجاء الوحي من اللوح المحفوظ : (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ) (الكافرون: 1 : 6)، وأنزل الله عز وجل : (قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ * وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ) (الزمر: 64 : 66)) رواه الطبراني.

3/ بلغ من ثباته عليه الصلاة والسلام أنه صار يهددهم وهو وحده، لا يخشى منهم؛ حتى هابوه وخافوا منه؛ كما في حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: (حَضَرْتُهُمْ وَقَدِ اجْتَمَعَ أَشْرَافُهُمْ يَوْمًا فِي الْحِجْرِ، فَذَكَرُوا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: مَا رَأَيْنَا مِثْلَ مَا صَبَرْنَا عَلَيْهِ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ قَطُّ، سَفَّهَ أَحْلَامَنَا، وَشَتَمَ آبَاءَنَا، وَعَابَ دِينَنَا، وَفَرَّقَ جَمَاعَتَنَا، وَسَبَّ آلِهَتَنَا، لَقَدْ صَبَرْنَا مِنْهُ

عَلَى أَمْرٍ عَظِيمٍ، أَوْ كَمَا قَالُوا: قَالَ: فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ طَلَعَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَقْبَلَ يَمْشِي، حَتَّى اسْتَلَمَ الرُّكْنَ، ثُمَّ مَرَّ بِهِمْ طَائِفًا بِالْبَيْتِ، فَلَمَّا أَنْ مَرَّ بِهِمْ غَمَزُوهُ بِبَعْضِ مَا يَقُولُ، قَالَ: فَعَرَفْتُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ مَضَى، فَلَمَّا مَرَّ بِهِمُ الثَّانِيَةَ، غَمَزُوهُ بِمِثْلِهَا، فَعَرَفْتُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ مَضَى، ثُمَّ مَرَّ بِهِمُ الثَّالِثَةَ، فَغَمَزُوهُ بِمِثْلِهَا، فَقَالَ: تَسْمَعُونَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، أَمَا وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِالذَّبْحِ، فَأَخَذَتِ الْقَوْمَ كَلِمَتُهُ، حَتَّى مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا كَأَنَّمَا عَلَى رَأْسِهِ طَائِرٌ وَاقِعٌ، حَتَّى إِنَّ أَشَدَّهُمْ فِيهِ وَصَاةً قَبْلَ ذَلِكَ لَيَرْفَؤُهُ بِأَحْسَنِ مَا يَجِدُ مِنَ الْقَوْلِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَقُولُ: انْصَرِفْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، انْصَرِفْ رَاشِدًا، فَوَاللهِ مَا كُنْتَ جَهُولًا) رواه أحمد.

4/ولما كلَّم المُشرِكون عمَّه أبا طالِبٍ أن يكُفَّ عن مُواصَلَة دعوته، قال –صلى الله عليه وسلم– في موقفٍ ثابتِ الإرادة، قويِّ العزم: "ما أنا بأقدَرَ على أن أدَعَ لكم على أن تستشعِلُوا لي مِنها شُعلَةً" يعني: الشمسَ.

5/ ومِن صُور ثباتِه –صلى الله عليه وسلم–: ثباتُه وقت الشدائِدِ والمِحَن؛ ففي يوم حُنَين تعرَّضَ المُسلِمون إلى مِحنةٍ شديدةٍ، وبلاءٍ عظيمٍ، حينما اغترُّوا بكثرة عددِهم، فلم تُغنِ عنهم شيئًا، وانقضَّ عليهم المُشرِكُون، وكادُوا أن يهزِمُوهم، لولا أن أنزلَ الله السَّكينةَ عليهم، وثبَّتَ رسولَه صلى الله عليه وسلم– الذي أخذَ يدعُو الفارِّين مِن المعركة ويقول: (هلُمُّوا إليَّ أيها الناس، أنا رسولُ الله، أنا مُحمدُ بن عبد الله)، ولم يبقَ معه في موقفِه إلا عددٌ قليلٌ مِن المُهاجِرين والأنصار. ثم بدأ يركُضُ بغلتَه قِبَل الكفَّار وهو يقولُ: (أنا النبيُّ لا كذِب، أنا ابنُ عبد المُطلب)، في شجاعةٍ عظيمةٍ، وثباتٍ عجيبٍ.

6/ ومِن الصُّور الجلِيَّة في هذا الجانِبِ: ثباتُه على عبادتِه لربِّه، ومُواظبَتُه واستِمرارُه في العمل، وهذا يتمثَّلُ في صبرِه على طاعةِ الله، واجتِهادِه في اغتِنامِ القُرُبات، وكسبِ الحسنات. فعن عائشة –رضي الله عنها–، أن النبيَّ –صلى الله عليه وسلم– كان يقومُ مِن الليلِ حتى تتفطَّر قدَمَاه، فقالت عائشةُ:

لِمَ تصنَعُ هذا يا رسولَ الله، وقد غفرَ الله لك ما تقدَّم مِن ذنبِك وما تأخَّر؟ قال: (أفلا أُحبُّ أن أكون عبدًا شَكُورًا؟) (متفق عليه).

وعن أم سلَمَة –رضي الله عنها–، أن النبيَّ –صلى الله عليه وسلم– صلَّى ركعتَين بعد العصرِ، فسألتْه عنهما فقال: (إنه أتانِي ناسٌ مِن عبد القَيس، فشغَلُوني عن الرَّكعتَين اللَّتَين بعد الظهر، فهما هاتان) (متفق عليه).

7/ من صور ثباته ﷺ على حسن الخلق :

قال أنس رضي الله عنه :(خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين ، فما قال لي أف قط، وما قال لي لشيءٍ صنعته لم صنعت هذا، ولا شيء لم أصنعه لِمَ لَمْ تصنع هذا).رواه الترمذي وأبو داود .

وعن حذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنه ـ قال : ما منعني أن أشهد بدراً إلا أني خرجت أنا و أبي حسيل فأخذنا كفار قريش ، قالوا : إنكم تريدون محمدا ، فقلنا : ما نريده ، ما نريد إلا المدينة ، فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لننصرفن إلى المدينة ، ولا نقاتل معه ، فأتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرناه الخبر ، فقال : (انصرفا ، نفي لهم بعهدهم ، ونستعين الله عليهم) رواه مسلم.

وعن الحسن بن علي بن أبي رافع أن أبا رافع أخبره قال : بعثني قريش إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلما رأيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أُلقِيَ في قلبي الإسلام ، فقلت يا رسول الله : إني والله لا أرجع إليهم أبدا ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (إني لا أخيس – أنقض – بالعهد ، ولا أحبس البُرُدَ –الرسل – ، ولكن ارجع فإن كان في نفسك الذي في نفسك الآن فارجع ، قال : فذهبت ، ثم أتيت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأسلمت) رواه أبو داود .

الرسالة السادسة عشرة

تَذكُّرُكَ قِصَّةَ انْتِقَالِهِ ﷺ

إِلى الرَّفيقِ الأَعْلَى تُبْكِيكَ شَوْقاً إليه ﷺ

وستقرأ فيها:

- معرفته ﷺ باقتراب أجله وإعلامه بعض الصحابة رضي الله عنه وبداية مرضه ﷺ.
- تخييره ﷺ بين الموت والخلد.
- مرضه ﷺ ومدته وشدة وجعه.
- وصاياه ﷺ في مرض وفاته.
- اليوم الأخير من حياته ﷺ وكم كان عمره ﷺ؟
- غسله ﷺ وتكفينه ودفنه.
- حزن الصحابة على فقد حبيبهم ﷺ.

- شذرات مما قاله الصحابة وغيرهم في رثاء النبي ﷺ.

معرفته ﷺ باقتراب أجله

وإعلامه بعض الصحابة رضي الله عنه وبداية مرضه ﷺ [17]

أولاً : معرفة النبي صلى الله عليه وسلم باقتراب أجله:

بشَّر اللهُ تعالى النبيَّ صلى الله عليه وسلم باقتراب أجله في آيات عدة في القرآن الكريم، منها قوله تعالى: {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ} [الزمر:30]، وقوله سبحانه: {وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِيْنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ * كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ} [الأنبياء: 34، 35]، وقوله: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ} [آل عمران:144]، وقوله: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً} [سورة النصر].

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أنزلت هذه السورة: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ} على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وسط أيام التشريق، وعرف أنه الوداع. [سنن البيهقي (9464)].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن عمر رضي الله عنه سألهم عن قوله تعالى: (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ) قالوا: فتح المدائن والقصور، قال: ما تقول يا ابن عباس؟ قال: (أَجَلٌ أو مَثَلٌ ضُرب لمحمد صلى الله عليه وسلم نعيت له نفسه) [البخاري (4969)].

[17] – مقال بعنوان : وفاة النبي صلى الله عليه وسلم – د. منقذ بن محمود السقار – بتصرف.

وقال الله تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً} [المائدة:3] ؛ قال ابن العربي: "وما من شيء في الدنيا يكمل إلا وجاءه النقصان ليكون الكمال الذي يراد به وجه الله" [العواصم من القواصم (ص59)].

وقد أشعر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه في أكثر من موطن بقرب أجله وانتقاله إلى جوار ربه، فعن معاذ بن جبل قال لما بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن خرج معه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوصيه، ومعاذ راكب ورسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي تحت راحلته فلما فرغ قال: (يا معاذ، إنك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا ـ أو قال: ـ لعلك أن تمر بمسجدي هذا أو قبري)، فبكى معاذ جشعاً لفراق رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم التفت فأقبل بوجهه نحو المدينة فقال: (إن أولى الناس بي المتقون، من كانوا وحيث كانوا) [رواه أحمد (21547)].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: أقبلت فاطمة تمشي، كأن مشيتها مشي النبي صلى الله عليه وسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (مرحباً بابنتي)، ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم أسر إليها حديثا فبكت، فقلت لها: لم تبكي؟ ثم أسر إليها حديثاً فضحكت، فقلت: ما رأيت كاليوم فرحاً أقرب من حزن، فسألتها عما قال، فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى قبض النبي صلى الله عليه وسلم فسألتها فقالت: أسر إليَّ: ((إن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة، وإنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي، وإنك أول أهل بيتي لحاقاً بي)) فبكيت، فقال: ((أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة أو نساء المؤمنين)) فضحكت لذلك. متفق عليه.

وعن جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أمرهم أن يرموا بمثل حصى الخذف، وقال: ((لعلي لا أراكم بعد عامي هذا) [رواه الترمذي (886)].

ثانياً : بداية المرض بالنبي صلى الله عليه وسلم وسببه:

كان سبب مرض النبي صلى الله عليه وسلم مؤامرة اليهودية حين دست له السم في طعامه صلى الله عليه وسلم الذي دعته إليه، فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم منه وأكل القوم فقال: (ارفعوا أيديكم فإنها أخبرتني أنها مسمومة)، ثم قال في وجعه الذي مات فيه: ((مازلت أجد من الأكلة التي أكلت بخيبر، فهذا أوان قطعت أبهَري) [رواه أبو داود (4512)].

قال في النّهاية في غريب الحديث: "الأبهر عرق في الظّهر وهما أبهران, وقيل: هما الأكحلان اللّذان في الذّراعين, وقيل: هو عرق مستبطن القلب فإذا انقطع لم تبق معه حياة"[انظر: عون المعبود (151/21)].

وفي الحديث أن أم مبشِّر رضي الله عنها دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجعه الذي قبض فيه فقالت: بأبي وأمي يا رسول الله، ما تتَّهِم بنفسك؟ فإني لا أتهم إلا الطعام الذي أكَلَ معك بخيبر، وكان ابنها مات قبل النبي صلى الله عليه وسلم، قال: (وأنا لا أتهم غيره، هذا أوان قطع أبهري) [أحمد].

فجمع الله لنبيه صلى الله عليه وسلم بين الشهادة على يد قتلة الأنبياء من اليهود وهي أكرم الميتات، وبين المرض والحمى وفيهما ما فيهما من رفع الدرجات.

وأما أول معالم عود المرض إليه صلى الله عليه وسلم فكان بعد رجوعه من دفن أحد أصحابه، قالت عائشة رضي الله عنها: رجع إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم من جنازة بالبقيع، وأنا أجد صداعاً في رأسي وأنا أقول: وا رأساه، قال: (بل أنا وا رأساه) قال: (ما ضرَّكِ لو متِّ قبلي فغسلتُك وكفنتُك ثم صليتُ عليك ودفنتك)، قلت: لكني ـ أو لكأني ـ بك والله لو فعلت ذلك لقد رجعتَ إلى بيتي فأعرست فيه ببعض نسائك، قالت: فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم بُدئ بوجعه الذي مات فيه. [رواه أحمد (25380)، وابن ماجه (1465)].

تخييره ﷺ بين الموت والخلد

عن أبي مويهبة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم من جوف الليل فقال: (يا أبا مويهبة، إني قد أمرت أن أستغفر لأهل البقيع، فانطلق معي))، فانطلقت معه، فلما وقف بين أظهرهم قال: ((السلام عليكم يا أهل المقابر، ليهن لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح فيه الناس، لو تعلمون ما نجاكم الله منه، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم، يتبع أولها آخرها، الآخرة شر من الأولى))، قال: ثم أقبل عليَّ فقال: ((يا أبا مويهبة، إني قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة، وخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي عز وجل والجنة)) قال: قلت: بأبي وأمي فخذ مفاتيح الدنيا والخلد فيها ثم الجنة، قال: ((لا ـ والله ـ يا أبا مويهبة، لقد اخترت لقاء ربي عز وجل والجنة))، ثم استغفر لأهل البقيع، ثم انصرف، فبُدئ رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجعه الذي قضاه الله عز وجل فيه حين أصبح. [رواه أحمد (15567)، الدارمي (78)].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس، وقال: (إن الله خير عبداً بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ذلك العبد ما عند الله)، قال: فبكى أبو بكر، فعجبنا

لبكائه أن يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبد خُيِّر، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المخيَّر، وكان أبو بكر أعلمنا. [رواه البخاري (3654)، مسلم (2382)].

وتقول عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو صحيح يقول: (إنه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة ثم يحيا أو يخيَّر)، فلما اشتكى وحضره القبض ورأسه على فخذ عائشة غشي عليه، فلما أفاق شخص بصره نحو سقف البيت ثم قال: (اللهم في الرفيق الأعلى)، فقلت: إذًا لا يجاورنا، فعرفت أنه حديثه الذي كان يحدثنا وهو صحيح. [رواه البخاري (4437)].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (ما من نبي يمرض إلا خيِّر بين الدنيا والآخرة))، وكان في شكواه الذي قبض فيه أخذته بحة شديدة فسمعته يقول: (مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ) [النساء:69]، فعلمت أنه خُيِّر.[متفق عليه].

واختلف العلماء في مراده صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى على أقوال، فقيل : الله عز وجل، وقيل: ملائكته، وقيل: أنبياؤه، وقيل: الجنة، ولكل منها دليل.

قال ابن حجر رحمه الله تعالى: "قال الجوهريّ: الرّفيق الأعلى الجنّة، ويؤيّده ما وقع عند أبي إسحاق: الرّفيق الأعلى الجنّة, وقيل: بل الرّفيق هنا اسم جنس يشمل الواحد وما فوقه، والمراد الأنبياء ومن ذكر في الآية، وقد ختمت بقوله: (وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً)... وزعم بعض المغاربة أنّه يحتمل أن يراد بالرّفيق الأعلى الله عزّ وجلّ لأنّه من أسمائه، كما أخرج أبو داود من حديث عبد الله بن مغفّل رفعه: (إنّ الله رفيق يحبّ الرّفق) كذا اقتصر عليه والحديث عند مسلم عن عائشة فعزوه إليه أولى.

قال: والرّفيق يحتمل أن يكون صفة ذات كالحكيم أو صفة فعل. قال: ويحتمل أن يراد به حضرة القدس, ويحتمل أن يراد به الجماعة المذكورون في آية النّساء، ومعنى كونهم رفيقًا تعاونهم على طاعة الله وارتفاق بعضهم ببعضٍ وهذا الثّالث هو المعتمد، وعليه اقتصر أكثر الشّرّاح" [فتح الباري (137/8)].

وأما دليل من قال بأن المقصود هم الملائكة فهو قوله صلى الله عليه وسلم في رواية ابن حبّان: (أسأل الله الرّفيق الأعلى الأسعد, مع جبريل وميكائيل وإسرافيل) [ابن حبان (555/14)]، وظاهره أنّ الرّفيق المكان الّذي تحصل المرافقة فيه مع المذكورين.

مرضه ﷺ ومدته وشدة وجعه

بدأ المرض بالنبي صلى الله عليه وسلم في مطلع شهر ربيع الأول، وقد نُقل إلينا بعض أخباره وأحواله صلى الله عليه وسلم في مرضه:

من أحواله صلى الله عليه وسلم قبل اشتداد المرض:

قالت عائشة: لما ثقل النبي صلى الله عليه وسلم واشتد به وجعه استأذن أزواجه في أن يمرَّض في بيتي، فأذنَّ له، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم بين رجلين تخطُّ رجلاه في الأرض، بين عباس ورجل آخر، قال عبيد الله: فأخبرت عبد الله بن عباس فقال: أتدري من الرجل الآخر؟ قلت: لا، قال: هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وكانت عائشة رضي الله عنها تحدِّث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال بعدما دخل بيته واشتد وجعه: (هريقوا علي من سبع قرب لم تحلل أوكيتهن لعلي أعهد إلى الناس)، وأُجلس في مخضب لحفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، ثم طفقنا نصب عليه تلك حتى طفق يشير إلينا أن قد فعلتن، ثم خرج إلى الناس. [رواه البخاري ومسلم].

قال ابن حجر في شرح قوله صلى الله عليه وسلم: (من سبع قرب): "قال الخطّابيّ: يشبه أن يكون خصّ السّبع تبرّكًا بهذا العدد؛ لأنّ له دخولاً في كثير من أمور الشّريعة وأصل الخلقة. وفي رواية للطّبرانيّ في هذا الحديث: (من آبار شتّى)، والظّاهر أنّ ذلك للتّداوي لقوله في رواية أخرى في الصّحيح: (لعلّي أستريح فأعهد) أي: أوصي". [فتح الباري (303/1)].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه عاصبٌ رأسه بخرقة فقعد على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: (إنه ليس من الناس أحد أمن علي في نفسه وماله من أبي بكر بن أبي قحافة، ولو كنت متخذاً من الناس خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن خلة الإسلام أفضل، سدوا عني كل خوخة في هذا المسجد غير خوخة أبي بكر).

وقالت عائشة رضي الله عنها: لما مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم مرضه الذي مات فيه فحضرت الصلاة فأذن فقال: (مروا أبا بكر فليصل بالناس)، فقيل له: إن أبا بكر رجل أسيف، إذا قام في مقامك لم يستطع أن يصلي بالناس، وأعاد فأعادوا له، فأعاد الثالثة فقال: ((إنكن صواحب يوسف، مروا أبا بكر فليصل بالناس)، فخرج أبو بكر فصلى، فوجد النبي صلى الله عليه وسلم من نفسه خفة، فخرج يهادى بين رجلين كأني أنظر رجليه تخطان من الوجع، فأراد أبو بكر أن يتأخر، فأومأ إليه النبي صلى الله عليه وسلم: أن مكانك، ثم أتي به حتى جلس إلى جنبه).

قيل للأعمش: (وكان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي وأبو بكر يصلي بصلاته والناس يصلون بصلاة أبي بكر؟ فقال برأسه: نعم). [رواه البخاري ومسلم].

وعن أنس بن مالك قال لم يخرج النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثاً، فأقيمت الصلاة فذهب أبو بكر يتقدم، فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم بالحجاب فرفعه، فلما وضح وجه النبي صلى الله عليه وسلم، ما نظرنا منظراً كان أعجب إلينا من وجه النبي صلى الله عليه وسلم حين وضح لنا، فأومأ النبي

صلى الله عليه وسلم بيده إلى أبي بكر أن يتقدم، وأرخى النبي صلى الله عليه وسلم الحجاب فلم يُقدَر عليه حتى مات. [رواه البخاري ومسلم].

وعن هشام عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان في مرضه جعل يدور في نسائه ويقول: (أين أنا غداً؟ أين أنا غداً؟)) حرصاً على بيت عائشة، قالت عائشة: فلما كان يومي سكن. [البخاري].

وقالت عائشة رضي الله عنها: كان إذا اشتكى نفث على نفسه بالمعوذات ومسح عنه بيده، فلما اشتكى وجعه الذي توفي فيه طفقت أنفث على نفسه بالمعوذات التي كان ينفث، وأمسح بيد النبي صلى الله عليه وسلم عنه. [رواه البخاري ومسلم].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما حُضِر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب قال النبي صلى الله عليه وسلم: (هلم أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده)، فقال عمر: إن النبي صلى الله عليه وسلم قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله، فاختلف أهل البيت فاختصموا، منهم من يقول: قربوا، يكتب لكم النبي صلى الله عليه وسلم كتاباً لن تضلوا بعده، ومنهم من يقول ما قال عمر، فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند النبي صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قوموا عني).

قال عبيد الله فكان ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم. [رواه البخاري ومسلم].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لددنا النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه فقال: (لا تلدوني) فقلنا: كراهية المريض للدواء، فلما أفاق قال: (لا يبقى أحد منكم إلا لُد غير العباس فإنه لم يشهدكم) رواه البخاري ومسلم.

قال ابن حجر: "قوله: (لددناه) أي: جعلنا في جانب فمه دواء بغير اختياره, وهذا هو اللّدود. وفي قوله: (فجعل يشير إلينا أن لا تلدّوني) فقلنا: (كراهية المريض للدّواء)، وإنّما أنكر التّداوي لأنّه كان غير ملائم لدائه, لأنّهم ظنّوا أنّ به ذات الجنب، فداووه بما يلائمها, ولم يكن به ذلك) [فتح الباري (147/8)].

شدة وجعه صلى الله عليه وسلم:

قالت عائشة رضي الله عنها : (ما رأيت رجلاً أشد عليه الوجع من رسول الله صلى الله عليه وسلم). [رواه البخاري ومسلم].

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوعك وعكاً شديداً فمسسته بيدي، فقلت: يا رسول الله، إنك لتوعك وعكاً شديداً! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أجل، إني أوعك كما يوعك رجلان منكم)، فقلت: ذلك أن لك أجرين؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أجل)، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه إلا حط الله به سيئاته كما تحط الشجرة ورقها) [البخاري (5648)، مسلم (2571)].

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يموت، وعنده قدح فيه ماء يدخل يده في القدح ويمسح وجهه بالماء وهو يقول: (اللهم أعني على سكرات الموت) [أحمد والترمذي وابن ماجه].

وعن أنس رضي الله عنه قال لما ثقل النبي صلى الله عليه وسلم جعل يتغشاه فقالت فاطمة: وا كرب أباه، فقال لها: ((ليس على أبيك كرب بعد اليوم)) [البخاري].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن أمه أم الفضل قالت: خرج إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عاصب رأسه في مرضه، فصلى المغرب، فقرأ بالمرسلات قالت: فما صلاها بعد حتى لقي الله. [البخاري (4429)، مسلم (462)].

مدة مرضه صلى الله عليه وسلم:

قال ابن حجر: "اختُلف أيضاً في مدة مرضه عليه السلام، فالأكثر على أنها ثلاثة عشر يوماً، وقيل بزيادة يوم وقيل بنقصه... وقيل: عشرة أيام، وبه جزم سليمان التيمي في مغازيه، وأخرجه البيهقي بإسناد صحيح". [فتح الباري (736/7)].

وصاياه ﷺ في مرض وفاته

لا ريب أن أقوال النبي صلى الله عليه وسلم جميعاً موضع للعبرة والعظة، لكنه صلى الله عليه وسلم اختص أمته ببعض النصح وهو في مرض موته، وهو مقبل على الآخرة مدبر عن الدنيا، فما هي آخر وصاياه صلى الله عليه وسلم؟

عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في مرضه الذي مات فيه: ((لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مسجداً))، قالت: ولولا ذلك لأبرزوا قبره، غير أني أخشى أن يتخذ مسجداً. [البخاري (1330)، مسلم (531)].

وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول: يوم الخميس، وما يوم الخميس! ثم بكى حتى بلّ دمعه الحصى، قلت: يا أبا عباس، ما يوم الخميس؟ قال: اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه فقال: ((ائتوني بكتف أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده أبداً))، فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع... فقال: ((ذروني، فالذي أنا فيه خير مما تدعونني إليه))، فأمرهم بثلاث قال: ((أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم))، والثالثة خير، إما أن سكت عنها، وإما أن قالها فنسيتها. [البخاري (3053)، مسلم (1637)].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه بملحفة قد عصب بعصابة دسماء حتى جلس على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ((أما بعد فإن الناس يكثرون ويقل الأنصار حتى يكونوا في الناس بمنزلة الملح في الطعام، فمن ولي منكم شيئاً يضر فيه قوماً وينفع فيه آخرين فليقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم))، فكان آخر مجلس جلس به النبي صلى الله عليه وسلم. [البخاري (3628)].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كشف رسول الله صلى الله عليه وسلم الستارة والناس صفوف خلف أبي بكر فقال: ((أيها الناس، إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو تُرى له، ألا وإني نهيت أن أقرأ القرآن راكعاً أو ساجداً، فأما الركوع فعظموا فيه الرب عز وجل، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء، فقَمِنٌ أن يستجاب لكم)) [البخاري (479)].

وعن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في مرضه الذي توفي فيه: (الصلاةَ وما ملكت أيمانكم)، فما زال يقولها حتى ما يفيض بها لسانه. [ابن ماجه (1625)].

قال السندي: "قوله: (الصّلاة) أي الزموها واهتمّوا بشأنها ولا تغفلوا عنها، (وما ملكت أيمانكم) من الأموال أي أدّوا زكاتها ولا تسامحوا فيها... ويحتمل أن يكون وصيّة بالعبيد والإماء أي: أدّوا حقوقهم وحسن ملكتهم، فإنّ المتبادر من لفظ: ما ملكت الأيمان في عرف القرآن هم العبيد والإماء.

قوله: (حتّى ما يفيض بها لسانه) أي: ما يجري ولا يسيل بهذه الكلمة لسانه، من فاض الماء إذا سال وجرى حتّى لم يقدر على الإفصاح بهذه الكلمة" [حاشية السندي على ابن ماجه (1625)].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كانت عامة وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حضرته الوفاة وهو يغرغر بنفسه: (الصلاة وما ملكت أيمانكم) [ابن ماجه (2697)].

اليوم الأخير من حياته ﷺ وكم كان عمره ﷺ؟

عن أنس بن مالك الأنصاري أن أبا بكر كان يصلي لهم في وجع النبي صلى الله عليه وسلم الذي توفي فيه، حتى إذا كان يوم الاثنين وهم صفوف في الصلاة، فكشف النبي صلى الله عليه وسلم ستر الحجرة ينظر إلينا، وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف، ثم تبسم يضحك، فهممنا أن نفتتن من الفرح برؤية النبي صلى الله عليه وسلم، فنكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصف، وظن أن النبي صلى الله عليه وسلم خارج إلى الصلاة، فأشار إلينا النبي صلى الله عليه وسلم أن أتموا صلاتكم وأرخى الستر،

فتوفي من يومه. [البخاري (680)، مسلم (419)]، وفي رواية أخرى: وتوفي من آخر ذلك اليوم. [البخاري (754)].

قال ابن كثير: "وهذا الحديث في الصحيح، وهو يدل على أن الوفاة وقعت بعد الزوال، وذهب النووي وابن رجب إلى أنه توفي ضحى ذلك اليوم" [البداية (223/5)، وانظر: تهذيب الأسماء واللغات للنووي (ص 23)، لطائف المعارف (ص 113)].

وكانت عائشة رضي الله عنها تقول: إن من نعم الله علي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري، وأن الله جمع بين ريقي وريقه عند موته، دخل عليَّ عبد الرحمن وبيده السواك، وأنا مسندة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرأيته ينظر إليه، وعرفت أنه يحب السواك، فقلت: آخذه لك، فأشار برأسه أن نعم، فتناولته، فاشتد عليه، وقلت: ألينه لك، فأشار برأسه أن نعم، فلينته فأمره وبين يديه ركوة أو علبة –يشك عمر– فيها ماء، فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه يقول: ((لا إله إلا الله، إن للموت سكرات))، ثم نصب يده فجعل يقول: ((في الرفيق الأعلى)) حتى قبض ومالت يده. [البخاري (4449،5217)، مسلم (2443)].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن الله عز وجل تابع الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل وفاته حتى توفي، وأكثر ما كان الوحي يوم توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم. [البخاري (4982)، مسلم (3016)].

وعن عائشة رضي الله عنها أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قبل أن يموت وهو مسند إلى صدرها وأصغت إليه وهو يقول: ((اللهم اغفر لي وارحمني وألحقني بالرفيق)) [البخاري (2444)، مسلم (4440)].

قالت: فلما نزل به ورأسه على فخذي غشي عليه، ثم أفاق فأشخص بصره إلى سقف البيت، ثم قال: (اللهم الرفيق الأعلى)، قالت: فكانت آخر كلمة تكلم بها (اللهم الرفيق الأعلى) [البخاري (4463)، مسلم (2444)].

قال ابن حجر: "وكانت وفاته يوم الاثنين بلا خلاف من ربيع الأول، وكاد يكون إجماعاً... ثم عند ابن إسحاق والجمهور أنها في الثاني عشر منه، وعند موسى بن عقبة والليث والخوارزمي وابن زبر مات لهلال ربيع الأول، وعند أبي مخنف والكلبي في ثانيه ورجحه السهيلي"، وهذا الأخير هو الذي اعتمده الحافظ. [فتح الباري (736/7)].

عُمْر النبي صلى الله عليه وسلم عندما انتقل إلى الرفيق الأعلى:

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم توفي وهو ابن ثلاث وستين. [متفق عليه].

وصح مثله عن ابن عباس رضي الله عنهما. [رواه البخاري].

وفي رواية أخرى عن ابن عباس: توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن خمس وستين. [رواه مسلم].

وصح عن أنس رضي الله عنه أنها ستون سنة. [رواه البخاري].

وجمع النووي بين الأقوال، فقال: "توفي صلى الله عليه وسلم وله ثلاث وستون سنة، وقيل: خمس وستون سنة، وقيل: ستون سنة، والأول أصح وأشهر، وقد جاءت الأقوال الثلاثة في الصحيح.

قال العلماء: الجمع بين الروايات أن من روى ستين لم يعد معها الكسور، ومن روى خمساً وستين عد سنتي المولد والوفاة، ومن روى ثلاثاً وستين لم يعدهما، والصحيح ثلاث وستون". [تهذيب الأسماء واللغات للنووي (ص23)].

غسله ﷺ وتكفينه ودفنه

قالت عائشة رضي الله عنها: لما أرادوا غسل النبي صلى الله عليه وسلم قالوا: والله، ما ندري أنجرد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثيابه كما نجرد موتانا أم نغسله وعليه ثيابه؟ فلما اختلفوا ألقى الله عليهم النوم حتى ما منهم رجل إلا وذقنه في صدره، ثم كلمهم مكلِّم من ناحية البيت لا يدرون من هو أن اغسلوا النبي صلى الله عليه وسلم وعليه ثيابه، فقاموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فغسلوه وعليه قميصه، يصبون الماء فوق القميص ويدلكونه بالقميص دون أيديهم، وكانت عائشة تقول: (لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما غسله إلا نساؤه). [أبو داود (3141)].

وعنها رضي الله عنها قالت: دخلتُ على أبي بكر رضي الله عنه فقال: في كم كفنتم النبي صلى الله عليه وسلم؟ قالت: في ثلاثة أثواب بيض سحولية، ليس فيها قميص ولا عمامة، وقال لها: في أي يوم توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت: يوم الاثنين، قال: (فأي يوم هذا؟) قالت: يوم الاثنين، قال: ((أرجو فيما بيني وبين الليل))، فنظر إلى ثوب عليه كان يمرَّض فيه به ردع من زعفران، فقال: (اغسلوا ثوبي هذا وزيدوا عليه ثوبين، فكفنوني فيها)، قلت: إن هذا خلق، قال: (إن الحي أحق بالجديد من الميت، إنما هو للمهلة)، فلم يتوف حتى أمسى من ليلة الثلاثاء، ودفن قبل أن يصبح. [البخاري (1387)].

قال ابن كثير: "والمشهور عن الجمهور ما أسلفناه من أنه عليه السلام توفي يوم الاثنين ودفن ليلة الأربعاء" [البداية (237/5)].

سئل أبو عسيب وقد شهد الصلاة على رسول الله: كيف صلِّي عليه؟ قال: فكانوا يدخلون من هذا الباب فيصلون عليه ثم يخرجون من الباب الآخر. [أحمد (20242)].

وعن سعيد بن المسيب قال: لما توفي رسول الله وضع على سريره، فكان الناس يدخلون زمراً زمراً يصلون عليه ويخرجون ولم يؤمهم أحد. [مصنف ابن أبي شيبة (430/7)]

قال ابن كثير: "وهذا الصنيع ـ وهو صلاتهم عليه فرادى لم يؤمهم أحد عليه ـ أمر مجمع عليه لا خلاف فيه" [البداية (232/5)].

وعن أنس بن مالك قال: لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم كان بالمدينة رجل يلحد وآخر يضرح، فقالوا: نستخير ربنا ونبعث إليهما، فأيهما سبق تركناه، فأرسل إليهما، فسبق صاحب اللحد، فلحدوا للنبي صلى الله عليه وسلم. [ابن ماجه (1557)]

وعن أبي مرحب أن عبد الرحمن بن عوف نزل في قبر النبي صلى الله عليه وسلم قال: كأني أنظر إليهم أربعة.

قال ابن إسحاق: "وكان الذين نزلوا في قبر رسول الله علي بن أبي طالب والفضل بن عباس وقثم بن عباس وشقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم" [انظر: سيرة ابن هشام (418/4)].

وعن أنس بن مالك قال: ولما نفضنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الأيدي، وإنا لفي دفنه حتى أنكرنا قلوبنا. [الترمذي (3618)، ابن ماجه (1631)].

حزن الصحابة على فقد حبيبهم ﷺ

قال ابن رجب: "ولما توفي اضطرب المسلمون، فمنهم من دهش فخولط، ومنهم من أقعد فلم يطق القيام، ومنهم من اعتقل لسانه فلم يطق الكلام، ومنهم من أنكر موته بالكلية" [لطائف المعارف (ص114)].

عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات وأبو بكر بالسُّنح.. فقام عمر يقول: والله ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم. قالت: وقال عمر: والله ما كان يقع في نفسي إلا ذاك، وليبعثنَّه الله فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم، فجاء أبو بكر فكشف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبله، قال: بأبي أنت وأمي طبت حياً وميتاً، والذي نفسي بيده لا يذيقك الله الموتتين أبداً. ثم خرج فقال: أيها الحالف على رسلك، فلما تكلم أبو بكر جلس عمر، فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه وقال: (ألا من كان يعبد محمداً صلى الله عليه وسلم فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت)، وقال: {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَّيِّتُونَ}، وقال: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ }، فنشج الناس يبكون. [البخاري (3670)]

وعن أنس أن فاطمة بكت على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مات فقالت: (يا أبتاه، من ربُّه ما أدناه، يا أبتاه، إلى جبريل ننعاه، يا أبتاه جنة الفردوس مأواه) [النسائي (1844)]

ويقول أنس رضي الله عنه: (قلّ ليلة تأتي علي إلا وأنا أرى فيها خليلي عليه السلام) ويقول ذلك وتدمع عيناه. [أحمد (12855)]

وعن عائشة رضي الله عنها أن أبا بكر دخل على النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته فوضع فمه بين عينيه، ووضع يديه على صدغيه، وقال: (وا نبياه، وا خليلاه، وا صفياه) [أحمد (23509)].

ولما دفن قالت فاطمة عليها السلام: (يا أنس، أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب؟!) [البخاري (4462)].

وقال أنس: (فما رأيت يوما قط أنور ولا أحسن من يوم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر المدينة، وشهدت وفاته فما رأيت يوماً قط أظلم ولا أقبح من اليوم الذي توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه) [أحمد (11825)].

قال أبو ذؤيب الهذلي: قدمت المدينة ولأهلها ضجيج بالبكاء كضجيج الحجيج أهلوا جميعاً بالإحرام، فقلت: مه؟! فقالوا: قبض رسول الله عليه وسلم. [انظر: فتح الباري (580/8)].

وقال عثمان: توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فحزن عليه رجال من أصحابه حتى كان بعضهم يوسوس، فكنت ممن حزن عليه، فبينما أنا جالس في أطم من آطام المدينة – وقد بويع أبو بكر – إذ مر بي عمر فسلم علي، فلم أشعر به لما بي من الحزن. [الطبقات الكبرى (84/2)].

لكن حزن الصحابة وعظيم المصاب لم يخرجهم عن الصبر والتصبر إلى النواح والجزع، قال قيس بن عاصم: (لا تنوحوا علي، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يُنَح عليه). [النسائي (1851)].

شذرات مما قاله الصحابة وغيرهم في رثاء النبي ﷺ

قال الحافظ أبو القاسم السهيلي في آخر كتابه " الروض " :

وقال أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب يبكي رسول الله صلى الله عليه وسلم :

أرقت فبات ليلي لا يزول ... وليل أخي المصيبة فيه طول

وأسعدني البكاء وذاك فيما ... أصيب المسلمون به قليل

لقد عظمت مصيبتنا وجلت ... عشية قيل قد قبض الرسول

وأضحت أرضنا مما عراها ... تكاد بنا جوانبها تميل

فقدنا الوحي والتنزيل فينا ... يروح به ويغدو جبرئيل

وذاك أحق ما سالت عليه ... نفوس الناس أو كربت تسيل

نبي كان يجلو الشك عنا ... بما يوحى إليه وما يقول

ويهدينا فلا نخشى ضلالا ... علينا والرسول لنا دليل

أفاطم إن جزعت فذاك عذر ... وإن لم تجزعي ذاك السبيل

فقبر أبيك سيد كل قبر ... وفيه سيد الناس الرسول

وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه:

ما بال عيني لا تنام كأنها ... كحلت مآقيها بكحل الأرمد؟

جزعا على المهدي أصبح ثاويا ... يا خير من وطئ الحصى لا تبعد

جنبي يقيك الترب لهفي ليتني ... غيبت قبلك في بقيع الغرقد

أأقيم بعدك بالمدينة بينهم؟ ... يا لهف نفسي ليتني لم أولد

بأبي وأمي من شهدت وفاته في يوم الاثنين النبي المهتدي

فظللت بعد وفاته متلددا يا ليتني أسقيت سم الأسود

يا بكر آمنة المبارك ذكره ولدتك محصنة بسعد الأسعد

نورا أضاء على البرية كلها من يهد للنور المبارك يهتد

والله أسمع ما حييت بهالك إلا بكيت على النبي محمد

صلى الإله ومن يحف بعرشه والطيبون على النبي محمد

ومما قيل في رثائه صلى الله عليه وسلم:

وهل عدلت يوما رزيئة هالك رزيئة يوم مات فيه محمد

وما فقد الماضون مثل محمد ولا مثله حتى القيامة يفقد

وقال أبو بكر الصديق– رضي الله تعالى عنه– فيما ذكره ابن سعد يرثيه صلى الله عليه وسلم :

أجدك ما لعينك لا تنام كأن جفونها فيها كلام

بوقع مصيبة عظمت وجلت فدمع العين أهونه انسجام

فجعنا بالنبي ، وكان فينا مقدمنا ، وسيدنا الإمام

وكان قوامنا ، والرأس فينا فنحن اليوم ليس لنا قوام

ننوح ونشتكي ما قد لقينا ويشكو فقده البلد الحرام

كأن أنوفنا لاقين جدعا لفقد محمد ، فيها اصطلام

لفقد أغر أبيض هاشمي إمام نبوة ، ربه الختام

أمين ، مصطفى ، للخير يدعو كضوء البدر زايله الظلام

سأتبع هديه ما دمت حيا طوال الدهر ما سجع الحمام

كأن الأرض بعدك طار فيها فأشعلها لساكنها ضرام

وفقد الوحي إذ وليت عنا ووودعنا من الله الكلام

سوى أن قد تركت لنا سراجا تواريه القراطيس الكرام

لقد ورثتنا مرآة صدق عليك به التحية والسلام

من الرحمن في أعلى جنان من الفردوس طاب بها المقام

رفيق أبيك إبراهيم فيه وما في مثل صحبته ندام

وإسحاق وإسماعيل فيه بما صلوا لربهم وصاموا

وقال أيضا– رضي الله تعالى عنه– ورحمه :

يا عين فابكي ولا تسأمي وحق البكاء على السيد !

على خير خندف عند البلا ء أمسى يغيب في الملحد

فصلى المليك ولي العباد ورب البلاد على أحمد

فكيف الحياة لفقد الحبيب وزين المعاشر في المشهد ؟

فليت الممات لنا كلنا وكنا جميعا مع المهتدي !

وقال أبو بكر– رضي الله تعالى عنه– فيما ذكره ابن سعد :

لما رأيت نبينا متجدلا ضاقت علي بعرضهن الدور

وارتعت روعة مستهام واله ، والعظم مني واهن مكسور

أعتيق ويحك ! إن حبك قد ثوى وبقيت منفردا وأنت حسير

يا ليتني من قبل مهلك صاحبي غيبت في جدث علي صخور !

فلتحدثن بدائع من بعده ، تعيا بهن جوانح وصدور

وقال أبو بكر أيضا : فيما ذكره ابن سعد :

باتت تأوبني هموم حُشَّدٌ مثل الصخور فأمست هدت الجسدا

يا ليتني حيث نبئت الغداة به قالوا الرسول قد أمسى ميتا فقدا

ليت القيامة قامت بعد مهلكه ولا نرى بعده مالا ولا ولدا !

والله أثني على شيء فجعت به من البرية حتى أدخل اللحدا

كم لي بعدك من هم ينصبني إذا تذكرت أني لا أراك أبدا !

كان المصفاء في الأخلاق قد علموا وفي العفاف فلم نعدل به أحدا

نفسي فداؤك من ميت ومن بدن ما أطيب الذكر والأخلاق والجسدا !

وقال عبد الله بن أنيس– رضي الله تعالى عنه– فيما ذكره ابن سعد :

تطاول ليلي واعترتني القوارع وخطب جليل للبلية جامع !

عذاة نعى الناعي إلينا محمدا وتلك التي تستك منها المسامع

فلو رد ميتا قتل نفسي قتلتها ولكنه لا يدفع الموت دافع

فآليت لا أثني على هلك هالك من الناس ، ما أوفى ثبير وفارع

ولكنني باك عليه ومتبع مصيبته . إني إلى الله راجع !

وقد قبض الله النبيين قبله وعاد أصبيت بالرزى والتبابع

فيا ليت شعري ! من يقوم بأمرنا ؟ وهل في قريش من إمام ينازع ؟

ثلاثة رهط من قريش هم هم أزمة هذا الأمر ، والله صانع

علي أو الصديق أو عمر لها وليس لها بعد الثلاثة رابع !

فإن قال منا قائل غير هذه أبينا ، وقلن : الله راء وسامع

فيا لقريش ! قلدوا الأمر بعضهم ، فإن صحيح القول للناس نافع

ولا تبطئوا عنها فواقا فإنها إذا قطعت لم يمن فيها المطامع

وقال حسان بن ثابت– رضي الله تعالى عنه– فيما ذكره ابن سعد :

يا عين جودي بدمع منك إسبال ! ولا تملن من سح وإعوال !

لا ينفدن لي بعد اليوم دمعكما ، إني مصاب وإني لست بالسالي

فإن منعكما من بعد بذلكما إياي مثل الذي قد غر بالآل !

لكن أفيضي على صدري بأربعة ، إن الجوانح فيها هاجس صالي

سح الشعيب وماء الغرب يمنحه ساق يحمله ساق بإزلال

حامي الحقيقة نسال الوديقة فك اك العناة ، كريم ماجد عال

على رسول لنا محض ضريبته ، سمح الخليقة ، عف غير مجهال !

كشاف مكرمة ، مطعام مسغبة وهاب عانية وجناء شملال !

عف مكاسبه ، جزل مواهبه ، خير البرية سمح غير نكال !

واري الزناد وقواد الجياد إلى يوم الطراد ، إذا شبت بأجذال

ولا أزكي على الرحمن ذا بشر لكن علمك عند الواحد العالي !

إني أرى الدهر والأيام يفجعني بالصالحين ، وأبقى ناعم البال !

يا عين فابكي رسول الله إذ ذكرت ذات الإله ، فنعم القائد الوالي !

وقال عمر بن الخطاب – رضي الله تعالى عنه– :

ما زالت مذ وضع الفراش لجنبه وثوى مريضا خائفا أتوقع

شفقا عليه أن يزول مكانه عنا ، فنبقى بعده نتوجع

نفسي فداؤك من لنا في أمرنا أو من نشاوره إذا فترجع

وإذا تحدثنا الحوادث : من لنا بالوحي من رب رحيم يسمع

ليت السماء تفطرت أكنافها وتناثرت فيها النجوم الطلع

لما رأيت الناس هد جميعهم صوت ينادي بالنعي فيسمع

وسمعت صوتا قبل ذلك هدني عباس ينعاه بصوت يقطع

فليبكه أهل المدائن كلها والمسلمون بكل أرض تجدع

وقال علي بن أبي طالب– رضي الله تعالى عنه– :

ألا طرق الناعي بليل فراعني وأرقني لما استهل مناديا

فقلت له لما رأيت الذي أتى أغير رسول الله أصبحت ناعيا

فحقق ما أشفيت منه ولم يبل وكان خليلي عدتي وجماليا

فوالله ، لا أنساك أحمد ما مشت بي العيس في أرض وجاوزت واديا

وكنت متى أهبط من الأرض تلعة أجد أثرا منه جديدا وعافيا

جواد تشظى الخيل عنه كأنما يرين به ليثا عليهن ضاريا

من الأسد قد أحمي العرين مهابة تفادى سباع الأرض منه تفاديا

شديد جري النفس نهد مصدر هو الموت مغدو عليه وغاديا

وقال عمر بن الخطاب – رضي الله تعالى عنه– فيما كان منه يومئذ :

لعمري لقد أيقنت أنك ميت ولكنما أبدي الذي قلته الجزع

وقلت يغيب الوحي عنا لفقده كما غاب موسى ثم يرجع كما رجع

وكان هواي أن تطول حياته وليس لحي في بكا ميت طمع

فلما كشفنا البرد عن حر وجهه إذا الأمر بالجزع المرعب قد وقع

فلم يك لي عند المصيبة حيلة أرد بها أهل الشماتة والقزع

سوى إذن الله في كتابه وما أذن الله العباد به يقع

وقد قلت من بعد المقالة قولة لها في حلوق الشامتين به بشع

ألا إنما كان النبي محمد إلى أجل وافى به الموت فانقطع

ندين على العلات منا بدينه ونعطي الذي أعطى ونمنع ما منع

ووليت محزونا بعين سخينة أكفكف دمعي والفؤاد قد انصدع

وقلت لعيني كل دمع دخرته فجودي به إن الشجي له دفع

قالت صفية بنت عبد المطلب ترثي رسول الله صلى الله عليه وسلم:

ألا يا رسول الله كنت رجاءنا وكنت بنا برا ولم تك جافيا

وكان بنا برا رحيما نبينا ليبك عليك اليوم من كان باكيا

لعمري ما أبكي النبي لموته ولكن لهرج كان بعدك آتيا

كان على قلبي لفقد محمد ومن حبه من بعد ذاك المكاويا

أفاطم صلى الله ربُّ محمد على جدث أمسى بيثرب ثاويا

أرى حسنا أيتمته وتركته يبكي ويدعو جده اليوم نائيا

فدى لرسول الله أمي وخالتي وعمي ونفسي قصره وعياليا

صبرت وبلغت الرسالة صادقاً ومت صليب الدين أبلج صافيا

فلو أن رب العرش أبقاك بيننا سعدنا ولكن أمره كان ماضيا

عليك من الله السلام تحية وأدخلت جنات من العدن راضيا.

وقالت أروى بنت عبد المطلب رضي الله تعالى عنها :

ألا يا عين ! ويحك أسعديني بدمعك ، ما بقيت ، وطاوعيني

ألا يا عين ويحك ! واستهلي على نور البلاد وأسعديني !

فإن عذلتك عاذلة فقولي علام وفيم ، ويحك ! تعذليني ؟

على نور البلاد معا جميعا رسول الله أحمد فاتركيني

فإلا تقصري بالعذل عني فلومي ما بدا لك أو دعيني !

لأمر هدني وأذل ركني وشيب بعد جدتها قروني !

وقالت أيضا– رضي الله تعالى عنها– :

ألا يا رسول الله ، كنت رجاءنا وكنت بنا برا ولم تك جافيا !

وكنت بنا روفا رحيما نبينا ليبك عليك اليوم من كان باكيا !

لعمرك ، ما أبكي النبي لموته ولكن لهرج كان بعدك آتيا

كأن على قلبي لذكر محمد ، وما خفت من بعد النبي المكاويا

أفاطم ، صلى الله ، رب محمد على جدث أمسى بيثرب ثاويا !

أبا حسن ، فارقته وتركته فبك بحزن آخر الدهر شاجيا !

فدا لرسول الله أمي وخالتي وعمي ونفسي قصرة ثم خاليا

صبرت وبلغت الرسالة صادقا وقمت صليب الدين أبلج صافيا .

فلو أن رب الناس أبقاك بيننا سعدنا ، ولكن أمرنا كان ماضيا !

عليك من الله السلام تحية ، وأدخلت جنات من العدن راضيا !

وقال كعب بن مالك– رضي الله تعالى عنه– :

وباكية حراء تحزن بالبكا وتلطم منها خدها والمقلدا

على هالك بعد النبي محمد ولو علمت لم تبك إلا محمدا

فجعنا بخير الناس حيا وميتا وأدناه من رب البرية مقعدا

وأفظعهم فقدا على كل مسلم وأعظمهم في الناس كلهم يدا

لقد ورثت أخلاقه المجد والثقى فلم تلقه إلا رشيدا ومرشدا

وقالت صفية بنت عبد المطلب– رضي الله تعالى عنها– :

لهف نفسي ! وبت كالمسلوب آرق الليل فعلة المحروب !

من هموم وحسرة ردفتني ليت أني سقيتها بشعوب !

حين قالوا : إن الرسول قد أمسى وافقته منية المكتوب !

إذ رأينا أن النبي صريع فأشاب القذال أي مشيب

إذ رأينا بيوته موحشات ليس فيهن بعد عيش حبيبي

أورث القلب ذاك حزنا طويلا خالط القلب ، فهو كالمرعوب

ليت شعري ! وكيف أمسي صحيحا بعد أن بين بالرسول القريب ؟

أعظم الناس في البرية حقا سيد الناس حبه في القلوب

فإلى الله ذاك أشكو وحسبي يعلم الله حوبتي ونحيبي !

وقالت عاتكة بنت عبد المطلب رضي الله تعالى عنهما :

عيني ، جودا طوال الدهر واهمرا سكبا وسحا بدمع غير تعذير !

يا عين ، فاسحنفري بالدمع واحتفلي حتى الممات بسجل غير منزور

يا عين فاهملي بالدمع واجتهدي للمصطفى ، دون خلق الله ، بالنور

بمستهل من الشؤبوب ذي سيل فقد رزئت نبي العدل والخير !

وكنت من حذر للموت مشفقة والذي خط من تلك المقادير !

من فقد أزهر ضافي الخلق ذي فخر صاف من العيب والعاهات والزور !

فاذهب حميدا ! جزاك الله مغفرة ، يوم القيامة ، عند النفخ في الصور

الخاتمة

قال أحد المشتاقين:

ازداد الشوق يا رسول الله إلى نبعك الصافي وذوقك السليم الرفيع وذكائك المفرط وعقلك الزائد وأدبك الجم وهمتك العالية وحكمتك الناضجة ورحمتك الواسعة وخلقك العظيم {وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم:4].

يقول الإمام السيوطي رحمه الله: "اعلم بأن الذوق السليم نتيجة الذكاء المفرط، والذكاء المفرط نتيجة العقل الزائد، والعقل الزائد سر أسكنه الله في أحب الخلق إليه، وأحب الخلق إليه الأنبياء وخلاصة الأنبياء نبينا محمد ﷺ".

ازداد الشوق إليك رسول الله في كل وقت وحين ولإخواننا المهاجرين والأنصار كما اشتقت إلينا فقلت: «وددت أني لقيت إخواني»، قلنا: يا رسول الله، ألسنا إخوانك؟ قال: (أنتم أصحابي وإخواني قوم يجيئون من بعدي، يؤمنون بي ولم يروني) ثم قال: «يا أبا بكر ألا تحب قوما بلغهم أنك تحبني فأحبوك فأحبهم أحبهم الله» (مسلم:331/7).

ازداد الشوق إليك رسول الله اشتياق المحب المبعد المكلوم كما اشتاق جذع النخلة وأنّ حنينًا إليك، وسلّم الشجر والحجر عليك، وسبح الحصى حمدًا لربه بين بيدك، ونبع الماء بين أصابعك، وانقاد الشجر زحفًا إليك.

ازداد الشوق رسول الله وقد رمتنا الدنيا عن قوس واحدة، وتداعت علينا الأمم شرقها وغربها كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها، والقريب من بني جلدتنا يقنصنا بسهام الغدر، وتحكم الخونة والعملاء ورعاة الشاة في مصير أمتنا، ووسد الأمر على غير أهله، واختلطت المفاهيم وضاعت القيم والثوابت،

وتنكرت لنا الأرض وضاقت علينا أنفسنا؛ (يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها). فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: «بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله في قلوبكم الوهن». فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: (حب الدنيا وكراهية الموت) (صحيح أبي داوود:4297).

ازداد الشوق رسول الله وقد نُزعت الرحمة من بيننا وفُقدت الإنسانية في مجتمعاتنا وصار بأسنا بيننا، أشداء على بعضنا، جبناء بين أيدي أعداءنا. ولكنا على العهد حتى نلقاك على الحوض غير مبدلين ولا مغيرين ما بقينا أبدًا صدعًا بكلمة الحق وصبرًا وثباتًا على الطريق لإقامة الحجة على العباد وسعيًا لإصلاح الدنيا وعز الدين وحرية الأوطان وبناء الإنسان بغرس الإيمان في النفوس إيجادًا للفرد المسلم وتكوينًا للبيت المسلم وإرشادًا للمجتمع وتحريرًا للأوطان والحكومات من سطوة التبعية للقيام بوظيفتها الأساسية بإقامة الحق والعدل بين الأنام وجمع شتات المؤمنين بخلافة راشدة وأستاذية العالم حتى يشرق ميلاد فجر جديد. وسلوانا في الصلاة والسلام عليك والاستنان بسنتك واقتفاء آثرك والسير على هُداك شعارنا "لبيك فهمًا شاملًا سيرًا على نهج الرسول".

وأملنا في الله لا ينقطع، موعودون بالنصر والتمكين، بعز عزيز أو بذل ذليل اللهم ادفع عنا كيد الأعداء ؛ واحفظنا واصرف عنا هذا البلاء واحفظنا يا مولانا من كل غي؛ واصرف عنا باغينا شرًا يا حي واجعلنا يا مولانا من أهل السعد ؛ حتى نبني بالتقوى أركان المجد ونمد الدنيا طرًا بجميل الرفد؛ وبأنوارك لا نبقي ظلمات الغي واصرف عنا باغينا شرًا يا حي (صلاة وسلامًا عليك يا حبيب الله، يا نور العين ومهجة الفؤاد ﷺ) ماهر جعوان المصدر: موقع طريق الإسلام.

فهارس المراجع

القرآن الكريم.

أولاً : كتب التفسير:

1/ تفسير الفرطبي.

2/ تفسير ابن كثير.

3/ أحكام القرآن – لأبي بكر بن العربي المالكي.

ثانياً : كتب الحديث النبوي الشريف والسير والتراجم:

1/ صحيح البخاري.

2/ صحيح مسلم.

3/ سنن أبي داود.

4/ سنن الترمذي

5/ سنن النسائي.

6/ سنن ابن ماجه.

7/ موطأ مالك.

8/ صحيح ابن خزيمة.

9/ صحيح ابن حبان.

10/ السنن الكبرى – للبيهقي.

11/ مصنف ابن أبي شيبة.

12/ مصنف عبد الرزاق الصنعاني.

13/ الجامع الصغير – للسيوطي.

14/ المستدرك على الصحيحين – لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري.

15/ معجم الطبراني الأوسط.

16/ معجم الطبراني الكبير.

17/ مسند الإمام أحمد بن حنبل.

18/ فتح الباري – لابن حجر العسقلاني.

19/ عون المعبود شرح سنن أبي داود.

20/ الرحيق المختوم – للمباركفوري.

21/ السيرة – لابن هشام.

22/ الشفا بتعريف حقوق المصطفى – للقاضي عياض اليحصبي.

23/ خصائص سيد العالمين وما له من المناقب العجائب على جميع الأنبياء عليهم السلام – تأليف العلامة جمال الدين يوسف بن محمد بن مسعود بن محمد بن علي السُّرَّمَرِّي.

بحوث ومقالات من الشبكة العنكبوتية :

1/ موقع شبكة الألوكة الشرعية.

2/ موقع إسلام أون لاين.

3/ موقع الشبكة الإسلامية.

4/ موقع الموسوعة الحديثية – الدرر السنية.

5/ موقع طريق الإسلام.

6/ موقع الإسلام سؤال وجواب.

7/ موقع الألوكة الأدبية واللغوية .

فهارس المحتويات

م	الموضوع	الصفحة
1	المقدمة.	4
2	الرسالة الأولى :مَعْرِفَتُكَ بِمَنْزَلتِهِ عِندَ ربِّهِ تَجْعلُكَ تُوقِّرُه وتشتاقُ إِليَه ﷺ. ستجد فيها:	6
3	قبس من ثناء الله تعالى عليه ﷺ في القرآن الكريم.	7
4	أبيات من القصيدة الوترية لأبي بكر البغدادي رحمه الله تعالى.	10
5	إحدى خصائصه العظيمة ﷺ.	12
6	الله تعالى يدعونا إلى التأدب معه ﷺ.	14
7	الرسالة الثانية :الإجابةُ عَنْ : لِماذا حَازَ النَّبيُّ ﷺ كُلَّ هذا الحبِّ؟ يَجْعلُكَ تُحبُّه وتشتاقُ إِليَه ﷺ؛ وستجد فيها:	17
8	جواب العلماء عن سؤالك لماذا كان النبي ﷺ محبوبا.	18
9	كلنا فداك يا رسول الله ؟.	21
10	قال باحث محب : أحبك يا رسول الله.	24
11	الرسالة الثالثة : اطِّلاعُكَ عَلَى شَوقِ المشتاقِينَ إِلَيْهِ ﷺ يُشوِّقُكَ إليهِ ﷺ. وستجد فيها:	27
12	قال أحد المشتاقين :أحبك يا رسول ﷺ فهل تقبل.	28

13	إطلالة على اشتياق الصحابة والتابعين ومن بعدهم لسيدنا رسول الله ﷺ.	30
14	قصيدة للشاعر محمد آل خليفة بعنوان : (بمحمد ﷺ أتعلق).	39
15	الرسالة الرابعة : مُعَامَلَتُه ﷺ لِأَصْحَابِهِ تَدْفَعُكَ إِلى مَحَبَّتِهِ والاشْتِيَاقِ إِلَيْهِ دَفْعاً؛ستجد فيها:	41
16	قال أحدالمحبين: يا سعد الأكوان بك سيدي رسول الله ﷺ.	42
17	معاملته ﷺ اللطيفة الراقية المؤثّرة مع جميع أصحابه رضي الله عنهم بلا استثناء.	44
18	ورحم الله تعالى القائل: وَاللهِ ما طَلَعَت شَمسٌ وَلا غَرُبَت * إِلّا وَحُبُّكَ مَقرونٌ بِأَنفاسي.	53
19	الرسالة الخامسة : نَذْرٌ يَسِيرٌ مِنْ دَلائِلِ نبوَّتِهِ ﷺ سَيَدلُّكُ عَلى عِظَمَتِهِ ويَدفَعُكَ إِلى مَحَبَّتِهِ ﷺ؛ ستجد فيها:	54
20	مدخل.	55
21	نذر يسير من دلائل نبوته ﷺ تشوقك لرؤيته.	56
22	إطلالة خاصة على المحبة الشديدة من بعض الصحابة والصحابيات له ﷺ.	60
23	الرسالة السادسة : شَفَقَتُه عَلى أُمَّتِهِ ﷺ تَجْعلُكَ تُحِبُّه وتَشتاقُ لِرؤْيَتِهِ ﷺ.ستجد فيها:	74
24	صور ومظاهر حب النبي ﷺ لأمته وشفقته عليها.	75
25	من العجائب والبشائر أن سيدنا محمد ﷺ يشتاق إلينا ويحبنا ويود أن يرانا.	85
26	إشارة إلى شئ من عظمته التي تدفعك إلى محبته ﷺ.	88
27	الرسالة السابعة :لَوْ تَجَوَّلْتَ في مَدِينَتِهِ وَدَخَلْتَ بَيْتَهُ ﷺ لَبَكَيْتَ شَوْقاً إِلَيْهِ ﷺ ؛وتحتوي على:	89
28	جولة في بلد الحبيب ﷺ.	90

29	جولة في بيت الحبيب ﷺ(طعامه وأثاثه).	95
30	إطلالة على تعامله ﷺ مع أهل بيته.	99
31	قصيدة السراج المنير في مدح النبي ﷺ للدكتور ناصر الزهراني.	103
32	الرسالة الثامنة : اطِّلاعُكَ عَلَى التَّأثِيرِ القَوِيِّ لِسيدِنَا النَّبِيِّ ﷺ فِي كُلِّ مَنْ عَرَفَه يَزِيدُكَ شَوْقاً إِلَيْهِ ﷺ؛وستجد فيها :	107
33	مدخل.	108
34	أنا وفيليب ومحمد .	109
35	لا تلوموا على حب النبي ﷺ.	121
36	قبسات من الشعر المعاصر في حبه ﷺ.	123
37	الرسالة التاسعة :لَوْ عَلِمْتَ مِقْدَارَ رَحْمَةِ النَّبِيِّ ﷺ لأَحْبَبْتَهُ أَكْثَرَ مِنْ نَفْسِكَ؛ وستقرأ فيها:	125
38	مدخل.	126
39	ثناء الله تعالى على الحبيب ﷺ بأنه رحمة.	127
40	من مظاهر رحمته ﷺ بالمؤمنين على اختلاف طبقاتهم في الدنيا.	130
41	من مظاهر رحمته ﷺ بأمته في الآخرة.	135
42	من مظاهر رحمته ﷺ بأعدائه.	136
43	من مظاهر رحمته ﷺ بالحيوانات.	139
44	الرسالة العاشرة :لَوْ عَلِمْتَ كَمالَ صِفاتِهِ ﷺ لأَحبَبْتَه مِنْ سُوَيداءِ قَلْبِكَ؛وستقرأ فيها:	142
45	كمال صفاته الظاهرة ﷺ.	143

46	كمال أخلاقه العظيمة ﷺ.	146
47	كمال أقواله ﷺ.	149
48	كمال أفعاله ﷺ.	152
49	قبس من همزية شوقي في وصف المكارم النبوية.	158
50	الرسالة الحادية عشرة : أَحبَّتْهُ جَمِيعُ الكَائِناتِ فَكَيفَ لَا تُحبُّه أَيُّها المؤْمنُ ولَا تَشْتاقُ إِلَيْهِ ﷺ ؛ وستجد فيها :	160
51	محبة الملائكة له ﷺ.	161
52	محبة الشجر له واشتياقها لرؤيته والقرب منه ﷺ.	165
53	محبة الجبال له واهتزازها فرحاً بصعوده ﷺ عليها.	168
54	طاعة جملة الجمادات الأخرى له ﷺ وفرحها به ﷺ.	170
55	مما قاله الشعراء في معجزات خاتم الأنبياء ﷺ.	173
56	الرسالة الثانية عشرة : اطِّلاعُكَ عَلَى قَصَصِ المُكْثِرِينَ مِن الصَّلاةِ عَلَيْه ﷺ يُشْعِرُكَ بِضَعفِ اشْتِياقِك إِليهِ ﷺ ؛ ستقرأ فيها:	176
57	مدخل.	177
58	قصص واقعية في شفاء المرضى ببركة الإكثار من الصلاة عليه ﷺ.	179
59	قصص واقعية في تفريج الهموم ببركة الإكثار من الصلاة عليه ﷺ.	184
60	قصص واقعية في رؤية النبي ﷺ في المنام.	188

61	الرسالة الثالثة عشرة : مِمَّا يُشوِّقُكَ إِلِيهِ ﷺ عِلمُكَ أنَّ مَحبَّتَه ﷺ سعادةَ الدُّنيا ونجاةَ الآخرةِ؛ وستقرأ فيها :	192
62	قبس من الشعر.	193
63	مفهوم محبة رسول الله ﷺ.	194
64	ما هي دلائل محبته صلى الله عليه وسلم ؟	197
65	من ثمار محبته صلى الله عليه وسلم.	201
66	الرسالة الرابعة عشرة :اطِّلاعُكَ على تَفضِيلِ اللهِ لَه ﷺ على الْعَالمِينَ سَيمْلَأُ قلبَكَ حبّاً وشَوقاً لرؤيتِهِ ﷺ. ستقرأ فيها.	206
67	مدخل.	207
68	إشارات طفيفة في تفضيل الله تعالى النبي ﷺ على جميع الأنبياء والمرسلين عليهم السلام.	209
69	مما فضل الله به نبيه ﷺ على سيدنا إبراهيم الخليل ﷺ.	212
70	مما فضل الله به نبيه ﷺ على سيدنا موسى عليه السلام.	215
71	مما فضل الله به نبيه ﷺ على سيدنا موسى عليه السلام.	218
72	لا أحد يطيق حصر فضائله ولا عد مناقبه ﷺ.	220
73	وما أجمله من شعر في هذا المقام للبرعي اليماني.	223
74	الرسالة الخامسة عشرة : اطِّلاعُك عَلَى مَا تَحمَّلَه ﷺ في سَبيلِ الدَّعوةِ يُبْكِيكَ شَوْقاً إليه ﷺ ؛ وستقرأ فيها:	225
75	مدخل.	226

76	نماذج من الإيذاء الجسدي الذي تعرض له بأبي وأمي هو ﷺ .	227
77	نماذج من الإيذاء المعنوي الذي تعرض له بأبي وأمي هو ﷺ .	230
78	صور من ثباته ﷺ على الدعوة والعبادة وحسن الخلق.	232
79	الرسالة السادسة عشرة : تَذكُّرُكَ قِصَّةَ انْتِقَالِهِ ﷺ إِلى الرَّفيقِ الأَعْلَى تُبْكِيكَ شَوْقاً إليه ﷺ ؛ وستقرأ فيها:	236
80	معرفته ﷺ باقتراب أجله وإعلامه بعض الصحابة وبداية مرضه ﷺ.	237
81	تخييره ﷺ بين الموت والخلد.	240
82	مرضه ﷺ ومدته وشدة وجعه.	242
83	وصاياه ﷺ في مرض وفاته.	246
84	اليوم الأخير من حياته ﷺ وكم كان عمره ﷺ؟	248
85	غسله ﷺ وتكفينه ودفنه.	250
86	حزن الصحابة على فقد حبيبهم ﷺ.	252
87	شذرات مما قاله الصحابة في رثاء النبي ﷺ.	254
88	الخاتمة.	263
89	فهارس المراجع.	265

90	فهارس المحتويات.	268